السياسة البريطانية تجاه الحركة الوطنية في مصر

الدكتور
محمد حمزة حسين الدليمي

السياسة البريطانية
تجاه الحركة الوطنية في مصر

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية (2014/11/5196)

الدليمي، محمد حمزة

السياسة البريطانية تجاه الحركة الوطنية في مصر/ محمد حمزة الدليمي.- عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع، 2014

( ) ص

ر.إ: (2014/11/5196).

الواصفات:/ العلاقات الدولية// مصر/ بريطانيا

❖ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

Copyright ®
All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

ISBN 978-9957-96-073-5

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي وجه أو بأي طريقة إلكترونية كانت أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل و خلاف ذلك إلا بموافقة على هذا كتابة مقدماً.

دار غيداء للنشر والتوزيع

تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله | مجمع العساف التجاري - الطابق الأول
تلفاكس: 5353402 6 962+ | خلوي: 95667143 7 962+
ص.ب: 520946 عمان 11152 الأردن | E-mail: darghidaa@gmail.com

السياسة البريطانية
تجاه الحركة الوطنية في مصر

1882- 1914

د. محمد حمزة حسين الدليمي

الطبعة الأولى

2015م — 1436 هـ

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ
لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ

صدق الله العظيم

(سورة التوبة/الاية 33)

الاهداء

الى من قال الله تعالى في حقهما

((وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا))

ابي وامي... وفاءً وعرفاناً

الفهرس

المقدمة 13
تمهيد
(التغلغل الاجنبي في مصر حتى الاحتلال البريطاني) 23

الفصل الاول

(الادارة الاستعمارية البريطانية في مصر 1882- 1914م)

اولا: سياسة الاحتلال على الصعيدين الاداري والاقتصادي 47
أ- اثر السياسة الادارية والاقتصادية على القطاع الزراعي الري 56
ب- الادارة الاستعمارية واثرها على التجارة 61
جـ- الادارة الاستعمارية واثرها على الصناعة 63
ثانيا: سياسة الاحتلال تجاه التعليم 66
أ- طبيعة الادارة البريطانية تجاه التعليم..................66
ب- تأثير الحركة الوطنية المصرية على عملية التعليم..................74

الفصل الثاني

(دور التيارات الفكرية والسياسية في تطور الحركة الوطنية في مصر)

اولا: التيار الاسلامي 90
الشيخ محمد عبده..................90
محمد رشيد رضا 95
ثانيا: التيار الوطني 96
مصطفى كامل 96
محمد فريد..................100
ثالثا: التيار القومي العربي..................103

الفصل الثالث

(السياسة البريطانية تجاه الصحافة الوطنية المصرية 1882- 1914م)

اولا: نشأة وتطور الصحافة حتى الاحتلال البريطاني لمصر 1882م 111
ثانياً: الاحتلال وتصفية الصحافة الوطنية العرابية.................................. 117
ثالثاً: الصحافة الوطنية وموقفها من سياسة الاحتلال البريطاني......................... 120
ابرز الصحف الوطنية 120
اولا: المؤيد.. 121
ثانيا: الاستاذ... 124
ثالثا: اللواء.. 127
رابعا: الجريدة.. 131
موقف الصحافة الوطنية من سياسة الاحتلال 135
رابعاً: الصحافة المصرية وحادثة دنشواي عام 1906م................................. 137
أ- ملخص الحادثة.. 137
ب- موقف الصحافة من حادثة دنشواي 142

الفصل الرابع

(السياسة البريطانية تجاه الاحزاب المصرية)

اولا: بدايات ظهور الجمعيات والاحزاب في مصر 146
ثانيا: الحياة الحزبية في ظل الاحتلال البريطاني..................................... 152
ثالثا: موقف الحزب الوطني من الاحتلال البريطاني 155
أ- الحزب الوطني منذ مرحلته السرية وحتى ميلاده الرسمي............................. 155
ب- الحزب الوطني ابان زعامة محمد فريد بك المحامي.................................. 163

طبيعة النضال ضد الاحتلال 163
موقف بريطانيا من علاقة الحزب بجمعية الاتحاد والترقي العثمانية 168
موقف اللورد كتشنر من الحزب الوطني.............................. 174
الخاتمة... 179
قائمة المصادر 181

المقدمة

عدّ القرن التاسع عشر عصر الاستعمار الحديث. اذ بلغت حركة الاستعمار الاوربي فيه درجة عالية من السيطرة واستعمار العالم في مختلف بقاع الارض، واصبح الاحتلال العسكري امرا حيويا للهيمنة السياسية والاقتصادية بعد ان كان التغلغل والحصول على الامتيازات هو وسيلة المستعمر. وكان الغزو الفرنسي لمصر (1798–1801م) بداية لمرحلة جديدة في تاريخ مصر اذ ربطها بالقوى الكبرى على نحو واسع، كما نبه هذه القوى الى اهميتها الاستراتيجية والاقتصادية والعسكرية، ولاسيما في نظر الساسة البريطانيين الذين عدوها حلقة الوصل التي تربط بريطانيا مع مستعمراتها في الهند. وازداد هذا الاهتمام بشكل ملحوظ بعد افتتاح قناة السويس عام 1869م حيث رأت الادارة الاستعمارية البريطانية ضرورة بسط نفوذها على مصر.

كانت الازمة المالية التي مرّت بها مصر في عهد الخديوي اسماعيل (1863–1879م) هي ابرز الامور التي حاولت بريطانيا من خلالها التدخل في شؤون مصر الداخلية بحجة حماية رأسمالها داخل مصر، فعملت على ايجاد الحجج من اجل فرض سيطرتها على البلاد. وعندما انتفضت مصر بقيادة احمد عرابي عام 1881م ضد مظاهر الاستبداد الخديوي والتدخل الاجنبي واقامت اول حكومة وطنية بأرادة الشعب تذرعت بريطانيا بأن هذه الثورة باتت تشكل خطراً محدقاً بمستقبل الاسرة الخديوية التي تسعى للمحافظة على هيكلها وبما يخدم مصالحها في مصر.

انفردت بريطانيا بالتدخل في مصر الذي اسفر عنه الاحتلال البريطاني في ايلول 1882م ضاربة عرض الحائط كل الاعراف والقوانين الانسانية وتنكيلها بالزعماء العرابيين. مما هيأ لها السيطرة على مقدرات مصر وخيراتها، وعملت على ادارتها وكأنها احد مستعمراتها، واقامت فيها حكومة **"العقول البريطانية والايدي المصرية"** التي وصفها ملنر Milner المندوب السامي البريطاني في جنوب افريقيا عام 1899م بـ**"الحمية المقنعة"**.

وتأتي هذه في محاولة لتسليط الضوء على كفاح الشعب المصري ضد الاحتلال البريطاني ومواصلة نضاله من اجل جلاء قوات الاحتلال عن البلاد. اذ كان من الطبيعي على ادارة الاحتلال ان تنفرد في تسيير امور البلاد، مما ولد سخط اوساط عديدة في مصر لاسيما المثقفة منها. فعملت مجموعة من الشباب على تصعيد المظاهرات ضد سياسة المحتل وتولت قيادة الحركة الوطنية في البلاد، رافضة أي قيد او شرط لوجود المحتل والتي عبرت عن اهدافها بـ ((**الجلاء**)) عن ارض الوطن.

ظهرت زعامات عديدة في قيادة الحركة الوطنية في مصر عمدت اولاً الى توعية الشعب العربي بمخاطر الوجود الاستعماري البريطاني من خلال الصحف الوطنية وعلى رأسها صحيفة (**اللواء**) المصرية، ثم قيامها بتشكيل الاحزاب السياسية حيث ارادت بعض الشخصيات الاستفادة من وجود المحتل فيما يخص ادارة مصر، وهذا ما طرحته جماعة (حزب الامة) اذ كانت تقوم سياستها على مبدأ "**ان مصر ما دامت عاجزة عن اخراج البريطانيين، فلتحاول الاستفادة من وجودهم**". في الوقت الذي كون الخديوي عباس الثاني (1892-1914م) حزب (الاصلاح على المبادئ الدستورية) كوسيلة يعبر من خلالها عن ميوله ومصالح نظامه – فيما بعد الاتفاق الودي 1904م – تجاه بريطانيا. بينما كانت القاعدة الجماهيرية العريضة من نصيب الحزب الوطني الذي تزعمه مصطفى كامل عام 1907م، وهو من ابرز الاحزاب التي تولت قيادة الحركة الوطنية في مصر.

تهدف الى الكشف عن دور بريطانيا في تحجيم الحركة الوطنية الناشئة في مصر واحتوائها كرد فعل على تصاعد نشاط الحزب الوطني الذي اكتسب شعبية كبيرة، فضلاً عن اساليب بريطانيا وخططها وسياساتها في مصر وردود الفعل واساليب بريطانيا في مواجهة الحركة الوطنية.

اما خطة فتضم تمهيد واربعة فصول، ويعد التمهيد مدخلاً لتوضيح جذور التغلغل الاجنبي في مصر واثره في قيام الثورة الوطنية العرابية 1881 – 1882م، وانتهاءً بالاحتلال البريطاني لمصر.

اما الفصول فقد درس الفصل الاول (الادارة الاستعمارية البريطانية في مصر 1882 – 1914م)، وكيفية سيطرة هذه الادارة على مقدرات البلاد وخضوع مصر الى ثلة موظفين بريطانيين وجهوا مقدرات مصر وفق مشيئتهم، وما اسفرت عنه هذه الادارة من اضرار ولاسيما في الجانب الاقتصادي والثقافي.

وتطرق الفصل الثاني الى (دور التيارات الفكرية والسياسية في تطور الحركة الوطنية في مصر) وقد عبر رجال هذه التيارات عن رفضهم لمظاهر الخضوع للاستعمار الاجنبي وضرورة توحيد الجهود لطرد المحتل، وبالتالي انارة عقول عامة الشعب المصري للكشف عن مساوئ هذا الاحتلال.

وخصص الفصل الثالث لدراسة (السياسة البريطانية تجاه الصحافة الوطنية المصرية 1882 – 1914م)، كون ان بواكير الحركة الوطنية الاولى هي ((صحفية)). وركزت هذه الدراسة على ابرز الصحف الوطنية المصرية ومواقف هذه الصحف من سياسة الاحتلال الذي كانت تدعم سياسته بعض الصحف الموالية له، في الوقت الذي كانت تغلق مكاتب الصحف الوطنية الرافضة للاحتلال.

اما الفصل الرابع فقد تناول (السياسة البريطانية تجاه الاحزاب المصرية)، ولاسيما الحزب الوطني باعتباره قائد الحركة الوطنية في مصر، مع تسليط الضوء على النضال السري للحزب حتى الميلاد الرسمي، ومواقف بريطانيا منه وملاحقة سلطات الاحتلال زعاماته التي اسفرت عن هجرة زعيمه محمد فريد عام 1912م الى خارج البلاد.

ب- تحليل المصادر

اعتمدت هذه على مصادر ومراجع متنوعة استقت منها مادتها العلمية، ولاسيما الوثائق منها، التي قدمت في مجملها معلومات قيمة ومهمة غطت جوانب الدراسة المتعددة، وتأتي في مقدمتها الوثائق البريطانية غير المنشورة (وثائق دائرة السجل العام – لندن، Public Record Office: Further (Correspondence respecting the Affairs of Egypt and Sudan 1909-1913

وتتضمن هذه الوثائق التوجيهات والمخاطبات التي كانت تتم بين الادارة البريطانية في مصر والحكومة البريطانية في لندن. كما كان لوثائق محافظ مجلس الوزراء المصري – دار الوثائق القومية بمصر، دورها الواضح في تغطية محاور مهمة من موضوعات الرسالة لأنها تحتوي على مادة علمية افادت في تتبع جذور التغلغل الاجنبي. كما تعد التقارير البريطانية (Reports by Her Majesty's Agent and Consul-General on the Finances Administration and Condition of Egypt and the Soudan) والمعروفة بتقارير معتمد صاحب الجلالة والقنصل العام حول الشؤون المالية والادارية وظروف مصر والسودان فقد اغنت الرسالة بمعلومات وافية حول الادارة البريطانية في مصر، وسيطرة هذه الادارة على مقدرات الشعب المصري التي اوضحها كرومر، بالذات، بتفاصيل دقيقة عن مجرى الاحداث والتطورات التي رافقت ظروف الاحتلال في تلك الفترة.

كما افادت الوثائق العربية المنشورة في رفد الرسالة بمعلومات غزيرة حول تطلعات الوطنيين في استقلال بلادهم، واهمها: (وثائق اعمال مؤتمر الحزب الوطني المنعقد في بروكسل عام 1910) المنشورة في مجلة الطليعة بمصر عام 1969م، التي تناولت مطالب الوطنيين المصريين والتي تم طرحها في المؤتمر ومحاولتهم تحسين اوضاع بلادهم الادارية والاقتصادية.

وتعد الكتب الوثائقية المطبوعة باللغة الانكليزية احد اهم مصادر الرسالة، ويأتي في مقدمتها الجزء الاول من كتاب المؤلف Hurewtiz الموسوم بـ Diplomacy in the Near and Middle East, Adocumentary Record 1535-1914 الدبلوماسية في الشرق الادنى والاوسط، سجل وثائقي - والذي اورد تفاصيل وافية عن الدور الذي لعبته بريطانيا في التدخل بشؤون مصر منذ معاهدة لندن 1840م حتى الاتفاق الودي عام 1904م.

وكان للمذكرات الشخصية نصيبا وافرا في الدراسة ويأتي في مقدمتها كتاب (مذكراتي في نصف قرن) لاحمد شفيق باشا رئيس الديوان الخديوي ووكيل الجامعة

المصرية عند تأسيسها، وقد افاد الباحث منها في تتبع نشاطات الادارة البريطانية في مصر وموقف الاسرة الخديوية منها، فضلاً عن تغطيتها لأنشطة زعماء مصر الوطنيين.

وكان للرسائل والاطاريح الجامعية نصيبها في معالجة فقرات عديدة من الدراسة، ومنها رسالة عدنان حسين رشيد الشيخلي الموسومة بـ (الفكر القومي العربي في مصر 1882 – 1922) حيث درست الرسالة موقف الاستعمار من حركة اليقظة العربية، فضلا عن توضيح التيارات الفكرية والسياسية في مصر وظهور الحياة الحزبية فيها. ورسالة ساري عبد الله شبيب الجنابي الموسومة (اللورد كرومر ودوره السياسي في مصر) والتي سلط الضوء فيها على اعمال اللورد كرومر وطبيعة سياسته في مصر، افادت الرسالة في تتبع اعمال الادارة البريطانية في بواكير الاحتلال.

ولاتقل اهمية المعلومات التي قدمتها المصادر العربية والمعربة في اغناء الدراسة بالمعلومات في جميع فصولها، بهذا القدر او ذاك، ومنها كتاب المؤلف الروسي تيودور روثستين المعروف بـ (تاريخ المسالة المصرية 1875 – 1910) وهو في الحقيقة ترجمة لكتاب (خراب مصر Egypt's Ruin) والكتاب غني بالمعلومات التاريخية المنظمة وفق نسق تاريخي يثير الاعجاب، اعتمد المؤلف في تدوينها على الوثائق الرسمية التي اطلع عليها. كما يعد كتاب المؤلف الايرلندي ولفريد سكاون بلنت Wilfrid Scawen Blunt المعنون (التاريخ السري لاحتلال انكلترا مصر) من المصادر المعربة المهمة ويعد مؤلفها من الاحرار وصديق الوطنيين في مصر، ونظر لمصر واحداثها بشكل موضوعي عندما القى باللائمة على البريطانيين وما سببوه من اذى للمصريين حتى انه وصف الموظفين البريطانيين بـ (**اللصوصية والغدر**). فضلاً عن مجموعة كبيرة من المؤلفات العربية للمؤرخ المصري الكبير عبد الرحمن الرافعي ,والتي قدمت معلومات مستفيضة عن الوقائع التي دارت في مصر لاسيما في مجال الحركة الوطنية، وتسليط الضوء على زعمائها، وابرز هذه المؤلفات كتاب (مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية) الذي تتبع نشاط الزعيم الوطني الشاب مصطفى كامل داخل مصر وخارجها ودوره في قيادة الحركة الوطنية. كما اغنت مؤلفات المؤرخ المشهور الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى جميع فصول الرسالة وقد

افادت الدراسة من العديد من هذه المؤلفات اهمها (تاريخ مصر السياسي من الاحتلال الى المعاهدة) كما استعانت الدراسة في معظم فصولها بكتاب المؤرخ عمر عبد العزيز عمر الاستاذ في جامعة الاسكندرية والموسوم بـ (دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر)، اذ يعد كتاباً شاملاً لمجمل الاحداث ولاسيما الحركة الوطنية المصرية وعوامل ظهورها ومراحل نشوئها.

كما كان للمصادر الانكليزية حضورا اكبر مقارنة باقرانها من المصادر الاجنبية الاخرى، ومن اهم هذه الكتب كتاب المؤلف الامريكي تايجنور Tignor والموسوم بـ Modernization and British Colonial Rule in Egypt 1882-1914 التحديث والحكم الاستعماري البريطاني في مصر 1882-1914م / واشار فيها الى اجراءات اللورد كرومر الادارية المختلفة مع توضيح ابرز المتغيرات على طبيعة الادارة في مصر وكذلك ابرز الازمات التي وقعت في مصر ولاسيما في عام 1906م، فضلا عن تطرقه الى موقف الوطنيين من هذه الاجراءات. فضلاً عن كتاب المؤلف جون مارلو John Marlowe المعنون بـ Cromer in Egypt كرومر في مصر، وتكمن اهمية الكتاب كون كاتبه متخصص بالتاريخ المصري حيث يتتبع مارلو اهمية مصر في الستراتيجية البريطانية والتي حرص كرومر على تنفيذها بدقة.

واحتلت البحوث والدراسات الاجنبية منها والعربية مكانة كبيرة وبارزة في فصول الدراسة واسهمت في اغنائها والتي كان لها النصيب الاوفر لمجلة (الهلال) المصرية التي اسسها جرجي زيدان عام 1892 في مصر، واهمها البحث المنشور في العدد السادس، السنة الخامسة والعشرين – اذار 1917م تحت عنوان (اللورد كرومر). كما افادت الدراسة من بحث المؤرخ العراقي المرحوم الدكتور فاضل حسين بعنوان (الثورة العرابية في مصر 1881 – 1882) اذ اراد مؤلفه تسليط الضوء على اول ثورة وطنية في مصر يقودها افراد من الشعب ضد الاستبداد الخديوي وضد التدخل الاجنبي.

كما اعتمدت الدراسة على عدد من الموسوعات، كان من اهمها موسوعة المؤلف احمد حسين المعنونة بـ (موسوعة تاريخ مصر) التي غطت تاريخ مصر منذ العصور القديمة

والاسلامية حتى العصر الحديث والمعاصر، وتمتاز بغزارة المعلومات ودقتها. كما اعانت (الموسوعة الصحفية العربية) الصادرة في تونس عام 1997م الدراسة في ايراد معلومات عن الشخصيات الصحفية في عموم الوطن العربي.

كما استفادت الدراسة من اعداد قليلة من مجلة (Near East) البريطانية التي كانت تصدر في مصر سنة 1911م، تناولت المراسلات والتقارير التي كان يرسلها رجال الحكومة البريطانية في المشرق العربي الى رئاسة تحرير المجلة، والتي كانت تنشرها بصورة منتظمة.

فضلا عن ما ذكرناه فقد اعتمدنا مجموعة اخرى من الكتب والبحوث التي يمكن الاطلاع عليها في قائمة المصادر.

وختاماً فالبحث العلمي لا يعرف الكلمة الاخيرة، ولايسعني هنا الا ان استذكر قول العلامة العماد الاصفهاني: "**اني رايت انه لايكتب انسان كتاباً في يومه، الا قال في غده، لو غير في هذا لكان احسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان افضل، ولو ترك هذا لكان اجمل وهذا من اعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر**".

ومن الله التوفيق

تمهيد

التغلغل الاجنبي في مصر حتى الاحتلال البريطاني

تقع مصر في الزاوية الشمالية الشرقية لقارة افريقيا، يحدها من الشمال البحر المتوسط، ويعد حلقة الوصل بينها وبين اوربا، اما من جهة الشرق فيحدها البحر الاحمر ومن الجنوب السودان ومن الغرب ليبيا[1]. وقد اسهم هذا الموقع الجغرافي في ان تكون مصر مطمعاً لتغلغل الدول الاوربية الكبرى ولاسيما فرنسا وبريطانيا [2]، وكان احد العوامل التي شجعت فرنسا على ارسال حملة عسكرية بقيادة الجنرال نابليون بونابرت Napoleon Bonaparte[*] لاحتلال مصر عام 1798 [3].

تمخضت عن الحملة الفرنسية فكرة لدى بريطانيا في السيطرة على مصر حفاظا على سلامة طرق مواصلاتها الى الهند ضد أي تهديد حقيقي [4]، مما شجعها على توجيه حملة

---

(1) عمر صفي الدين، دراسات في جغرافية مصر، مكتبة مصر للنشر والتوزيع، (القاهرة، 1957م) ص23.

(2) نبيل عبد الحميد واخرون، مصر للمصريين – مائة عام على الثورة العرابية، مطبعة الاهرام، (القاهرة، 1980م)، ص9.

(*) نابليون بونابرت: ولد في مدينة اجاكسيو عاصمة جزيرة كورسيكا سنة 1769م، والتحق بمدرسة بريان العسكرية، ثم التحق بمدرسة سان سير العسكرية الشهيرة وتخرج سنة 1785م، وعين برتبة ملازم اول في سلاح المدفعية التابع للجيش الفرنسي، واصبح امبراطورا لفرنسا بين عامي (1804-1815م).

Iren Gollins, The Age of Progress Aurrey of European History from 1789-1870, first published, (London, 1964), p. 117.

(3) للمزيد من المعلومات، ينظر: اطلال سالم حنا، مصر في سنوات الاحتلال الفرنسي 1798-1801م رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية التربية – جامعة الموصل، 2007م.

(4) ميثاق بيات عبد الضيفي، انتوني ايدن والقضية المصرية، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية التربية – جامعة تكريت، 2002م، ص4.

عسكرية على مصر في عام 1807م ولكن قواتها اندحرت في موقعة رشيد [1] بفضل مقاومة والي مصر **محمد علي باشا** [*] (1805-1848م)[2]، الذي كان قد تولى حكم مصر حديثاً [3].

تطلع الوالي الجديد للاستفادة من منجزات العلم والتقنية الاوروبية الحديثة، واراد تحويل مصر الى دولة من الطراز المميز في المنطقة العربية، فاهتم ببناء جيش واسطول حديثين، فضلاً عن التغييرات التي احدثها في البناء التعليمي والاجتماعي والثقافي لمصر [4]، الامر الذي تطلب ايضاً تغييراً جذرياً لمجمل حياة البلاد الاقتصادية، وقد فتح ذلك منفذا لمصر الى الثقافة الحديثة والى الافكار الجديدة بشكل لا مثيل له [5].

ادت سياسة محمد علي باشا الى حدوث تضارب واضح بين انصار حرية التجارة من الاوربيين عامة، والبريطانيين خاصة، وبين الاجهزة الجديدة المركزة في ايدي الحكومة

---

(1) للمزيد من المعلومات عن موقعة رشيد، ينظر: عبد العزيز الرفاعي، انتصار مصر في رشيد، (القاهرة، 1962).

(*) محمد علي باشا: ولد في مدينة قوالة (تقع على بعد 28كم شرقي سالونيك) سنة 1769م، انتظم في سلك الجيش ثم عين ضابطا في الاسطول العثماني ورقي الى رتبة يوزباشي (نقيب) لما اثبته من شجاعة ثم ارسل مع الفرقة الالبانية التي ارسلت الى مصر للمساهمة في اخراج الفرنسيين منها، واصبح قائدا لهذه الفرقة بعد وفاة قائدها احمد ظاهر باشا. وفي ايار 1805م اصبح واليا على مصر بدعم ومساندة علماء واعيان مصر، توفي بالاسكندرية بتاريخ 2 اب 1849م. كريم ثابت، محمد علي، ط2، مطبعة المعارف، (القاهرة، 1943م)، ص ص14-20 ؛ عبد الكريم محمود غرابية، تاريخ العرب الحديث، الاهلية للنشر والتوزيع، (بيروت، 1984م)، ص ص75-78 ؛
Gilbert Sinoue, Kavalali Mehmed Ali Passa Sun Firavyum, (Istanbule, 1997), S.S. 65-79.

(2) احمد حسنين القرني وعبد الحفيظ فرغلي القرني، مصر العربية في مجال التاريخ، الدار القومية للطباعة والنشر، (د.م، 1966)، ص102.

(3) Smith Mervin. G, "The Agricultural Policy of Muhammed Ali in Egypt", Middle Eastern affairs, ((New York)), No.2, Vol. XIV, 1963, P. 58.

(4) G. Issawi, Egypt Mid-Century An Economic Survey, Oxford, (London, 1954), P. 23.

(5) ز.ك. ليفين، الفكر الاجتماعي والسياسي الحديث في لبنان وسوريا ومصر، ترجمة: بشير السباعي، ط1، (بيروت، 1978)، ص ص21-22.

المصرية. وكان هذا التضارب سبباً اساسياً في وقوف رجال الاعمال البريطانيين ضد تجربة والي مصر ولاسيما في المجال الاقتصادي، وجاءت العوامل الاستراتيجية والسياسية لكي تدفع بريطانيا الى محاربة الوالي المنتخب واستخدام القوة ضده [1].

عملت بريطانيا على محاربة مصر اقتصادياً واستراتيجياً ونجحت بتحجيم دور واليها في المنطقة اثر اجباره عسكريا على الانكفاء داخل حدود مصر بموجب بنود معاهدة لندن [2] عام 1840م [3].

بعد وفاة محمد علي باشا اخذت قبضة الدول الكبرى تشتد حتى فكر اصحاب المال الاوربيين في مشروعات تجاوزت طاقات مصر، وطرأ اختلاف على سياسة عباس الاول [*] (1848-1854م) عما كانت عليه في عهد سلفه [4].

---

(1) جلال يحيى وخالد نعيم، مصر الحديثة 1919-1952، المكتب الجامعي الحديث، (الاسكندرية، 1988)، ص20.

(2) للاطلاع على بنود معاهدة لندن، ينظر: الياس الايوبي، محمد علي – سيرته واعماله واثاره، دار الهلال، (مصر، 1932) ص132 ؛

Resat Ekrem, Osmanli Muahedeleri Ve Kapitulasiyonlar 1300-1920, (Istanbul, 1934), S.S. 72-73; J.C. Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East- A documentary Record 1535-1914, Vol. 1, (New York, 1956), PP. 116-119;

عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، ج3، (القاهرة، 1947)، ص ص 334-336 ؛ احمد عبد الرحيم مصطفى، مصر والمسألة المصرية، دار المعارف، (مصر، 1965)، ص9 ؛ لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية الحديث، دار التقدم، (موسكو، 1971)، ص141 ؛ جوزف حجاز، اوربا ومصير الشرق العربي –حرب الاستعمار على محمد علي والنهضة العربية، ترجمة: بطرس الحلاق وماجد نعمة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، 1976)، ص ص186-200.

(3) يونان لبيب رزق، موقف بريطانيا من الوحدة العربية 1919-1945، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، 1999)، ص26.

(*) عباس بن طوسون بن محمد علي باشا: ولد في جدة بالحجاز سنة 1813م ونشأ بمصر، وهو ثالث الولاة من اسرة محمد علي باشا، اذ تولى الحكم بعد وفاة عمه ابراهيم باشا في تشرين الثاني 1848م الذي كان قد تولى حكم مصر بفرمان (مرسوم) من الباب العالي في اذار 1848م نظراً لمرض والده، ولكنه لم يعمر اكثر من سبعة اشهر ونصف. خير الدين الزركلي، الاعلام، ط3، ج4، دار العلم للملايين، (بيروت، 1979)، ص ص33-34.

(4) عبد الرحمن الرافعي بك، عصر اسماعيل، ط2، ج1، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1948)، ص12 ؛
Darrell I. Dykstra, Egypt in the Nineteenth Century-The Impact of Europe upon Anon-Western Society, Mechigan Ann Arbor, (N.B, 1979), P.P. 14-15.

امعن عباس الاول في سياسة الحذر من الغرب وقام باقصاء الكثير من الخبراء وكبار الموظفين الفرنسيين الى حد انه لم يعد لهم نفوذ لديه، ولم يكن يعاملهم معاملة عطف واحترام، ولا يقتصر ذلك على النفوذ الفرنسي فحسب بل امتد الى كل النفوذ الاوربي في مصر وعمل على توثيق العلاقات بين مصر والدولة العثمانية [1].

بعد وفاة عباس الاول في 14 تموز 1854م، اعقبه في الحكم **محمد سعيد باشا بن محمد علي باشا** [*] (1854-1863م) الذي كان بخلاف سلفه ميالا الى الفرنسيين، فاعاد المستشارين الفرنسيين الى مصر، وعينهم في مناصب رفيعة، وشجع عدد من رجال الاعمال والمغامرين الفرنسيين الذين كانوا يبحثون عن فرص للثراء السريع على القدوم الى مصر [2]. وبذلك يعد سعيد باشا اول حاكم مصري مهد للتدخل الاوربي، بشكل مباشر، كي يجد طريقه الى البلاد [3].

منح سعيد باشا امتيازا بحفر قناة السويس للمهندس الفرنسي فرديناند دي لسبس [**] (Ferdinand De Lesseps) في 30 تشرين الثاني 1854م ولمدة تسعة وتسعين سنة تؤول ملكيتها بعدها الى مصر وتقرر ان تكون شركة قناة السويس من الناحية القانونية مؤسسة مصرية تخضع لقوانين مصر [4].

---

(1) الرافعي، عصر اسماعيل، ج1، ص13.

(*) ولد في الاسكندرية عام 1822م، وتعلم في مدارس القاهرة، بنيت في ايامه مدينة بورسعيد فسميت باسمه، كما اطلق اسمه على القلعة التي بنيت عند القناطر الخيرية، منع الاتجار بالرقيق سنة 1856م، وحرر الموجودين منهم. الزركلي، المصدر السابق، ج7، ص13.

(2) هاشم التكريتي، "بريطانيا ومشروع قناة السويس 1854-1869م"، مجلة الجمعية التاريخية، ((بغداد))، ع3، 1974م، ص323.

(3) Dykstra, Op. Cit, P. 14.

(**) ولد في فرساي عام 1805م، وفي عام 1825م عين قنصلاً لفرنسا في الاسكندرية، درس امكانية فتح قناة في برزخ السويس وقد حققه، وكان صديقاً حميماً للوالي محمد سعيد باشا، توفي عام 1894م. آلان بالمر، موسوعة التاريخ الحديث 1789-1945، ترجمة: سوسن فيصل السامر ويوسف محمد امين، ج1، دار المأمون للترجمة والنشر، (بغداد، 1992م)، ص ص44-45.

(4) John Marlowe, Anglo-Egyptian Relations 1800-1956, 2nd edition, (London, 1965), P. 36;

توفي محمد سعيد باشا في كانون الثاني 1863م، وتولى **اسماعيل بن ابراهيم بن محمد علي باشا** (*) (1863-1879م) ولاية مصر، وهو اول افراد اسرة محمد علي باشا حمل لقب (خديوي) (**) مصر.

كان حجر الزاوية لسياسة الخديوي اسماعيل الخارجية هي الركون الى الدول الاوربية وحسن الظن بها والعمل على كسب رضاها، اذ اخذ النفوذ الاجنبي يتغلغل في البلاد مالياً واقتصادياً (***)، وكانت صفات الخديوي الشخصية احدى عوامل هذا التدخل، نظراً الى تأثر الخديوي اسماعيل بالثقافة الفرنسية والسنوات التي قضاها في باريس ومرافقته الطويلة للفرنسيين واتصاله بهم واتقانه لغتهم وميله الى تقليدهم [1]،

احمد عبد الرحيم مصطفى، مشكلة قناة السويس 1854-1958، مطبعة الرسالة، (القاهرة، 1967)، ص10 ؛ للمزيد من المعلومات، ينظر: سامي صالح محمد الصياد، الصراع البريطاني-الفرنسي على مشروع قناة السويس 1854-1869، اطروحة دكتوراه غير منشورة قدمت الى كلية الاداب-جامعة بغداد، 2006م.

(*) ولد بالقاهرة بتاريخ 18 كانون الثاني 1830م وتعلم بها ثم واصل تعليمه في فرنسا، وكان منذ طفولته مولعاً بالهندسة والرسم والتخطيط، ولما تولى الحكم عني بتخطيط المدن وانشائها، وفي ايامه اوصلت اسلاك البرق (التلغراف) وسكك الحديد الى بلاد السودان وبنيت مدينة الاسماعيلية وانشيء المتحف المصري والمكتبة الخديوية المصرية، عزل عن الحكم بتاريخ 26 حزيران 1879م وقضى بقية ايامه في اوربا واستانبول الى ان توفي في استانبول بتاريخ 2 شباط 1895م، ونقل جثمانه الى القاهرة. مجلة المقتطف، "الخديوي اسمعيل باشا"، ((مصر))، ج3، س3، س4، 1879م، ص ص57-85 ؛

Dykstra, Op. Cit, P. 15..

(**) كلمة فارسية ترفع من يلقب بها الى مرتبة الملوك، وهي اقل من الخلافة واعلى من الوزارة، ومنذ تاريخ 8 حزيران 1867م اصبح لها استعمال واحد في الدولة العثمانية للدلالة على حاكم مصر. محمد عبد الرسول كشميري، "الخديوي"، مجلة الهلال، ((مصر))، ج8، س11، كانون الثاني 1903م، ص243 ؛ ناصر الانصاري، موسوعة حكام مصر من الفراعنة الى اليوم مع صورهم واعلامهم ورموزهم، ط3، دار الشروق، (بيروت 1989م)، ص123.

(***) للمزيد من المعلومات، ينظر: نصير خير الله محمد جاسم التكريتي، التغلغل الاجنبي في مصر 1863-1879م، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية التربية-جامعة تكريت، 2005م.

(1) الرافعي، عصر اسماعيل، ج1، ص ص82-84.

فضلا عن علاقته القوية بـالامبراطور نـابليون الثالـث [****] (Napoleon III) (1825-1870م)، وصداقته له واعجابه به.

من اهم المسائل الـتي واجهت الخـديوي اسماعيـل في اوائـل عهـده مسألة قنـاة السويس اذ كانت انظار الاوربيين تتطلع الى ما يؤول اليه مصيرها بعـد وفـاة محمـد سـعيد باشا، الا ان الخديوي اسماعيل بـادر في اول اجتمـاع لـه بـسفراء الـدول وافضى الـيهم بعزمه على تأييد المـشروع [1]، واكـد في الوقـت نفـسه لـسفير فرنـسا مـسيو دي موسـتييه (De Moustier) بانه من الانصار المتحمسين لمشروع القناة وان الاعمال في البرزخ سوف لن تتوقف، ولعل الخديوي اراد، كما اراد سلفه، ان يكـسب رضـا الاوربـيين مـن انـصار المشروع [2].

(****) جارلس لويس نابليون بونـابرت: هـو ابـن اخ نـابليون الاول، وابـن لـويس بونـابرت ملـك هولندا، ولد عام 1808م، عاش لمدة طويلة في ايطاليا وبافاريا وسويسرا ولندن. اسر في حـرب السبعين مع بروسيا في معركة سيدان عام 1870م ومات في المنفـى عـام 1873م. بـالمر، المـصدر السابق، ج2، ص ص130-132.

(1) الرافعي، عصر اسماعيل، ج1، ص88.

(2) احمد عبد الرحيم مصطفى، علاقات مصر بتركيـا في عهـد الخـديوي اسماعيـل (1863-1879)، دار المعـارف، (مصر، 1967)، ص27. الملاحظ على مشروع القناة ان بريطانيا عارضت المشروع وذلـك مـا يتـبين في محاضـر جلسات البرلمان البريطاني منذ منح عقد الامتياز فصعوداً. ينظر:

Hansard's Parliamentary Debates, Second Series, Vol. 150, 1 June 1858, London.

وبسبب الموقف البريطاني المعارض سعى دي ليسبس الى طرق باب اخر حلاً للمسألة وذلـك عـن طريق ارساله مذكرة بتاريخ 26 كانون الاول 1858 الى وزير التجارة والاشغال العامـة في الحكومـة الفرنسية يخبره بتأسيس الشركة وفق نظام الشركات المساهمة ويلتمس منـه استـصدار مرسـوم مـن الامبراطور نابليون الثالث بتخويل شـركة القنـاة في ممارسـة حقوقهـا طبقـاً للنظـام المقـرر بالنـسبة للشركات الاجنبية، مستنداً بـذلك علـى قـانون صـدر في هـذا الـصدد في فرنـسا بتـاريخ 30 ايـار 1857م، وقد اجيب دي ليسبس الى طلبه، وصدر مرسوم من الامبراطور في 7 ايـار 1859م يقـضي بتطبيق مواد هذا القانون على شركة القناة. وبهذا استطاع دي ليسبس ان يقوي دعـم مـشروعه في حالة وجود اية معارضة خارجية. مذكرة من دي ليسبس الى وزارة التجارة والاشغال العامة في 26

تم الانتهاء من العمل في حفر القناة في تشرين الثاني 1869م، واتصلت مياه البحر المتوسط بالبحر الاحمر، بعد عمل استمر عشر سنوات، وكان طول القناة 164 كليومترا. وافتتحت القناة رسمياً في يوم السابع عشر من الشهر نفسه [1].

بعد افتتاح قناة السويس اخذ الاهتمام البريطاني يتجه صوب شرق البحر المتوسط، اذ ان هذا الممر المائي جعل البحر الاحمر اقصر طريق بحري يربط بين الشرق والغرب، وجعل بريطانيا اكثر قربا من مستعمراتها في الهند لذلك حاولت بريطانيا ابعاد اي قوة اوربية قد تهدد وجودها في المنطقة، والعمل على السيطرة على ذلك الممر المائي.

ومن الوقائع المهمة في تاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل، تأسيس مجلس الشورى [*] عام 1866م[2]، في محاولة منه لجعل الشعب يشاركه المسؤوليات ولاسيما بعد ازدياد ديونه الخاصة، فاراد اشراك الشعب في هذه الديون [3].

كانون الاول 1858م، الارشيف الاوربي، ملف رقم (2)، محفظة رقم (15)، دار الوثائق القومية، القاهرة، مصر.

(1) للمزيد من المعلومات، ينظر: مراد سري، قناة السويس اخطر ممر مائي في طرق المواصلات العالمية يصل الشرق بالغرب، مطبعة اليميات، (دمشق، 1996م)، ص109 ؛

Dykstra, Op. Cit, P.P. 55-58.

(*) كان حق الانتخاب مقصورا على العمد والمشايخ في المديريات (المحافظات) وعلى فئة الاعيان في ثلاث مدن، هي: القاهرة والاسكندرية ودمياط، وقد سميت هذه الهيئة النيابية ((مجلس شورى النواب))، ووضع الخديوي اسماعيل نظامه في لائحتين: عرفت الاولى باللائحة الاساسية (وهي مؤلفة من ثماني عشرة مادة تناولت بيان اختصاصاته وطريقة انتخابه وموعد اجتماعه)، وسميت الثانية اللائحة النظامية (وهي لائحة داخلية للمجلس مؤلفة من احدى وستين مادة). وافتتح المجلس يوم الاحد 25 تشرين الثاني 1866م. عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، ج4، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة، 2005م)، ص ص39-40.

(2) John Marlowe, Cromer in Egypt, Elek book, (London, 1970), P. 58.

(3) للمزيد من المعلومات، ينظر: عبد العزيز رفاعي، فجر الحياة النيابية في مصر الحديثة 1866-1882، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د.م، 1964) ؛ جاكوب لاندو، الحياة النيابية والاحزاب في مصر من 1866 الى 1952، ترجمة: سامي الليثي، مكتبة مدبولي، (د.م، د.ت).

استدان الخديوي اسماعيل قروضا طائلة من المرابين والبيوت المالية الاجنبية لتغطية نفقات مشاريعه المختلفة حتى صار للاجانب نفوذ قوي لم يحققوه سابقا [1].

بلغت الديون حداً غير معقول في اواخر عهد الخديوي اسماعيل ادى في النهاية الى التدخل الاجنبي وفقدان مصر استقلالها المالي [**]، واخذ هذا التدخل شكلا خطيرا في 25 تشرين الثاني 1875م، عندما باع الخديوي اسهم مصر في شركة قناة السويس الى بريطانيا حين كان **دزرائيلي** [***] (Disraeli) رئيس وزرائها [2]، وبذلك فقد كانت كل انواع العوائد المالية التي تجبى من مصر ترصد لتسديد قروض الخديوي اسماعيل العديدة وذات الفوائد الضخمة [3].

---

(1) الرافعي، عصر اسماعيل، ج1، ص71.

(**) للمزيد من المعلومات عن الحالة الاقتصادية في مصر، ينظر: حيدر صبري شاكر سلمان، الاوضاع الاقتصادية في مصر (1840-1879) – دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية التربية – الجامعة المستنصرية، 2002م.

(***) دزرائيلي: ولد في لندن بتاريخ 21 كانون الاول 1804م، دخل الحياة السياسية في عام 1837م عندما شغل مقعدا في مجلس العموم البريطاني بوصفه عضوا في حزب المحافظين، ثم تزعم الحزب عام 1848م وناصر التوسع الاستعماري، واصبح وزيراً للخزانة (شباط-كانون الاول 1852م)، ثم رئيسا للوزراء (شباط 1868م – كانون الاول 1868م) و (1874-1880م). منح في عام 1876م لقب ايرل فصار يلقب بايرل او لورد بيكونسفيلد Lord Beaconsfield، توفي عام 1881م. اندريه موروا، حياة دزرائيلي، ترجمة: حسن محمود، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، (القاهرة، 1939)، ص213 ؛ The Columbia Encyclopedia, U.S.A., Vol. 1, Columbia University Press, 1963, P. 833.

(2) اشترت بريطانيا اسهم الخديوي اسماعيل بمبلغ اجمالي مقداره اربعة ملايين جنيه. وبعد ابرام الاتفاقية اتضح ان الحكومة المصرية لم تكن تمتلك كل الاسهم التي حصلت عليها اول مرة، وانها قد تصرفت في (1040) سهما، فهبط المبلغ الى (3.976.582) جنيه مصري. مع ذلك فان بريطانيا قد استردت من مصر الجزء الاكبر من المبلغ، اذ كان الخديوي قد تنازل لشركة القناة وبموجب اتفاقية 23 نيسان 1869م عن فوائد اسهم مصر لمدة (25) عاما تنتهي في 1894م، فلما باعت مصر اسهمها لبريطانيا طلبت الاخيرة ان تدفع لها مصر فوائد بنسبة 5٪ مقابل تنازل بريطانيا عن ارباح الاسهم طوال هذه المدة، فكأن مصر باعت اسهمها لبريطانيا بمبلغ (143.098) جنيها. عبد العزيز الشناوي، "ما تكلفته مصر في انشاء قناة السويس"، المجلة التاريخية المصرية، ((القاهرة))، مج6، 1957، ص147 ؛ Hurewitz, Op. Cit, Vol. 1, PP. 178-180.

(3) Thomas Marston, Britain's Imperial Role in the Red Sea Area 1800-1878, The Shoe String Press, Hamden Connection, (New York, 1961), P. 489.

مع اشتداد الازمة المالية وازدياد ضغط الدول الاوربية وحاملي السندات على الخديوي اسماعيل، كان من الضروري اتخاذ خطوات جديدة لارضاء هؤلاء الدائنين مثل ايجاد مؤسسات مالية منتظمة يمكنها ان تقدر الايرادات تقديراً سليماً، لاسيما وان لجان التحقيق وممثليهم قد عجزوا عن معرفة الايرادات الحقيقية [1]، او المصروفات الدقيقة للخديوي مما جعل هؤلاء الدائنين في قلق على اموالهم التي اقرضوها له [2].

اصبح استقلال مصر مقيداً بسبب ازدياد سيطرة اصحاب الديون، ولما شعر خديوي مصر بارتباك المالية المصرية اعلن في 18 نيسان 1876 توقفه عن صرف قيم سندات الخزانة المصرية، ومحاولة منه لحل هذه المسألة انشأ صندوق الدين العام المصري [*] في 2 ايار 1876م [3].

يعتبر صندوق الدين العام اول هيئة رسمية اوربية انشئت لغرض حل الازمة المالية والتدخل المباشر في شؤون مصر والسيطرة عليها. وهو يبين في الوقت نفسه مدى اتفاق المصالح الاجنبية لغرض اقتسام عوائد مصر. ونتيجة لضغط الدائنين الاجانب وتحركات بريطانيا التي كانت تحاول التدخل بشكل فعال في ادارة مصر، اصدر الخديوي مرسوما في 18 تشرين الثاني 1876م سمح بموجبه بفرض الرقابة الاجنبية على مصر، حيث عين رفرز ويلسون (Rivers Wilson) مراقباً بريطانياً، وبلنيير (Bilgnieres) مراقباً

(1) Goshen, The Egyptian Public debt, (London, 1987), P.P. 62-63.
(2) Joan Wach Erking, Historical Dictionary of Egypt, Cairo American University in Cairo Press, 1989, P. 221.

(*) صندوق الدين العام المصري Egyptian Treasury of the public Debt، وهو خزانة فرعية للمالية يعهد اليها بتلقي الاموال المخصصة لسداد الديون التي اصبحت ديون دولة، ولم تعد قروضاً شخصية للخديوي على ان تتولى هذه الخزانة تسديد الديون بما فيها الفوائد والاقساط.
Hurewitz, Op. Cit., Vo. 1, PP. 185-186.

(3) صندوق الدين، محافظ مجلس الوزراء، تسلسل 6/ أ، محفظة رقم (227)، دار الوثائق القومية، القاهرة، مصر ؛ عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، (بيروت، 1975)، ص277 ؛ الفريد سكاون بلنت، التاريخ السري لاحتلال انكلترا مصر، ج1، المركز العربي للبحث والنشر، (القاهرة، 1981)، ص27 ؛ للمزيد من المعلومات ينظر:
Hurewitz, Op. Cit, Vol. 1, PP. 185-187.

فرنسياً، وبصدور هذا المرسوم تبدأ فترة جديدة في تاريخ مصر تعرف بأسم ((الرقابة الثنائية))[1].

كان المراقب البريطاني يتولى ترشيح مأموري التحصيل وكان يتمتع بصلاحية ايقافهم عن العمل وفصلهم. واما المراقب الفرنسي فكان يتولى مراقبة تنفيذ القوانين واللوائح المتعلقة بالدين العام[2].

ويبدو ان بريطانيا وفرنسا ومن خلال هذه التعيينات قد ضمنتا مصالحهما في مصر حتى ولو تعارضت مع مصالح المصريين، الامر الذي تم تأكيده من خلال تكليف الخديوي اسماعيل **لنوبار باشا** [*]، رجل بريطانيا الاول، في 28 اب 1878م بتشكيل مجلس النظار (الوزراء)، ومما جاء بكتاب التكليف: "قد صممنا على تفويض ادارة الحكومة الى هيئة تكون مسئولة في كافة الامور والاجراءات، وهذا بقصد تنظيم وترتيب اصول ادارة حكومتنا الخديوية على الاسس والقواعد المتخذة حديثا، وقد وجهنا اليكم رئاسة هذه الهيئة، ومنحكم الاذن في تشكيل وترتيب هيئة النظارة وفي اجراء الاشياء اللازمة في هذا الخصوص، ولي امل عظيم ان تقوموا بتشكيل وترتيب الهيئة المذكورة

---

(1) مصطفى، مصر والمسألة المصرية، ص42.

(2) المجلس الاعلى للمالية، محافظ مجلس الوزراء، وثيقة رقم (1)، ملف رقم (5)، محفظة رقم (38)، ج7، دار الوثائق القومية، القاهرة، مصر.

(*) هو نوبار بن نوباريان: ارمني الاصل، ولد في ازمير (الواقعة في غرب تركيا) بتاريخ 4 كانون الثاني 1825م، تلقى العلم في مدارس سويسرا ثم فرنسا، وكان والده مستشارا لوالي مصر محمد علي باشا. عين عام 1864م ناظرا (وزيراً) للاشغال العمومية، وفي سنة 1866م تولى وزارة الخارجية، وكان اول من تولى رئاسة الوزراء في مصر اب 1878 / شباط 1879م، توفي في باريس بتاريخ 12 كانون الثاني 1899م، ونقل جثمانه الى مصر فيما بعد. مجلة الهلال، "نوبار باشا احد وزراء مصر العظام"، ((مصر))، ج8، س7، شباط 1899، ص ص258-261 ؛ محيي الدين الطعمي، معجم باشوات مصر، مكتبة مدبولي، (مصر، د.ت)، ص ص444-445.

بصورة تستوجب حسن نظام وادارة امور الحكومة التي هي اقصى غاياتي وامالي، وبعد اتمام التشكيلات يجب ان تهتموا بعرضها علينا، ولذلك اصدرنا امرنا هذا وارسلناه اليكم [1].

وبعد المشاورات، اعلن نوبار باشا تأليف وزارته (الوزارة الاوربية الاولى)[2]. وقد عين السير رفرز ويلسون وزيرا للمالية، والمسيو بلنيير وزيراً للاشغال العمومية، وكان هذان الوزيران مع نوبار باشا اصحاب الكلمة الفصل في مصر[3].

وهكذا، كان زحف المؤثرات الاجنبية من فكر ورأسمال ومشروعات قد لعب دورا حاسماً في تشكيل الحياة المصرية الجديدة التي اصبح فيها الاجنبي السيد الاول في البلاد. حيث اخذ التدخل البريطاني يزداد في مصر متخذاً اشكالا عديدة، منها: القروض والمعاهدات، او حتى على شكل مشورة [4]. وكان الرعايا الاوربيون يستثمرون اموالهم في مصر بتشجيع من المحاكم المختلطة [*]، وغالبا ما كانوا يستخدمون هذه المحاكم ليقيموا

---

(1) مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، النظارات والوزارات المصرية منذ انشاء اول هيئة نظارة في 28 اغسطس 1878 حتى قيام الجمهورية في 18 يونية 1953م، ط2، ج1، جمع وترتيب فؤاد كرم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر، 1994)، ص73.

(2) لويس عوض، تاريخ الفكر المصري الحديث، دار الهلال، (القاهرة، 1961)، ص139.

(3) مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، المصدر السابق، ج1، ص78.

(4) Elizabeth Monroe, Britain's Moment in the Middle East 1914-1971, The Johns Hopkins University Press, (N.B, 1981), P. 15.

(*) اجتمع قناصل الدول الاوربية بمدينة القاهرة في 28 تشرين الاول سنة 1869م، وعقدت تسع جلسات لغاية 5 كانون الثاني 1870م برئاسة نوبار باشا لتنظيم الحالة القضائية الفوضوية المتعددة الجهات بسلطة واحدة تسلم مقاليدها الى ثلاث محاكم ابتدائية في الاسكندرية والقاهرة والاسماعيلية ومحكمة استئناف عليا في الاسكندرية، ولهذه المحاكم حق النظر في جميع القضايا العينية والعقارية والشخصية، وان يكون عدد اعضاء كل محكمة ابتدائية خمسة (ثلاثة اجانب ومصريان)، وعدد اعضاء المحكمة الاستئنافية سبعة (اربعة اجانب وثلاثة مصريين). وضع قوانين ثابتة في الاجراءات وجعل الجلسات علنية. محاكم مختلطة، محافظ مجلس الوزراء، وثيقة رقم (1)، ملف رقم (29-30)، محفظة رقم (39)، ج5، دار الوثائق القومية، القاهرة، مصر (باللغة الفرنسية) ؛ للمزيد من المعلومات، ينظر: التكريتي، التغلغل الاجنبي في مصر،ص ص101-111.

دعاوي ضد الحكومة [1]، فضلاً عن أنّ ان الاداريين البريطانيين لم تكن لديهم اية نوايا حول تقليل الامتيازات الاجنبية من مصر، بل رحبوا بالاستثمار الاجنبي [2].

ادى تغلغل النفوذ الاوربي (البريطاني – الفرنسي) الى الاطاحة بالخديوي اسماعيل في 26 حزيران 1879م وعزله عن الحكم حتى تنفرد القوى الاوربية بالعمل في مصر دون معارضة [3].

حركت سياسة الحكومة المالية خواطر الناس واثارت في نفوسهم القلق والتذمر، وكان التحدي الاستعماري من خلال الغزو الاجنبي الاقتصادي قد دفع اليقظة الفكرية والوعي السياسي الى الامام وساعد على نمو حركة وطنية في البلاد من اجل البحث عن الوسائل والصيغ المؤدية للخلاص.

عين **الخديوي توفيق** [*] (1879–1892م) في 26 حزيران 1879م حاكماً على مصر. وفي تموز كلف الخديوي **محمد شريف باشا** [**] الذي كان قد قدم استقالته كرئيس

---

(1) Robert I. Tignor, Modernization and British Colonial Rule in Egypt 1882-1914, Princeton University Press, Princeton New Jersey, (N.B, 1966), P. 124.

(2) Ibid, P. 366.

(3) صالح رمضان، "تغلغل النفوذ الاوربي واثره في الحياة الاجتماعية في عصر الخديوي اسماعيل (1863–1879)"، مجلة المؤرخ العربي، ((بغداد))، ع1، 1975، ص ص92–93 ؛ في حزيران 1879م تلقى الخديوي اسماعيل المذكرة التالية: "لقد اتفقت الحكومتان الفرنسية والبريطانية ان تنصحا جلالتكم بالتنازل عن العرش ومغادرة الاراضي المصرية، فاذا رأيتم جلالتكم الاخذ بهذه النصيحة فأن الحكومتان ستعملان على منحكم مخصصات وعلى تطبيق قانون وراثة العرش فيخلفكم نجلكم توفيق". مذكرة من سفراء الدول الاوربية الى الخديوي اسماعيل 26 حزيران 1879م، الارشيف الاوربي، وثيقة رقم (12)، ملف رقم (7)، محفظة رقم (19)، دار الوثائق القومية، القاهرة، مصر.

(*) هو محمد توفيق بن اسماعيل ولد عام 1852م، تعلم بمصر ولم يرسله والده الى الخارج لاكمال تعليمه وابقاه بجواره ليتمرس بالاعمال فنشأ محدود الافق، اندلعت في عهده الثورة العرابية 1881–1882م، واحتلت بريطانيا مصر في ايلول 1882م، توفي عام 1892م. الانصاري، المصدر السابق، ص ص123–124.

للوزراء جريا على القاعدة المتبعة، ان يعيد تشكيل وزارته، وفي 5 تموز تألفت الوزارة الجديدة. الا انه سرعان ما دب الخلاف بين الخديوي وشريف باشا فقدم الاخير استقالته في 18 اب 1879م، وترأس الخديوي الوزارة للفترة من 18اب – 21 ايلول 1879م، والتي كان من اهم اعمالها اقرار العمل بنظام الرقابة الثنائية، وتعيين **افلن بارنج** [*](Evelyn Baring) مفتشاً على الايرادات، والمسيو بلنيير رقيباً على الحسابات والدين العمومي [1].

اعاد الخديوي توفيق تشكيل مجلس الوزراء في 21 ايلول 1879م، وكلف **مصطفى رياض باشا** [**]بتشكيل الوزارة الجديدة (21 ايلول 1879 / 10 ايلول 1881م)، ولكن الخديوي احتفظ لنفسه حق رئاسة الجلسات كلما استلزم الامر ذلك [2].

(**) ولد بمصر عام 1823م، وهو احد الضباط والسياسيين الموهوبين، شغل منصب رئيس شورى النواب عند افتتاحه عام 1875م، ثم عمل وزيراً للداخلية والخارجية، وقع نيابة عن الحكومة المصرية معاهدة الغاء تجارة الرقيق 1877م، وعين رئيساً للوزراء عام 1879م، ثم ولي هذا المنصب عدة مرات كان اخرها عام 1884م. محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، (د.م، 1959م)، ص ص1660-1661.

(*) ولد سنة 1841م ونشأ بمقاطعة نورفلك بانكلترا، وتثقف في المدارس العليا، انتظم في الجندية البريطانية سنة 1858م برتبة ملازم، احيل على التقاعد سنة 1879م وهو برتبة ميجر (بكباشي = عقيد)، عين سكرتيراً لحاكم الهند للفترة (1872-1876م)، وفي سنة 1876م عينته بريطانيا مندوبا عنها في صندوق الدين العام. وفي السنة التالية للاحتلال البريطاني لمصر 1882م، ارسل الى مصر بوصفه معتمداً سياسياً وقنصلاً عاماً. مجلة الهلال، "اللورد كرومر" ((مصر))، ع6، س25، اذار 1917، ص514.

(1) احمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، ج3، مطابع دار الشعب، (القاهرة، د.ت)، ص ص1055-1059.

(**) ولد بمصر عام 1834م، تعلم في مدارس الحكومة التي انشأها محمد علي باشا، اصبح كاتباً خاصاً لسعيد باشا والي مصر، ثم تدرج في مناصب عديدة، منها: مدير (محافظ) مديرية الجيزة 1873م، ورئيس ديوان الخديوي اسماعيل، ثم رئاسة الديوان الخصوصي (الخاص)، وبعدها رئيسا للوزراء، توفي في 17 حزيران 1911. الطعمي، المصدر السابق، ص427.

(2) الارل اوف كرومر، كتاب مصر الحديثة، نقله الى العربية اسكندر شاهين، ج2، مطبعة الوطن الجديدة، (د.م، 1908)، ص140.

ونتيجة لاستمرار تدهور الاحوال في مصر وزيادة تدخل بريطانيا وفرنسا في شؤون البلاد ولاسيما المالية منها كانت ولادة حركة وطنية في مصر يساندها العسكريون الذين مثلوا غضبة وطنية على الاتراك والجراكسة، فاندلعت الثورة الوطنية بزعامة احمد عرابي (***).

كان هناك مركزان للحركة الوطنية: الاول هو مجلس شورى النواب، والثاني المركز الاهلي المتمثل ببيت السيد البكري نقيب الاشراف، حيث كان يلتقي فيه الاحرار من علماء الدين والنواب وضباط الجيش الناقمين على الاوضاع العامة [1].

ترجع اسباب الثورة العرابية الى تذمر الضباط الوطنيين من سوء معاملة رؤسائهم لهم ولاسيما عثمان رفقي الجركسي وزير الجهادية (الحربية) في عهد رياض باشا الذي لم ينصف معاملة ضباط الجيش المصري [2]، فضلاً عن تأخير دفع مستحقاتهم المالية، واحالة العديد منهم الى التقاعد بحجة الاقتصاد في النفقات [3]، كما جعل عثمان رفقي اكثر الترقيات في الجيش للجراكسة حصرا، واعد مشروع قانون القرعة العسكرية الجديد في 31 تموز 1880م، الذي يحول دون ترقية الجنود الذين لم يتخرجوا من المدارس العسكرية، وشرع باقصاء كبار الضباط المصريين [4].

(***) احمد عرابي: ولد سنة 1841م في قرية هرية رزنة بمحافظة الشرقية على بعد ميلين شرقي بندر (مدينة) الزقازيق، التحق بالسلك العسكري عام 1855م ايام سعيد باشا وترقى الى مرتبة ملازم ثاني، وبدأ يصعد سلم الترقيات حتى وصل الى رتبة اميرالاي (امير لواء) في عام 1880م. احمد عرابي، مذكرات عرابي ((كشف الستار عن سر الاسرار في النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية في عامي 1298-1299 الهجريتين - وفي 1881 و 1882 الميلاديتين))، ج1، (د.م، د.ت)، ص ص11-12.

(1) حسين، المصدر السابق، ج3، ص19.

(2) عبد الرحمن الرافعي، الزعيم الثائر احمد عرابي، ط3، دار ومطابع الشعب، (د.م، 1968)، ص16.

(3) مجلة المقتطف، "اسباب الاحتلال البريطاني"، ج5، مج 33، ايار 1908، ص398.

(4) عبد الرحمن الرافعي، الثورة العرابية والاحتلال الانكليزي، ط3، (د.م، 1966)، ص ص 71-72.

احدثت هذه السياسة حركة احتضنت البدو والقبط والاعيان فضلا عن الفلاحين، ولكن قيادتها كانت بيد الجيش فكانت ثورة عسكرية بحتة [1]. وكان المصريون يومئذ يحاولون تحسين حالهم بحركة لها صفة وطنية ولايمكن تحقيق ذلك الا بتدخل الجيش في مثل هذه الاحوال [2].

اجتمع عرابي في داره بعدد من كبار الضباط، وهم: عبد العال حلمي آمر الفوج السوداني، وعلي بك فهمي آمر فوج الحرس الخديوي في عابدين، والبكباشي (مقدم) محمد عبيد من فوج الحرس، والقائمقام (عقيد) احمد بك عبد الغفار من فوج الخيالة [3]. وقرروا رفع مطالبهم الى رئيس مجلس الوزراء اوضحوا فيها ما يعانيه الجيش من سياسة التفرقة التي يقوم بها عثمان رفقي بين الضباط الاتراك والجراكسة من جهة وزملائهم المصريين من جهة اخرى، كما طالبوا باعادة الذين عزلهم وزير الحربية فضلاً عن عزل الوزير عثمان رفقي وزيادة عدد الجيش، والمطالبة بالحكم الدستوري [4]. ووقع على هذه العريضة كل من عرابي وعلى بك فهمي وعبد العال بك حلمي.

وفي يوم 17 كانون الثاني 1881م، اي غداة الاجتماع، قدم عرابي مطاليبهم الى رياض باشا الذي حاول تهديدهم قائلا: **'ان تقديم مثل هذه العريضة يؤدي الى الهلاك، ولكن عرابي وصحبه لم يرهبهم رياض باشا واجابوه بان مطالبهم تستند الى العدالة والحق والقانون، ولولا اقتناعهم لما كتبوها ولاحضروها، واخيراً قال لهم رياض باشا انه سينظر في طلباتهم** [5].

---

(1) D.A. Farnie, East and West of Suez 1854-1956, Ciarendon Press, (Oxford, 1969), P. 283.

(2) كرومر، المصدر السابق، ج2، ص137.

(3) حسن الفكهاني، موسوعة تاريخ مصر الحديثة، مج1، الدار العربية للموسوعات، (د.م، 1978)، ص32.

(4) كرومر، المصدر السابق، ج2، ص159 ؛

J.C.B. Richmond, Egypt 1798-1952, Columbia University Press, (New York, 1977), P. 153.

(5) الفكهاني، المصدر السابق، مج1، ص36.

اجتمع مجلس الوزراء يوم 31 كانون الثاني 1881م في قصر عابدين برئاسة الخديوي توفيق وبحث في امر هذه العريضة، فاستقر الرأي على وجوب محاكمة الضباط الثلاثة واحالتهم الى المجلس العسكري. واخذ عثمان رفقي على عهدته تنفيذ القرار والتحايل على الضباط وارسل اليهم في مساء ذلك اليوم بطاقات يدعوهم فيها الى الحضور لديوان الوزارة بقصر النيل صباح اليوم التالي بحجة المداولة معهم في ترتيب الاحتفال بزفاف الاميرة جميلة هانم شقيقة الخديوي توفيق [1].

تيقن عرابي الى ان هناك مؤامرة مدبرة ضده وضد زميليه لانه كان يعرف ان العناصر الجركسية المسيطرة على الحكم لن تقبل بالمطالب الوطنية في صفوف الجيش بكل الوسائل، فاتخذ عرابي وزملائه كل الاحتياطات بما يكفل انقاذهم من المؤامرة المبيتة ضدهم، ثم ذهبوا الى ديوان الوزارة صباح الاول من شباط 1881م. وبمجرد وصولهم جردهم الضباط الجراكسة الموالين للحكومة من اسلحتهم وقرأ الجنرال ستون (Stoon) رئيس اركان حرب الجيش المصري عليهم الامر القاضي باعتقالهم ومحاكمتهم [2].

عندما علم الضباط الوطنيون بمؤامرة وزير الحربية ثاروا جميعاً وتأهبوا واعدوا فرقهم العسكرية لانقاذ عرابي وزميليه [3]، فقام المقدم محمد عبيد بالتوجه مع ثلة من الجيش لانقاذ المحتجزين، ولما حاول العقيد خورشيد بك اعتراض طريقهم امر محمد عبيد باعتقاله [4] وحاصر محمد عبيد وزارة الحربية بجنوده حيث كانت تجري محاكمة عرابي وزميليه، وامر جنوده باقتحام الوزارة وانقاذهم [5]، فلاذ عثمان رفقي بالفرار وهرب

(1) الرافعي، الزعيم الثائر احمد عرابي، ص36.

(2) محمد عصام المرشدي، الثورة العرابية واثرها في تطور الشعب ونهضته، دار المعارف (مصر، 1952)، ص21.

(3) الرافعي، الثورة العرابية والاحتلال الانكليزي، ص ص105-107.

(4) المرشدي، المصدر السابق، ص ص21-22.

(5) Mary Rowlatt, Founders of Modern Egypt, Asia Publishing House, (N.B, 1962), P. 50.

اعضاء المجلس العسكري الذي كان في حالة انعقاد حين احسوا بالهجوم ضدهم. وعثرت القوة المهاجمة على الضباط الثلاثة المحتجزين واطلقت سراحهم [1].

فقدت الحكومة هيبتها بعد نجاح عرابي وزملائه في احباط خطط عثمان رفقي، وتم تعيين **محمود سامي البارودي** [*] وزيراً للحربية، وحدثت امور صغيرة في ظاهرها ولكن في مجموعها اقنعت الخديوي توفيق بانها انتقاص من نفوذه وهيبته وحكومته، وكان البارودي يؤيد الضباط الثائرين، فابعده وعين مكانه داؤد باشا يكن (صهر الخديوي). واصدر الاخير اوامر تقضي بعدم تجمع الضباط بمنازلهم، وحاول اجراء تنقلات في صفوف الضباط الوطنيين الذين امتنعوا عن تنفيذها ورأوا انه لابد من القيام بتظاهرة عسكرية يقدمون من خلالها مطالبهم في اصلاح الجيش وفي الامور الوطنية الاخرى مثل المجلس النيابي [2].

كان يوم الجمعة 9 ايلول 1881م يوماً مشهوداً في تاريخ مصر الحديث، اذ اندلعت في هذا اليوم الثورة العرابية التي كانت بمثابة ثورة الشعب المصري ضد التدخل الاجنبي والحكم الاستبدادي [3]، احتشد في ميدان عابدين ما يقرب من اربعة الاف جندي حاملين معهم اسلحتهم، وتجمعت خلفهم اعداد من اهالي القاهرة ووفود الاقاليم لرؤية احد فلاحي مصر (وهو احمد

---

(1) فاضل حسين، "الثورة العرابية في مصر 1881-1882"، مجلة المؤرخ العربي، ((بغداد))، ع33، س13، 1987، ص20.

(*) ولد في سراية باب الخلق سنة 1840م، وتلقى علومه في المدارس الحربية التي انشأها محمد علي باشا، وتخرج سنة 1855م. وكان منذ نعومة اظافره ميالاً الى الادب والشعر، شارك في جيش مصر الذي ارسل لمساعدة الدولة العثمانية في اخماد ثورة كريت سنة 1868م، وتقلد سنة 1879م منصب محافظ الشرقية، توفي عام 1904م. جرجي زيدان، بناة النهضة العربية، دار الكاتب العربي، (د.م، 1982)، ص ص47-48.

(2) مكي شبيكة، تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان)، دار الثقافة ببيروت، (لبنان، 1965)، ص ص575-576.

(3) عيادة العزب موسى، 90 سنة على الثورة العرابية، مؤسسة روز اليوسف، (د.م، 1971)، ص ص17-19.

عرابي) وهو يقول للخديوي: "**لقد خلقنا الله احراراً ولم يخلقنا تراثاً وعقاراً فوالله الذي لا إلـه إلا هو اننا سوف لا نورث ولا نستعبد بعد اليوم**"(1).

ألتفت الخديوي الى عرابي وطلب منه اغماد سيفه فاغمده وسأله عن معنى حركته، فأجاب بان الجيش جاء الى الساحة بأسم الشعب الذي يمثله، ولهذا فهو بأسم الشعب المصري يصر على تحقيق مطالب ثلاثة، وهي (2):

اولا: اسقاط وزارة رياض باشا بأكملها.

ثانيا: دعوة المجلس النيابي للانعقاد (لكونه معطل).

ثالثا: زيادة عدد الجيش الى (18000) الف جندي.

كان الخديوي يبحث عن الوسائل الكفيلة بخنق الحركة الوطنية والقضاء عليها، غير ان اهم الانجازات التي احرزتها الثورة هي نجاحها في عزل اعداد كبيرة من القيادات الجركسية والتركية في الجيش ثم تمهيد ارضية لها داخل المجتمع فأرسلت مطالبها الى الاعيان والتجار والفلاحين تشرح فيها اهدافها واتجاهاتها (3).

وعد الخديوي توفيق بأن يجمع الاعيان ويمنح الدستور، وان تحكم مصر من الان فصاعداً على مقتضى قوانين الحق والعدل لا بواسطة الاجانب، وانما بواسطة نواب الشعب المصري انفسهم (4). وفي 14 ايلول 1881م تألفت وزارة شريف باشا الثالثة (الوزارة الوطنية الاولى)(5).

---

(1) عرابي، المصدر السابق، ج1، ص79.

(2) لورد كرومر، الثورة العرابية، ترجمة: عبد العزيز عرابي، الشركة العربية للطباعة والنشر، (د.م، د.ت) ص59، كرومر، مصر الحديثة، ج2، ص198 ؛

Rowlatt, Op. Cit, P. 35.

(3) عدنان حسين رشيد الشيخلي، الفكر القومي العربي في مصر 1882–1922م، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية – جامعة المستنصرية، 1980م، ص62.

(4) بلنت، المصدر السابق، ج2، ص202.

(5) حسين، المصدر السابق، ج3، ص1070.

بدأت كافة الاطراف الدولية المعنية بالمسألة المصرية في اتخاذ المواقف المنسجمة مع مصالحها. ففي 8 كانون الثاني 1882م، توجه السير ادوارد مالت (Sir Edward Malet) معتمد بريطانيا ومسيو ساينكوكز (Sienkiewicz) المعتمد الفرنسي سوية الى سراي (قصر) عابدين، وقدما الى الخديوي مذكرة مشتركة عن دولتيهما مؤرخة في 7 كانون الثاني 1882م مكتوبة بصيغة رسالة برقية من وزارة خارجية كل منهما الى معتمدها في مصر، وابلغها ايضاً الى شريف باشا، وجاء فيها: "**كلفتم غير مرة بأن تنهو الى علم الخديو وحكومته ارادة فرنسا وانجلترا وعزمها على تأييده للتغلب على الصعوبات المختلفة التي قد تعترض انتظام الشؤون العامة في مصر**"[1].

عندما وصلت المذكرة المشتركة الى الحكومة المصرية قررت رفضها واكدت بان الشعب المصري شعب مسالم يريد الحياة الشريفة داخل بلاده[2]. كما احتج الباب العالي على بريطانيا وفرنسا لدى بقية الدول الاوربية على المذكرة المشتركة المرسلة الى الخديوي توفيق، واكد الباب العالي في مذكرته ان اوضاع مصر الداخلية لا تتطلب مساعدة الحكومة المصرية داخل القاهرة لاستتباب الامن[3]. ويلاحظ ان هذه المذكرة عملت على تقوية الروابط بين مصر والدولة العثمانية، واصبح فريق من المصريين ينظر اليها كعضد امام التدخل البريطاني – الفرنسي[4].

---

(1) نص المذكرة متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع WWW.moqatel.com.

(2) سعيد عبد الفتاح عاشور، ثورة شعب، (القاهرة، 1985)، ص70.

(3) تيودور روثستين، تاريخ المسألة المصرية 1875-1910، ترجمة كتاب خراب مصر Egypt's Ruin، ترجمة: عبد الحميد العبادي ومحمد بدران، ط2، دار الوحدة، (لبنان، 1981م)، ص262.

(4) محمد مصطفى صفوت، الاحتلال الانجليزي لمصر وموقف الدول الكبرى ازاءه، مطبعة الاعتماد، (مصر، 1952)، ص41.

سقطت وزارة شريف باشا بتاريخ 4 شباط 1882م، وتشكلت بعدها وزارة محمود سامي البارودي، بنفس اليوم واستمرت حتى 17 حزيران 1882م، حيث تم اصدار دستور سنة 1882م [1].

استقبلت الدوائر السياسية البريطانية والفرنسية اعلان دستور سنة 1882م بالسخط والاستياء [2]، وارسلت مذكرة مشتركة بتاريخ 6 شباط 1882م، اعترض فيها على هذا التغيير في النظام، وتجلت في مذكرتهما روح الاستياء من النظام الدستوري بأكمله والنقمة من تخويل مجلس النواب حق تقرير الميزانية، وتحريض حكومتيهما على محاربة هذا النظام [3].

ان مجئ وزارة البارودي يعتبر اكبر انتصار حققته الثورة ضد التغلغل الاجنبي والخديوي، وفي هذا الوقت شعرت بريطانيا وفرنسا بان زمام الموقف قد افلت من يدهما، فبدأت الفتن والمؤامرات الداخلية تطل برأسها على البلاد [4]. مما جعل الحكومتان البريطانية والفرنسية توجهان مذكرة مشتركة الى البارودي بتاريخ 25 ايار 1882م، يعرضان فيها شروطهما لوضع حد لحالة الاضطرابات في مصر، وهذه الشروط هي:

1- ابعاد عرابي باشا مؤقتاً عن مصر مع بقاء رتبته ومرتباته.

2- ابعاد كل من علي باشا فهمي وعبد العال باشا الى اطراف مصر مع بقاء رتبهما ومرتباتهما.

3- استقالة الوزارة الحالية [5].

قررت الوزارة المصرية رفض مطالب الدولتين، وارسلت ردها الى قنصليهما في 26 ايار 1882م، وكان نصه كالاتي: " **الطلبات المدونة في اللائحة التي قدمها قنصلا انجلترا**

---

(1) الرافعي، الثورة العرابية والاحتلال البريطاني، ص197.

(2) صفوت، المصدر السابق، ص44.

(3) نص المذكرة متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع WWW.moqatel.com.

(4) عرابي، المصدر السابق، ج1، ص127.

(5) نص المذكرة متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع WWW.moqatel.com.

وفرنسا فتتعلق بمسائل داخلية تختص بالامور الادارية التي اعترفت الدول الكبرى دائما بان حرية العمل فيها من خصائص الحكومة المصرية[1]. الا ان الخديوي توفيق قبل مطالب الدولتين، فقدم البارودي استقالته على اثرها.

تعرضت الاسكندرية في يوم الاحد 11 حزيران 1882م لاحداث دامية استمرت اربع ساعات، قتل اثناءها عدد كبيرة من المصريين والاجانب[2]. وقد اتخذت القنصليات الاجنبية هذا الحادث وسيلة لتوجيه اللوم الى السلطات المصرية طالبين منها حماية الاجانب في البلاد. الا ان الدول الاوربية الكبرى لم تكتف بتوجيه انذار الى حكومة مصر، بل عملت على عقد مؤتمر في استانبول بتاريخ 23 حزيران 1882م للنظر في المسألة المصرية[3].

بعد هذا الحادث تجمعت الاساطيل البريطانية والفرنسية في مياه الاسكندرية، وحضر الخديوي الى الاسكندرية ليقيم في حمايتها[4]. ثم انفرد الاسطول البريطاني بالتواجد في مياه الاسكندرية بعد ان تلقى الاسطول الفرنسي بقيادة كونراد (Conrad) امراً من حكومته في 5 تموز بالانسحاب من الاسكندرية[5]. وعول قائد الاسطول البريطاني سيمور (Seymore) على التدخل الحربي السريع، فارسل انذاراً نهائياً في صباح 10 تموز الى طلبة باشا عصمت (قائد موقع الاسكندرية) طلب فيه تسليم المدافع

---

(1) نص الرد متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع WWW.moqatel.com.

(2) مصطفى، مصر والمسألة المصرية، ص226.

(3) نص قرارات المؤتمر متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقعWWW.moqatel.com .

(4) عبد الهادي محمد مسعود، الثورات في مصر من عهد سعيد الى اخر عهد توفيق، (د.م، د.ت)، ص259.

(5) Duse Mohamed, In the land of the Pharaohs, 2nd edition, Frank Cass, 1968, P. 93.

المنصوبة في شبه جزيرة رأس التين وعلى الساحل الجنوبي لميناء الاسكندرية، والا تضرب الحصون في صباح اليوم التالي [1].

بعد ان ارسل القائد البحري البريطاني هذا الانذار، ارسل المستر كارترايت (Cartrite) نائب القنصل البريطاني العام (ادوارد مالت) الى اسماعيل راغب باشا رئيس الوزراء (17 حزيران/اب 1882م) خطاباً يلوح فيه بقطع علاقاته مع الحكومة المصرية [2]. ورد مجلس الوزراء على هذا الخطاب، بقوله: "**لم تأت مصر شيئاً يقضي ارسال هذه الاساطيل المتجمعة**". ولكن الاسطول البريطاني لم يتورع عن ضرب الاسكندرية [3].

وفي الساعة السابعة من صباح يوم الثلاثاء 11 تموز بدأ الاسطول البريطاني بقصف حصون الاسكندرية وعلى المدينة ذاتها، واستمر القصف حتى الساعة السادسة مساءً باقصى ما يكون من الشدة وكانت قنابل الاسطول تنزل الخراب وتحصد الارواح، ولم يتوقف القصف الا فترات قليلة خلال هذه المدة [4].

بقيت بوارج الاسطول مستقرة في مراكزها ليلة 12 تموز وفي صباح اليوم التالي استأنفت القصف، وفي الساعة العاشرة والدقيقة الاربعين وجهت قنابلها الى حصون قايتباي والاسبتالية فرفعت الاعلام البيضاء على حصون قايتباي والاطه ورأس التين ايذاناً بطلب المدنة والكف عن القتال من جانب الحصون وعندها توقف القصف [5].

بعد سيطرة القوات البريطانية على الاسكندرية، عهدت بريطانيا بقيادة جيش الحملة البري على مصر الى الجنرال السير جارنت ولسلي (Sir Garnet Wolseley)، ولم

---

(1) الشناوي، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، ج4، ص ص364-365.

(2) نص الخطاب متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع WWW.moqatel.com.

(3) احمد عبد الرحيم مصطفى، الثورة العرابية، (القاهرة، 1961)، ص ص108-109.

(4) الشناوي، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، ج4، ص365 ؛ مسعود، المصدر السابق، ص ص264-265.

(5) الرافعي، الثورة العرابية والاحتلال الانكليزي، ص ص394-406.

يكد يستقر بـالجنرال المقـام في الاسـكندرية حتـى اذاع اعلانـه الـشهير بتـاريخ 19 اب 1882م [1]، الذي ادعى فيه "ان دخول هذا الجيش كان بقصد الحفاظ على سمعة الخديوي [2].

بدأت القوات البريطانية بالزحف نحو القاهرة وجرت بينهـا وبـين القـوات المـصرية معارك عديدة (الرملـة 5 اب / كفـر الـدوار 27-23 اب / واقعـة القـصاصين الاولى 28 اب / واقعة القصاصين الثانية 9 ايلول) تكبدت خلالها القوات المحتلـة ضـربات موجعـة، الا ان قوة ثباتها وتفوق اسلحتها وسهولة حصولها على الامدادات جعلـت كفـة الـصراع تميل الى جانبها في اغلب المعارك [3]. وتراجعت القوات المصرية لتكون معركة التل الكـبير هي الحسم.

في مساء يوم 12 ايلول تأهب الجنرال ولسلي للزحـف علـى التـل الكـبير واختـار حلول الليل موعداً لبدء الزحف ليتقي حر النهار، وليتخذ من ظلمـة الليـل سـتاراً لخطتـه القائمة على المباغتة. وكان لصدور منشور الباب العـالي بـاعلان عـصيان عرابـي اثـره في انخفاض الهمـم، الا ان ضباط الجيش اصروا على مواصلة التصدي. بدأ القتـال في الـساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والاربعين من فجـر يـوم 13 ايلـول 1882م، ففـر افـراد الجـيش المصري مذعورين [4]، اما عرابي الذي كان يستمد مكانتـه العـسكرية والـسياسية بـصورة

---

(1) نص الاعلان متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع WWW.moqatel.com.

(2) السلطان عبد الحميد الثاني، مـذكراتي الـسياسية 1891-1908، ط2، مؤسـسة الرسـالة، (بـيروت، 1979م)، ص112.

(3) للمزيد من المعلومات، ينظر: الرافعي، الـزعيم الثـائر احمـد عرابي، ص ص182-186 ؛ المرشـدي، المصدر السابق، ص ص65-84.

(4) للمزيد من المعلومات عن معركة التل الكبير، ينظر: محمود الخفيـف، احمـد عرابـي الـزعيم المفـترى عليه، ط4، دار الوحدة، (بيروت، 1982)، ص ص433-435 ؛ الرافعي، الثورة العرابية والاحتلال الانكليزي، ص ص489-491 ؛ كرومر، الثورة العرابية، ص ص222-224.

رئيسة من كونه وزيراً للحربية، فقد عمل على توجيه قواته الى التمركز في القاهرة في محاولة منه للدفاع عنها [1].

قصد عرابي قصر النيل حيث التقى بعض اصحابه وعدداً من الوجهاء فضلاً عن بعض الامراء، وتشاوروا فيما اذا كانوا ينوون تسليم القاهرة الى البريطانيين ام يدافعون عنها. لكن عرابي ادرك اخيراً ما فعلته الخيانة اثناء معاركه ضد البريطانيين وما آلت اليه ثورته، فقد انحلت العزائم، فرأى ان من الاولى حقن الدماء وحفظ القاهرة من الخراب، وفضل هو واصحابه أن يسلموا انفسهم ولإيقاف الحرب. وفي 14 ايلول 1882م سلم عرابي وطلبة عصمت نفسيهما الى الجنرال لو (Low) القائد البريطاني في العباسية كأسيري حرب، وفي اليوم نفسه دخل الجنرال ولسلي القاهرة معلنا احتلالها [2].

دخلت مصر مرحلة جديدة من تاريخها، الا وهي مرحلة الاحتلال البريطاني. هذا الاحتلال الذي سيطر على جميع مقدرات مصر لسنوات عديدة متخذاً من استتباب الامن، واعادة سلطة الخديوي عذراً في بقائه، وعانى الشعب المصري من مختلف المظالم على يد الاحتلال حتى ظهرت وتبلورت فكرة الوطنية المصرية على يد العديد من المثقفين، معلنين الدفاع عن حقوقهم ووقوفهم بوجه الاحتلال متخذين الجلاء شعاراً لهم.

---

(1) Wilfred Scawen Blunt, Secret History of the English Occupation of Egypt, t. Fisher Unwin, (London, N.D), P. 385.

(2) حسين، الثورة العرابية في مصر، ص ص30-13.

الفصل الأول

الإدارة الاستعمارية البريطانية

في مصر 1882- 1914م

الفصل الأول

الإدارة الاستعمارية البريطانية في مصر 1882- 1914م

لم يكد البريطانيون يحتلون مصر، حتى اتبعوا سياسة استعمارية ماكرة بعيدة الاهداف ترمي الى قتل الروح الوطنية في مصر والسيطرة على أجهزة الحكم فيها، وشرعوا في تنفيذ مخططاتهم الاستعمارية عن طريق التغلغل في الادارة المصرية من خلال تعيين موظفين بريطانيين يعتمد عليهم، ولقد رأى الاحتلال ان هناك امرين هامين لضمان سيطرته على الادارة المصرية، وهما: الناحية الاقتصادية، والناحية العلمية.

اولا: سياسة الاحتلال على الصعيدين الاداري والاقتصادي

بعد ان سيطر الجنرال ولسلي على القاهرة استدعى سفير بريطانيا في استانبول **اللورد دوفرين**(*) (Lord Dufferin)، الذي كان يحظى بثقة **وليم غلادستون**(**) (William Gladstone) رئيس وزراء بريطانيا (1880-1885م)، لكي يساعده في تنظيم

(*) سياسي بريطاني كبير ولد في فلورنس في ايطاليا عام 1826م، شغل منصب حاكم لكندا للفترة (1872-1878م)، واصبح سفيرا لبريطانيا في استانبول حيث لعب دوراً اساسياً في رسم السياسة البريطانية تجاه مصر قبل الاحتلال وبعده. كتب تقريراً مهماً الى حكومته عن احوال مصر عام 1883م. خلف اللورد ريبون (Lord Ripon) في منصب نائب ملك الهند للفترة (1884-1888م)، واصبح سفيرا بريطانيا في ايطاليا للفترة (1889-1891م)، وسفيرا في فرنسا خلال الفترة (1892-1896م)، توفي عام 1902م.

Marlowe, Cromer in Egypt, P.P. 69-75.

(**) ولد غلادستون في ليفربول في بريطانيا بتاريخ 19 كانون الاول 1809م، من عائلة اسكتلندية، تلقى تعليمه في كلية ايتون في اكسفورد، وتولى رئاسة الحكومة البريطانية للفترة ما بين (1868-1874م) و (1880-1885م)، وايضا للفترة (1892-1894م)، توفي في 19 ايار 1898م. للمزيد من المعلومات، ينظر: سهيلة شندي عوان، وليم غلادستون والقضية الايرلندية 1868-1894م، اطروحة دكتوراه غير منشورة قدمت الى كلية الاداب – جامعة بغداد، 2005م، ص ص1-11.

اوضاع مصر وفقاً لمصالح بريطانيا الاستعمارية [1]. ووصل السفير البريطاني الى القاهرة في 3 تشرين الثاني1882م، فعمل على اعادة تشكيل الجيش المصري الذي كان قد سرح بأمر من الخديوي توفيق بحيث لا يضم من سبق لهم الاشتراك في الثورة العرابية [2]، وان يوضع تحت قيادة بريطانية [3]. ثم الغى دستور مصر ومجلس نوابها [4]، كما اوصى بأنشاء قوة بوليس (شرطة) تحت اشراف وقيادة البريطاني السير فلنتين بيكر (Sir Flanten Baker)[5]، وحل المراقبة الثنائية وتعيين السير اوكلاند كولفن (Sir Auckland Colvin) مستشاراً مالياً بريطانياً [*] يضطلع بالسلطات التي كانت منوطة بالمراقبين الماليين ويتولى

---

(1) روثستين، المصدر السابق، ص167.

(2) رؤوف عباس واخرون، "محمد فريد ومذكراته"، مجلة الكاتب، ((مصر))، ع104، س9، تشرين الثاني 1969م، ص25.

(2) Hurewitz, Op. Cit, Vol. 1, P. 198.

في 16 كانون الثاني 1883م اصدر الخديوي توفيق مرسوما بتعيين السير افلن وود (Sir Evlyn Wood) احد قواد الحملة سرداراً (قائداً عاماً) للجيش المصري ورئيساً لاركان حربه، وبقي في هذا المنصب حتى استقالته في اذار 1892م، فخلفه اللورد كتشنر (Lord Kitchener) الذي ظل يشغل هذا المنصب حتى كانون الاول 1899م، ثم خلفه السير ريجنالد ونجت، وظل هذا في منصبه حتى استقالته عام 1919. عبد الرحمن الرافعي، مصر والسودان في اوائل عهد الاحتلال (تاريخ مصر القومي من سنة 1882م الى سنة 1892م)، ط2، الدار القومية للطباعة والنشر، (القاهرة، 1966م)،

ص16 ؛ للمزيد من المعلومات عن الجيش المصري في عهد الاحتلال، ينظر: عبد العظيم رمضان، الجيش المصري في السياسة 1882-1936م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر، 1977).

(4) عبد العزيز رفاعي، قضية الجلاء عن مصر بين سنتي 1882-1907، دار القلم، (القاهرة، 1961)، ص37.

(5) عباس واخرون، المصدر السابق، ص25.

(*) استقال كلفن من منصبه بعد ايام، فعين السير ادجار فنسنت (Sir Edgar Vincent) بدلا عنه.

وضع ميزانية جديدة ويكون له حق حضور جلسات مجلس الوزراء [1]، وتعيين السير كولن سكوت مونكريف (Sir Colin Scott Moncrieff) مستشاراً لوزارة الاشغال مع عدد من المفتشين البريطانيين بهدف تحسين احوال الري، والعمل على زيادة الطاقة الانتاجية للبلاد [2] وتطرق الى القضاء وادخل العنصر الاوربي في المحاكم الاهلية، واسند منصب النائب العمومي الى محام بريطاني هو السير بنسون مكسويل (Sir Benson Maxwell) في 24 اذار 1883م [3].

كما عمل اللورد دوفرين على اصدار القانون الاساسي لمصر في ايار 1883م، الذي نص على: انشاء مجلسين نيابيين، الاول (**مجلس شورى القوانين**) ويتالف من ثلاثين عضواً تعين الحكومة اربعة عشر منهم بمن فيهم الرئيس، بوصفهم اعضاءً دائمين، وتختار المجالس المحلية مثل هذا العدد من بين اعضائها، وتنتخب مدينة القاهرة عضوا على ان تنتخب الاسكندرية وبعض المدن الاخرى التي تقل عنها اهمية العضو الباقي. وكانت وظيفة هذا المجلس ابداء الاراء حول مشاريع القوانين التي تعرضها الحكومة عليه وليس للمجلس الحق في اجازة أي قانون باعتبار ان ذلك من صلاحية الحكومة، التي تقبل رأي المجلس او ترفضه. اما المجلس الثاني وهو (**الجمعية العمومية**) فيتألف من اثنين وثمانين عضواً ينتخب اهل البلاد منهم ستة واربعين عضواً فقط، فيما يتألف الباقون من الوزراء الستة ومن اعضاء مجلس شورى القوانين، ومن صلاحيات هذه الجمعية رفض إقرار أي ضريبة جديدة دون الاخذ برأيها واستشارتها فيما يخص القروض العامة وحفر القنوات ومد السكك الحديدية، وفيما عدا ذلك فرأيها كرأي مجلس شورى القوانين، أي مجرد

---

(1) احمد عبد الرحيم مصطفى، تاريخ مصر السياسي من الاحتلال الى المعاهدة، دار المعارف، (مصر، 1967)، ص9 ؛ Marlowe, Anglo-Egyptian, P.P. 132-133.

(2) عباس واخرون، المصدر السابق، ص25، مصطفى، تاريخ مصر السياسي من الاحتلال الى المعاهدة، ص9.

(3) الرافعي، مصر والسودان، ص29.

رأي استشاري، وكانت تتعقد مرة كل سنتين وجلساتها كجلسات مجلس الشورى سرية (لا يسمح للجمهور بحضور جلساتها)[1].

عاد اللورد دوفرين الى استانبول في ايار 1883م[2]، واصبح من الضروري تعيين معتمد بريطاني جديد بدلاً من السير ادوارد مالت، قنصل بريطانيا في مصر، لانه اثبت عدم صلاحيته لهذه المهمة كونه غيرمحبب للمصريين، وكانت تنقصه سعة الحيلة اللازمة[3]، واختير افلن بارنج (*) معتمداً جديداً في مصر(1883-1907م)، والذي وصل الى القاهرة في11ايلول1883م ليمارس مهامه كقنصل عام[4]. وهكذا انتقلت السلطة الفعلية في مصر بطريقة مباشرة الى القنصل البريطاني العام (British Agent and Consul General) والى اعوانه من المستشارين الذين عينوا في الوزارات المختلفة [5].

شرعت سلطات الاحتلال بالقيام بالعديد من الاجراءات الاقتصادية، بدءاً بألقاء نفقات الاحتلال على كاهل المالية المصرية، وكذلك دفع تعويضات لأولئك الذين تضرروا جراء حريق الاسكندرية (*)، حتى ان ميزانية عام 1882م اختتمت بعجز يزيد

---

(1) روثستين، المصدر السابق، ص168 ؛ عمر، المصدر السابق، ص348.

(2) الرافعي، مصر والسودان، ص31.

(3) عمر، المصدر السابق، ص349.

(*) منح افلين بارنج لقب باير pair (نبيل) عام 1892م تحت لقب (لورد كرومر) وسمي اللورد كرومر منذ ذلك الوقت. كما حصل على رتبة الفيكونت عام 1899م، ولقب ايرل عام 1901م. مصطفى، تاريخ مصر السياسي، ص14.

(4) P.J. Vatikiotis, The History of Egypt, Weiden Field and Nicolson, (London, N.D.), P. 172; Marlowe, Cromer in Egypt, P. 80; P.M. Holt, Political and Social change in Modern Egypt, Oxford University Press, (London, 1968), P. 308.

(5) R. Owen, "The Influence of Lord Cromer's Indian Experience on British Policy 1883-1907", Middle Eastern Affairs, Vol. 4, 1965, P.P. 109-113.

(*) حدث حريق الاسكندرية في 12 تموز عام 1882م نتيجة الاوامر التي اصدرها قائد الالاي السادس سليمان سامي داوود لقواته في الاسكندرية لكي يمنع بذلك العمل نزول القوات البريطانية فيها واتخاذها قاعدة حربية لزحفهم، الا ان ذلك لم يمنع نزول القوات البريطانية فيها، وقد اشترك في اضرام ذلك الحريق بعض الاوربيين وخاصة المالطيين الذي بقوا في المدينة.وكانوا يقصدون من ذلك

على (600,000) الف جنيه مصري [1]، كما توجب على المصريين دفع نفقات جيش الاحتلال [2].

حرص اللورد كرومر على حرمان المصريين من المشاركة في ادارة شؤون بلدهم، وجعل هذه الادارة جهد المستطاع ادارة بريطانية [3]، وهذا ما بينه في تقريره السنوي لعام 1906م بأن هناك زيادة ملحوظة في عدد الموظفين الاوربيين الذين يعملون في مختلف الوزارات، وان نسبة البريطانيين في مثل هذه المراكز الوظيفية قد ازدادت بنسبة 42٪ الى 59٪ [4].

كانت المسألة المالية من اهم المشاكل التي واجهت المعتمد البريطاني الجديد، ورأى انه لابد من المساس **بقانون التصفية** [**] (Low of Liquidation) للسيطرة على الاوضاع المالية، كما دعت الحكومة البريطانية من جانبها الى عقد مؤتمر دولي في لندن (مؤتمر لندن الاول) في نيسان 1884م، لبحث الوسائل الواجب اتخاذها لتلافي افلاس مصر والنظر في تعديل قانون التصفية [5].

العمل المطالبة بالتعويضات بعد انتهاء الحرب. للمزيد من المعلومات ينظر: الرافعي، الثورة العرابية والاحتلال الانكليزي، ص ص412-413.

(1) روثستين، المصدر السابق، ص ص176-177.

(2) محمد جمال الدين المسدي، دنشواي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر، 1974)، ص53.

(3) عمر، المصدر السابق، ص352.

(4) Tignor, Op. Cit, P. 181.

(**) في سنة 1880م تكونت لجنة لوضع نظام مالي لتسوية الديون العامة، وبيان طريقة وفائها واقساطها، ومقدار ما يخصص لها من ايرادات الخزينة السنوية، واصدرت اللجنة قانونها المشهور بقانون التصفية، والذي كان من اهم مواده تخصيص اكثر من نصف الميزانية لتسديد الديون. للمزيد من المعلومات، ينظر: مسعود، المصدر السابق، ص ص185-186.

(5) عمر، المصدر السابق، ص350.

ونظراً لعدم نجاح المؤتمر الاول، فقد عقد مؤتمر لندن الثاني في تشرين الثاني 1884م، وانتهت المفاوضات مع الدول المشاركة في المؤتمر وهي (المانيا، النمسا والمجر، فرنسا، روسيا، ايطاليا) في 18 اذار 1885م، بعقد اتفاقية نصت على منح قرض الى مصر قيمته 9 ملايين جنيه استرليني بفائدة 3,5٪ على ان يصرف في الاوجه التالية:

1- دفع تعويضات لتجار الاسكندرية من الاجانب.
2- سد عجز ميزانية سنة 1884م والسنين التي قبلها.
3- سد عجز مشروع ميزانية سنة 1885م.
4- تخصيص مليون جنيه مصري لتحسين اعمال الري.
5- دفع مبلغ خاص بالمصروفات العامة لا يقل عن (5,337,000) جنيه مصري، كما نصت الاتفاقية ايضاً على تقسيم الايرادات بين صندوق الدين العام والحكومة المصرية وسمح للاخيرة بانشاء ادارات مختلفة، تكاد تكون مستقلة، لتشرف على الموارد الضامنة للدين. واخذ المعتمد البريطاني يتدخل في جميع فروع الميزانية وينفذ ما يراه ملائماً من الانظمة حين حدوث تطورات جديدة [1].

كما ألفت سلطات الاحتلال في اب 1884م لجنة لاصلاح النظام النقدي، وتقرر اعتبار الجنيه الذهبي وحدة النقد، واصدرت عملات بقيمة عشرين قرشاً وعشرة قروش وقرشين وقرش واحد، وعملة صغيرة نيكلية [2].

اتبع اللورد كرومر خلال عام 1885م سياسة بيع **اراضي الدومين** [*]، **واملاك السنية** [**] وهو اتجاه حرم مصر من مصدر عظيم للثروة على الرغم من انها عادت عليها

---

(1) نوال قاسم، تطور الصناعة المصرية من عصر محمد علي الى عصر عبد الناصر، ط1، مكتبة مدبولي، (د.م 1987)، ص172.

(2) صفوت، المصدر السابق، ص241.

(*) وهي الاراضي التي تنازل عنها بعض افراد الاسرة الخديوية ومساحتها (424.729) فدان، ورهنت مقابل الحصول على قرض من مصرف روتشيلد البريطاني عام 1878م، فعهد بادارتها الى لجنة دولية تسمى قومسيون الاملاك الاميرية (الدومين) مؤلفة من ثلاثة اعضاء، عضو مصري واثنين

بدخل وفير لعدة سنوات، وقد بيع من اراضي الدومين والدائرة السنية عام 1885م ما لا تقل قيمته عن (437,000) جنيه مصري وبيع خلال العامين التاليين اقل ما بيع في سنة 1885م، ومع ذلك حصلت الحكومة المصرية على (118,000) جنيه مصري [1].

كما يعد دكريتو (مرسوم) الاصلاح المالي لعام 1885م من الاجراءات المالية المهمة في تاريخ الاحتلال والذي سُن لكي يساعد الجنيه الاسترليني على طرد بقية العملات الاجنبية ويبقى العملة الوحيدة المتداولة في معاملات مصر المالية الى جانب الجنيه (الليرة) المجيدي العثماني [2].

ومن الوسائل المهمة التي اتبعها كرومر لزيادة دخل الحكومة اصدار قانون (بدل الخدمة العسكرية) سنة 1886م، والذي نص على اعفاء كل شخص يطلب للتجنيد نظير دفع مبلغ (40) جنيه مصري قبل الاقتراع (على التجنيد)، و (100) جنيه مصري بعد الاقتراع، بحيث بلغ ايراد بدل الخدمة العسكرية نحو ربع مليون جنيه مصري سنة 1886م وتم خفض مبلغ الاعفاء من (40) الى (20) جنيه مصري سنة 1888م، الامر الذي مكن اعداداً كبيرة من الفلاحين من دفع البدل مما زاد من ايراداته [3].

اجانب احدهما فرنسي والاخر بريطاني. للمزيد من المعلومات، ينظر: الرافعي، عصر اسماعيل، ج2، ص76.

(**) املاك السنية: وتعني الاراضي الزراعية والمباني والمنشآت الاخرى والمزارع المملوكة للسلطان عبد الحميد الثاني في بعض ولايات الدولة العثمانية، والتي تديرها دائرة املاك السنية، وهذه الدائرة لها فروع في مناطق عديدة في كل ولاية ولها كادر خاص مسؤول من السلطان عبد الحميد الثاني وتحت اشرافه مباشرة. للمزيد من المعلومات، ينظر: صباح حسين اعقاب الجراح، املاك السنية في العراق 1876-1909م – دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الاداب – جامعة الموصل، 2000م، ص15.

(1) ساري عبد الله شبيب الجنابي، اللورد كرومر ودوره السياسي في مصر، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية التربية – جامعة تكريت، 2007م، ص77.

(2) قاسم، المصدر السابق، ص ص182-183.

(3) رفاعي، المصدر السابق، ص72.

كانت السياسة التي اتبعتها سلطات الاحتلال تقوم على ابتزاز اكبر قدر ممكن من المالية المصرية، وفضلا عن ان الهدف المعلن لتلك السياسة كان اصلاح الادارة المصرية لضمان سداد الديون الاجنبية فأن سياسة المعتمد البريطاني قد اتجهت الى تحويل مصر الى سوق لتصدير المواد الخام الى بريطانيا واستيراد السلع المصنعة فيها، فضلا عن استثمار رؤوس الاموال البريطانية في مصر. وتطبيقاً لتلك السياسة تحولت ميزانية مصر بكل مواردها الى ميزانية تسديد ديون حتى بلغت نسبة الفوائد على الدين العام وليس الدين نفسه 32٪ من ايرادات مصر خلال الفترة بين عامي (1880-1909م)، و29٪ من قيمة الصادرات في الفترة نفسها [1].

ومن ابرز ملامح سياسة اللورد كرومر تقليص عدد الموظفين المصريين، وخفض تخصيصات الكثير من المصالح، كمخصصات التعليم والاعانة السنوية للجمعية الجغرافية الخديوية وقدرها (100) جنيه مصري [2]، في حين لم يكن هناك نظام لاستخدام البريطانيين في الخدمة المدنية المصرية لاسيما في السنوات الاولى من الاحتلال [3].

وفي عام 1888م انشأ الصندوق الاحتياطي العام لتسلم نصيب صندوق الدين العام من فائض الايرادات وعقب انشاء الصندوق الاحتياطي الخاص عام 1886م، والذي كان يستولي على جميع ما توفره الحكومة من نصيبها من الايرادات [4].

فضلا عن ذلك، عملت سلطات الاحتلال على ايجاد اجواء مناسبة لاستثمار رؤوس الاموال البريطانية في مصر، تمثل ذلك في تأسيس عدد من فروع البنوك (*)، منها

(1) صلاح عيسى، "البرجوازية المصرية واسلوب المفاوضة"، مجلة افاق عربية، ((بغداد))، ع6، س4، شباط 1979، ص14.

(2) قاسم، المصدر السابق، ص173.

(2) Tignor, Op. Cit, 185.

(4) رفاعي، المصدر السابق، ص75.

(*) كان عام 1865م هو العام الذي اسس فيه اول بنك في مصر وهو (البنك المصري)، وكان مركزه الرئيسي في لندن ومكتبه العام في الاسكندرية مع فرع في القاهرة، وكان الغرض من انشائه هو

البنك الاهلي المصري عام 1898 الذي منح حق اصدار اوراق مالية (صكوك) قابلة للدفع عند الطلب، وبدأ طبع هذه الاوراق في ايار 1899م، وفي 31 كانون الاول 1899م اصبحت تلك الاوراق قيد التداول [1].

وهكذا استطاعت سلطات الاحتلال السيطرة على موارد مصر المالية الامر الذي ساعد على تعزيز وجودها في مصر فضلا عن زيادة الايرادات وموازنتها بالمصروفات بوسائل ملتوية. وهذا ما اشار اليه اللورد كرومر في تقريره السنوي عن مصر لعام 1899م والذي بين فيه ان الفائض وصل الى (402,000) جنيه مصري وهذا ما جعل الخزينة المصرية لعام 1900م قوية بما فيه الكفاية لسداد أي عجز او خسارة [2].

ومن الاجراءات الادارية التي تسجل لصالح الادارة البريطانية في مصر، تأسيس الجمعية التشريعية بصدور القانون النظامي الجديد رقم (29) الصادر بتاريخ 1 تموز 1913م، الذي نص على توسيع اختصاص مجلس الشورى بدل القانون القديم لسنة 1883م، الذي تأسس بموجبه مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية وكذلك القانون الانتخابي الجديد الصادر في اليوم نفسه، فقد اوضح هذا القانون القوى التي تتكون منه الجمعية التشريعية، والى جانب الوزراء حدد الاعضاء المنتخبين بستة وستين عضواً، اما عدد الاعضاء المعينين فقد حدد بسبعة عشر عضواً [3].

العمل على رواج التجارة بين مصر وبريطانيا، وقد افلس في عام 1911م. للمزيد من المعلومات، ينظر: صلاح عريبي عباس العبيدي، الدور الاقتصادي للبرجوازيين الوطنيين في المشرق العربي حتى ستينات القرن العشرين.. محمد طلعت حرب.. نوري فتاح باشا.. عبد الحميد شومان.. نموذجاً، اطروحة دكتوراه غير منشورة قدمت الى كلية التربية – جامعة الموصل، 2004م، ص ص49-50.

(1) FO. 633/7. Viscount Cromer to the Marquess of Salisbury. Cairo, Februray 20, 1900. R.M.A.C.G.F.C.E.S.

(2) Ibid.

(3) لاندو، المصدر السابق، ص63.

أ- اثر السياسة الادارية والاقتصادية البريطانية على القطاع الزراعي.

1- الري:

اعتنى اللورد كرومر بتحسين وسائل الري لزيادة انتاج القطن، فأستعان من اجل ذلك بمجموعة من المهندسين البريطانيين اتى بهم من الهند اذ قاموا باصلاح القناطر لتؤدي مهمتها بشكل تام.

كان اغلب طاقم الري تقريباً في العقد الاول من الاحتلال البريطاني قد جلب من الهند، وان كثيراً منهم بقوا في مصر وفق قواعد منظمة فضلاً عن اعداد كبيرة من الخبراء الماليين الذين ارسلوا الى مصر في تلك الفترة [1]. وكان هدف سلطات الاحتلال من مشاريع الري التي قامت بها تعميم الري الدائم، وحجز مياه الفيضان بغية استخدامها لري اكبر مساحة من الاراضي القابلة للزراعة، ومن ثم زيادة الانتاج الزراعي، ومن اجل ذلك تم انشاء العديد من القناطر والسدود، كما اعيد حفر وتعميق عدد اخر منها [2].

وكان من بين تلك المشاريع اصلاح وترميم القناطر الخيرية سنة 1891[3]، وبوشر العمل سنة 1898م في قناطر اسيوط، لتحويل طريقة السقي في المنطقة الواقعة بين القاهرة واسيوط الى الري الدائم طوال العام، وانتهى العمل منها سنة 1902م [4]، وتم افتتاح مشروع خزان اسوان عام 1902م لخزن المياه ايام الشتاء للانتفاع بها وقت الجفاف، وتم رفع الخزان وافتتاحه مرة اخرى في 22 كانون الاول 1912م وحضر حفل الافتتاح الخديوي **عباس الثاني** (*) (1892-1914م) ووزرائه، وقرأ خلاله

---

(1) Tignor, Op. Cit, P. 186.

(2) قاسم، المصدر السابق، ص174.

(3) E.R.J. Owen, Cotton and the Egyptian Economy 1820-1914, (Oxford, 1969), P. 212.

(4) محمد فهمي لهيطة، تاريخ مصر الاقتصادي في العصور الحديثة، (القاهرة، 1938م)، ص393.

(*) ولد الخديوي عباس حلمي في القاهرة عام 1874م، درس في مدرسة عابدين، ثم اتم دراسته في جنيف بسويسرا، واشتهر الخديوي بتعاطف المصريين معه بشكل يفوق تعاطفهم مع من سبقوه، ويمتاز عصره عن عصور سائر اسلافه بنهضة الثقافة واطلاق حرية المطبوعات وكثرة المطابع والجرائد والمجلات، وهكذا شهدت مصر في عهده نهضة علمية واسعة. جرجي زيدان، تراجم

اللورد كتشنر [*] Lord Kitchener (1911-1914م) رسالة من ملك بريطانيا **جورج الخامس** [**] Georg V، جاء فيها: **"ارغب اليكم في هذه الفرصة المباركة ان تعربوا للجناب العالي الخديوي عن تهنئتي القلبية لسموه. بمناسبة انتهاء الاثر الجليل..."** [1] كانت النتيجة المباشرة للاستثمار في مشروعات الري الكبرى زيادة المساحة القابلة للزراعة من (4,700,000) فدان في بداية عهد الاحتلال الى (5,472,930) فدان سنة 1913م [2]، كما زادت مساحة الاراضي الزراعية من (4,762,178) فدان سنة 1879م الى (7,712,412) فدان في سنة 1913م [3]. كما تم انشاء قناطر زفتي سنة 1908م، وحفر

مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ط3، ج1، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت، د.ت)، ص ص81-84.

(*) هوراشيو هربرت كتشنر (1850-1917م): دخل في خدمة الجيش المصري عام 1883م حين شرع البريطانيين يعيدون تنظيمه بعد احتلالهم مصر، اصبح حاكماً للسودان في عام (1899م)، بعدها تقلد منصب القائد العام للقوات البريطانية بالهند (1902-1909م)، اصبح قنصلاً عاماً لمصر للفترة (1911-1914م)، وعند اندلاع الحرب العالمية الاولى 1914م عين وزيراً للحربية البريطانية، مات غريقاً اثناء احدى المعارك. غربال، المصدر السابق، ص1443 ؛ للمزيد من المعلومات حول اعمال كتشنر في مصر والسودان، ينظر: وفاء وليد حسين العزاوي، اللورد كتشنر ودوره السياسي والعسكري في مصر والسودان (1896-1914)، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية التربية – الجامعة المستنصرية، 2005م.

(**) جورج الخامس: ولد في مدينة ماري بوددهاوس بلندن عام 1865م، حكم بريطانيا للفترة (1910-1936م)، اهتم بشؤون الامبراطورية، وزار الهند عام 1911م، غير اسم الاسرة المالكة من ساكس كوبورج جوتا الى وندرسور. غربال، المصدر السابق، ص661.

(1) احمد شفيق باشا، مذكراتي في نصف قرن، ج2، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر، 1998)، ص275.

(2) سعيد، المصدر السابق، ص139.

(3) A.E. Crouchley, Economic Development of Modern Egypt, (London, 1938), P. 275.

الرياح (الابار) التوفيقي، وتعميق الرياح المنوفي، وتطهير رياح البحيرة، كما اكتمل انشاء قناطر اسنا سنة 1908م [1].

شهدت السنوات الاخيرة من عهد اللورد كرومر توسعاً في المشروعات الزراعية فضلا عن تأسيس عدد من الشركات البريطانية لاستغلال ما تبقى من مرافق مصر، فأنشأت الشركة المصرية لسكة حديد الدلتا في سنة 1897م، لتشغيل الخطوط الضيقة، وفي سنة 1898م انشأت شركة الاسواق المصرية ومنحت حق احتكار انشاء وادارة الاسواق في (120) ناحية، وكانت هذه الشركة تستورد السماد الكيمياوي الذي تستخدم كميات كبيرة منه في الزراعة المصرية، وانشأت شركة الدلتا المصرية للاراضي والاستثمار في سنة 1904م لاستثمار الاراضي التي تمر فيها خطوط سكة حديد الدلتا الضيقة [2].

كان من ابرز المؤسسات التي وفرت الحماية لتلك الشركات هي المحاكم الاهلية التي انشأت في 14 حزيران 1883م، فقد انشأ الاحتلال محكمتين: الاولى هي محكمة استئناف اهلية، والثانية هي محكمة مختلطة، وكانت الاولى تختص في النظر في الدعاوي التي يكون المتهم فيها مصرياً، وقد اتضح من القضايا التي تقع بين البريطانيين والمصريين والتي يكون احد المصريين متهماً فيها، ان هناك حاجة الى فرض عقوبات اشد مما تستطيع المحاكم الاهلية ان تفرضه، ولذلك تدخلت سلطات الاحتلال فأصدرت قانوناً عام 1895م يقضي بجواز عرض القضايا التي تقع بين الاهالي من جهة وقوات الاحتلال من جهة اخرى على محاكم شبه عسكرية لأستئناف احكام محكمة الاستئناف الاهلية [3].

---

(1) جمال الدين سعيد، التطور الاقتصادي في مصر، مطابع رمسيس الكبرى، (القاهرة، 1954)، ص159.

(2) الينور بيرتز، الاستعمار البريطاني في مصر، ترجمة: احمد رشدي صالح، في احمد رشدي صالح، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر، 1998)، ص ص19-20.

(3) بيرتز، المصدر السابق، ص21.

تعددت واجبات المعتمد البريطاني في مصر فكان لزاماً عليه ان يراقب الشؤون المالية، والعمل على ازدهار مصر عن طريق التوسع في زراعة اراضيها، وان يشرف على الامور العامة وبسط الامن فيها بصورة كاملة [1]. واخذت حكومة لندن وصحافتها [*] تشيد بالاحتلال وبالخدمات التي قدمها – حسب رأيها – الى مصر حين اشارت الى ان: "**المنافع التي جنتها مصر من الاحتلال لا يمكن تقديرها، وان بريطانيا لا تجني من هذا الاحتلال ربما ما غير سيطرتها على نقطة حربية عظيمة في الامبراطورية، فان زراع مصر المعروفين ((بالفلاحين)) ما عرفوا العدل والمعاملة النزيهة للمرة الاولى الا تحت الحكم البريطاني، ولم يطرأ تحسين على احوال الفلاحين من ايام الفراعنة، فقد تعاقبت الدول وكل ما علمه الفلاحون من هذا التعاقب هو تغيير حكامهم وكان بعض هؤلاء الحكام اشد وطأة عليهم من البعض الاخر الى ان جاء الانكليز** [2].

2- المحاصيل الزراعية.

اتبعت بريطانيا في مصر سياسة التخصص الاقتصادي، اذ تعد مصر بلداً متخصصاً في الزراعة وبخاصة زراعة القطن [3]، لسد حاجة المصانع البريطانية في لانكشير منه، وبقصد انتاج محصول يدر العملات الاجنبية، بما يكفل سداد فوائد الدين الخارجي واقساطه وكانت زيادة انتاج القطن قد جرت على حساب الغلات الزراعية الاخرى مثل الحبوب (القمح والشعير والرز) وبهذا تحولت مصر تماماً من دولة مكتفية ذاتياً من الحبوب الى دولة مستوردة لها، مما ادى الى عجز مصر عن سد حاجتها المحلية من المواد الغذائية [4]، فزاد انتاج محصول القطن سنوياً من (1,818,000) قنطار الى (6,250,000)

---

(1) The Near East, Vol. IV, No. 49, August 2, 1911.

(*) ابرز هذه الصحف، هي: التايمز اللندنية والمورننج بوست.

(2) جريدة الموصل، ع332، س3، الاثنين 7 شباط 1921.

(3) عمر، المصدر السابق، ص350.

(4) احمد محمد الحته، تاريخ مصر الاقتصادي في القرن التاسع عشر، مكتبة النهضة، (القاهرة 1958)، ص50.

قنطـار، وبـذلك زادت قيمـة صـادرات القطـن في اواخـر القـرن التاسـع عـشر مـن (6,244,000) جنيه مصري الى (17,091,000) جنيه مصري [1].

ان من اهم التطورات التي شهدها قطاع الزراعة في مصر والتي كان لها اثراً مباشـراً على تغير هيكلية الاقتصاد المصري تطور نظام الملكية الزراعية في عهد الاحـتلال، اذ تغـير نمط ملكية الاراضي الزراعية في ذلك العهد حين تحولت الى ملكيـة فرديـة خاصـة، وبلـغ عدد الملاك عام 1894م نحو (660,000) مالكاً، ثم اصبح (914,414) مالكاً سـنة 1900م، ثم ارتفع الى (1,556,310) مالكـاً سـنة 1913م [2]، مما حـدا بـاللورد كرومـر الى العمـل للحيلولة دون اضمحلال طبقة صغار الملاك، الامر الذي قـد يـؤدي الى قيـام اضـطرابات بين الفلاحين وكبار الملاك، وهي مشكلة لا يمكـن تفاديهـا الا بتثبيـت الملكيـات الـصغيرة وزيادة عدد ملاكها، فعمل على الغاء بعض الضرائب، ومنع الكرباج (السوط) في عمليـة جباية الضرائب، واصدر تعليمات بالغاء السخرة (العمل بدون اجر) سـنة 1889م، وان لم تنفذ في اغلب الاحيان، وخفض الديون عن طريق القروض [3]، ولم تحل هذه الاجـراءات دون اضمحلال طبقة الفلاحين وفقدان اراضيهم وتحول الكـثير مـنهم الى اجـراء، وحتـى عام 1907م كان هناك حوالي 40٪ من المزارعين يزرعون ارضاً مـستأجرة، وكـان حـوالي 36٪ من العاملين في الزراعة عمال أجرة [4]، وحدث ذلك في وقـت بـدا فيـه بوضـوح ان طبقة من الارستقراطية الزراعية والتي تستمد مكانتها من ملكية الارض الزراعيـة اخـذت

---

(1) روثستين، المصدر السابق، ص212.

(2) قاسم، المصدر السابق، ص176.

(3) عبد المنعم الغزالي، "مسيرة العمال الزراعيين في تاريخ مصر من 1882 الى 1966م"، مجلـة الطليعـة، ((مصر))، ع9، س2، 1966، ص85 ؛ رؤوف عباس حامـد، النظـام الاجتمـاعي في مـصر في ظـل الملكيـات الزراعيـة الكـبيرة 1837–1914م، ط1، دار الفكـر الحـديث، (القـاهرة، 1973)، ص ص137–139.

(4) المسدي، المصدر السابق، ص55.

في النمو مستفيدة من الاوضاع الجديدة، وبذلك استطاعت سلطات الاحتلال تكوين شريحة جديدة من المجتمع ترتبط مصالحها ببقاء سلطة الاحتلال.

ومن اجراءات كتشنر المهمة في القطاع الزراعي تشريع قانون (**الخمسة افدنة**) في عام 1912م، الذي عرف رسميا بـ (قانون الاعفاء)، والذي نصت المادة الثانية منه على: " **ان الممتلكات الزراعية للمزارعين الذين لا يملكون اكثر من خمسة افدنة من الاراضي لا يمكن اخذها مقابل دين** "، وتقرر ان يشمل الاعفاء بيت السكن فضلاً عن رأسين من الماشية المنزلية، والادوات الزراعية الضرورية التي تستخدم في الارض المذكورة (1).

كما استحدثت وزارة للزراعة في عام 1913م، وقدمت خدمات كبيرة لصالح المزارعين، كذلك قام اللورد كتشنر بتطوير طرق المواصلات الرئيسة لتسهيل عمليات النقل المختلفة ولكي تتماشى مع نمو حركة المرور، وطورت سكك الحديد وفتحت فروع لبنوك التوفير في اغلب القرى، وانشأت مواقع لوزن وخزن القطن (2).

ب- الادارة الاستعمارية واثرها على التجارة

كانت طبقة صغار التجار في مصر قد احتجبت وراء طبقة كبيرة من العناصر الاجنبية التي سيطرت على زمام النشاط التجاري والصناعي في البلاد، ولم تترك لاهالي البلاد سوى الاعمال البسيطة (3).

انتعشت التجارة المصرية منذ اواخر القرن التاسع عشر حتى قيام الحرب العالمية الاولى، ويرجع اسباب انتعاشها الى الاعتبارات التالية:

1- نمو الانتاج الزراعي ولاسيما محصول القطن وتصدير اغلبيته الى الخارج.

2- تقدم طرق المواصلات البرية والسكك الحديدية ولاسيما في المناطق الزراعية مما ساعد على نقل المحاصيل الزراعية من اماكن زراعتها بالسكك الحديدية.

---

(1) Lord Lloyd, Egypt since Cromer, Macmillian and Co, Limited, Vol. 1, (N.B, 1933), P.P. 148-149.

(2) Ibid, P. 150.

(3) عبد العظيم محمد رمضان، تطور الحركة الوطنية في مصر من سنة 1918 الى سنة 1936، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، (مصر، 1968)، ص72.

3- زيادة الاستفادة من النقل البحري حيث اصبحت مصر تعتمد اعتماداً كلياً في نقل صادراتها ووارداتها على سفن الدول الاجنبية. ولاسيما بعد ان ساءت حالة الاسطول التجاري المصري المعروف بـ (بواخر البريد الخديوية) الى درجة بالغة واصبح في حاجة ماسة الى الاصلاح والتجديد مما اضطر الحكومة الى بيعه فيما بعد بمبلغ (150,000) جنيه مصري لشركة بريطانية، فلم يبق منه سوى يخت الخديوي الخاص، وبنفس الاسلوب ايضاً تم التعامل مع الترسانة البحرية في الاسكندرية [1].

كل هذه الاعتبارات هو ما يفسر ازدياد عوائد الكمارك خلال سنة 1899م التي وصلت الى (2,093,000) جنيه مصري، وان هذه العوائد بدأت تتزايد في السنوات الاخيرة من عهد كرومر[2]، واستمر ازديادها في عهد خلفه، حتى ان ميزانية عام 1910م قد اغلقت بفائض قدره (550.000) جنيه مصري [3].

كان معظم الذين يعملون في التجارة المصرية سواء اكانوا مصدرين أم مستوردين او باعة جملة، من غير المصريين. ويصح القول بوجه عام، ان البقالة كانت احتكاراً يونانياً، وان تجارة المنسوجات الصوفية والقطنية كانت احتكاراً بريطانياً، اما تجارة الغلال فقد كانت بايدي مختلفة من شرائح عديدة، وان كان اغلبهم من المصريين [4].

كانت قيمة الواردات لعام 1899م قد بلغت (10,909,000) جنيه مصري، وكانت ابرزها تتألف من: الحنطة (245,000) جنيه، والمكائن (82,000) جنيه، والمواد الكيمياوية (43,000) جنيه، والرز (39,000) جنيه، والقهوة (37,000) جنيه. اما الصادرات

---

(1) لميطة، المصدر السابق، ص348.

(2) FO. 633/7. Viscount Cromer to the Marquess of Salisbury. Cairo, February 20, 1900. R.M.A.C.G.F.A.C.E.S.

(3) The Near East, Vol. IV. No. 37, May 17, 1911.

(4) رمضان، تطور الحركة الوطنية في مصر، ص73.

الرئيسية بعد القطن فكانت تتألف من قصب السكر والبيض التي وصلت قيمتها (43,000) جنيه في نفس العام [1].

ويتضح من خلال ما تقدم ان سياسة الاحتلال كانت تعمل على ابقاء المصريين في حالة من القصور والعجز والاعتماد على البريطانيين لشغل المناصب المهمة، والعمل على تأكيد تبعية الاقتصاد المصري للاقتصاد البريطاني.

جـ- الادارة الاستعمارية واثرها على الصناعة

لم تحضَ الصناعة المصرية بأي اهتمام من جانب سلطات الاحتلال، ولم تتأثر مصر بالاختراعات الحديثة التي تحققت في اوربا نتيجة الثورة الصناعية، بل هبطت مكانة الصناعة بالنسبة للزراعة.

خنقت بريطانيا الصناعة المصرية ووقفت امام تطورها [2]، وكان اهمال الصناعة بمثابة حجر الزاوية لنجاح السياسة الاقتصادية للاحتلال بغية تحويل اقتصاد مصر الى اقتصاد يختص بانتاج القطن وتصديره ومن ثم دمج الاقتصاد المصري في الاقتصاد الرأسمالي العالمي كأقتصاد تابع [3].

ويعلل اللورد كرومر في تقريره السنوي لعام 1904م اسباب تدهور الصناعة بقلة المام الصناع المصريين بخصائص العدد والالات المستوردة، مما ادى الى حلول الايدي الاجنبية محل الايدي المصرية. وتجاهل كرومر في تقاريره انه وضع العراقيل امام الصناعة الوطنية، في الوقت الذي كان يشجع فيه الصناعة الاجنبية [4].

(5) FO. 633/7. Viscount Cromer to the Marquess of Salisbury. Cairo, February 20, 1900. R.M.A.C.G.F.A.C.E.S.

(2) لوتسكي، المصدر السابق، ص284.

(3) قاسم، المصدر السابق، ص184.

(4) سعد الخادم، الصناعات الشعبية في مصر، دار المعارف بمصر، (القاهرة، 1957)، ص108.

كانت الجهود المبذولة لتطوير الصناعة المصرية بطيئة وغير كافية لسد احتياجات البلاد [1]، وزاد في الطين بلة قيام الادارة البريطانية باغلاق الترسانات الحربية التي اقيمت في عهد محمد علي باشا وتم تطويرها في عهد الخديوي اسماعيل، فباعت الاتها ومعداتها، كما اغلقت المصانع الحربية التي كانت تمد الجيش باحتياجاته من الذخيرة والادوات الحربية، وكذلك اقفلت مغازل القطن ومصانع النسيج الحكومية ودار سك النقود ومصانع الورق ببولاق [2].

نتج عن سياسة الاحتلال تدهور الصناعة المصرية وحرمان البلاد من موارد عظيمة للثروة. فلم يكن الانتاج المحلي يفي بحاجات الاستهلاك، ومن ثم اعتمدت البلاد على المنتجات الاجنبية المستوردة وغزت الصناعات الاجنبية الاسواق المصرية [3]. وقد اعترف اللورد كرومر في تقريره عن سنة 1905م بتدهور الصناعة الوطنية، اذ قال: "**أن المنسوجات الاوربية حلت محل المنسوجات المحلية، وبانقراض المنسوجات المحلية اخذت الصناعة الاهلية تنقرض ايضا.. من يقارن الحالة الحاضرة بالحالة التي كانت منذ عشر سنوات او خمسة عشر سنة يجد فرقاً شاسعاً، فالشوارع التي كانت مكتظة بدكاكين اصحاب الصناعات والحرف من غزالين، ونساجين، وحاكة، وعقادين، وصباغين، وخيامين، وصانعي احذية، وصاغة، ونحاسين، وعطارين، وصناعي قرب، وغرابيل، وسروج، واقفال، ومفاتيح، ومن شاكلهم، كلها قلت عدداً، وقامت على اطلالها مقاهي ودكاكين مملوءة بالبضائع الاوربية**" [4].

---

(1) وثائق اعمال مؤتمر الحزب الوطني المنعقد في بروكسل عام 1910، مجلة الطليعة، ((مصر))، ع5، س5، ايار 1969، ص154.

(2) الرافعي، مصر والسودان، ص219.

(3) قاسم، المصدر السابق، ص185.

(1) F.O., 633/7. The Eral of Cromer to Marquess of Lansdowne, Cairo, March15 , 1905. R.M.A.C.G.F.A.C.E.S.

كانت سلطات الاحتلال ترى ان كل مصنع للمنسوجات يفتح في مصر يغلق مصنعاً في بريطانيا [1]، وان للسوق المصرية اهمية فائقة لبريطانيا نظراً لما اخذت تتعرض لهُ تجارتها الدولية من اخطار وتهديدات قبيل الحرب العالمية الاولى، وبدعوى (حرية التجارة ووجوب التخصص) انتهجت سلطات الاحتلال سياسة كمركية وضرائبية صارمة من شأنها القضاء على كل امكانيات الصناعة الوطنية [2].

ولا يخفى ان الاحتلال قد حارب الصناعة القطنية بالذات، فقد تأسس معملان لغزل القطن ونسجه سنة 1899م، احدهما بالقاهرة والاخر في الاسكندرية، وفرضت الحكومة بتاريخ 13 نيسان 1901م ضريبة على جميع المصنوعات القطنية قدرها 8٪ أي ما يعادل نسبة الرسوم الكمركية المفروضة على الغزل والمنسوجات القطنية المستوردة من الخارج، مما ادى الى ايقاف هذه المعامل عن الانتاج [3].

وبصورة عامة كان القطاع الصناعي في ظل الاحتلال قطاعا صغيرا تموله وتمتلكه تقريباً شركات اجنبية واجانب مقيمون، وتقلص دور الدولة تماماً او كاد بالنسبة للقطاع الصناعي، وترتب على ذلك ان عُدّ اقتصاد مصر اقتصاداً تابعاً، عماده تصدير المواد الاولية ولاسيما القطن.

---

(1) احمد رشدي صالح، كرومر في مصر، في احمد رشدي صالح، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر، 1998)، ص74.

(2) جمال حمدان، شخصية مصر – دراسة في عبقرية المكان، ج3، عالم الكتب، (القاهرة، 1984)، ص34.

(3) الرافعي، مصر والسودان، ص220.

ثانيا : سياسة الاحتلال تجاه التعليم

أ- طبيعة الادارة البريطانية تجاه التعليم

كانت السمة البارزة على واقع التعليم في مصر هي غلبة الطابع الديني، اذ كان الجامع الازهر (*) هو الذي يشرف على التعليم ويمنح شهادات التخرج للطلبة الذين يجتازون سنوات الدراسة فيه (1)، وكان تعرض مصر للاحتلال الفرنسي (1798-1801م) بمثابة نقطة تحول في مسار التعليم، فقد تبين للمصريين مدى تخلفهم في السنوات التي سبقت مجيء الحملة الفرنسية وعرفوا ان وسيلة التطور في العصر الحديث تكمن في الاخذ باسباب المدنية الحديثة ومسايرة ركب التقدم، فحدثت انتقالة مهمة من التعليم الديني الى التعليم العلماني الحديث (2).

كانت اغلب المدارس الموجودة قبيل عهد محمد علي باشا مدارس ابتدائية يقتصر التعليم فيها على نطاق ضيق في فروع العلم، بل لقد أتسم مستوى الدراسات الدينية الذي كانت تطغى على غيرها من الدراسات بالضعف وضيق الأفق. وكانت ندرة الكتب عاملاً اخر من عوامل التخلف الثقافي فلم تكن هناك مطابع عربية وان كانت قد ظهرت خلال القرن الثامن عشر مطابع يدوية قليلة (3).

(*) تم انشاء الجامع الازهر من قبل الفاطميين عام 361هـ/ 971م، وكان العديد من العلماء يناقشون فيه علوم الفقه وتفسير القران الكريم والحديث النبوي الشريف، وكان المركز الوحيد الذي يعد مثلاً اعلى للناس ومركزاً لرفع مظالمهم ضد السلطات الحاكمة، ومقراً لحشد الجماهير ضد الاخطار الخارجية. عبد الودود شلبي، الازهر الى اين ؟ دار الاعتصام، (د.م، 1998)، ص ص19-21.

(1) للمزيد من المعلومات، ينظر: اميل فهمي، التعليم في مصر، مكتبة الانجلو المصرية،(مصر، 1975).

(2) للمزيد من المعلومات، ينظر: سعيد اسماعيل علي، الازهر على مسرح السياسة المصرية – دراسة في تطور العلاقة بين التربية والسياسة، دار الثقافة، (القاهرة، 1974)، ص ص97-132.

(3) جورج انطونيوس، يقظة العرب – تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة: ناصر الدين الاسد واحسان عباس، ط2، دار العلم للملايين، (بيروت، 1966)، ص ص100-102.

وعندما تولى محمد علي باشا حكم مصر ادرك بما امتلك من قدرة ونفاذ بصيرة نزوع اتجاهات الوعي الوطني في مصر الى الاستقلال، فسار في هذا الاتجاه سيراً واعياً، واذا كان لابد من الاستقلال فلابد من اجراء سلسلة من التغييرات على مختلف الاصعدة التعليمية، فشرع في تجديد المدارس القديمة وأنشأ مدارس اخرى حديثة، فأستحدث مدرسة (كلية) الطب سنة 1827م، وتعد هذه المدرسة من اقدم المدارس العالية في مصر ومدرسة الالسن (كلية اللغات) عام 1835م، وعمل على استقدام العلماء الاجانب ليقوموا بالتدريس فيها (1).

ولما تولى الخديوي اسماعيل الحكم امر بتنظيم حالة التعليم، فتأسست مدارس جديدة منها: مدرسة الادارة، ومدرسة الحقوق، ومدرسة دار العلوم، ومدرسة الصنائع والفنون في بولاق، ومدرسة المعلمين (2). وظل التعليم حتى اخر عهد الخديوي اسماعيل يخطو خطوات موفقة، ولكن ما ان وقعت البلاد تحت الاحتلال البريطاني عام 1882م حتى تعثرت مسيرته وتغيرت وجهته.

اتسمت السياسة التعليمية في عهد الاحتلال بالحرص على عدم التوسع في التعليم، للحيلولة دون خلق طبقة مثقفة من شأنها تنوير اذهان الشعب ونشر الوعي الوطني في صفوفه ومن ثم بقاء الاحتلال. وحتى لا تنشأ طبقة ذات كفاءة عالية من الموظفين تحل محل الموظفين البريطانيين. وهكذا عانى المصريون من اهمال سلطات الاحتلال للتعليم (3)، فكانت الثقافة الفكرية لمصر في عهد اللورد كرومر قد اهملت لصالح الاجراءات المادية (4).

---

(1) Richmond, Op. Cit, P. 14;

للمزيد من المعلومات حول المدارس التي انشأها محمد علي باشا، ينظر:

Fritz Steppat, "National Education Projects in Egypt Before the British Occupation", in Willjum R. Polk and Richard Chmabers, Beginnings of Modernization in the Middle East, (Chicago, 1968), PP. 281-282.

(2) جرجي زيدان، تاريخ مصر الحديث، ط3، ج1، مطبعة الهلال، (القاهرة، 1925)، ص224.

(3) Vatikiotis, Op. Cit, P. 176.

(4) Lloyd, Op. Cit, Vol. 1, P. 67.

وكان اول اجراء للسياسة البريطانية تجاه التعليم في مصر هو غلق العديد من المدارس وحرمان الشعب من التربية والتعليم، وتبعاً لذلك خفضت المبالغ المخصصة للتعليم في ميزانية الدولة من حوالي (100,000) جنيه مصري سنة 1883م الى (71,000) جنيه مصري في سنة 1888م، وقد ادرك كرومر ان التعليم العالي القائم على الاساليب الحديثة سوف يتسبب في ظهور قادة من المتعلمين قد يثيرون الشعب ضد الاحتلال، ولذلك سعى الى منع حدوث ذلك في مصر، ويتضح ذلك من قوله: "**لقد اعتبرنا ان توفير مستوى موحد للتعليم هو الضمان الوحيد ضد قيام الديماغوغيين (*) الذين قد يعملون على اثارة الشعب ضد الحكام الاجانب**"[1].

لقد اتخذت سلطات الاحتلال في مصر شعاراً كثيراً ما تردد في كتابات كرومر، وهو: (بقدر معلوم) أي يجب ان يكون للمصريين نصيب من كل شيء بقدر معلوم، نصيب من الاستقلال، ومن الصلة بالدولة العثمانية ومن بريطانيا، ونصيب من الحكم الذاتي، ونصيب من الثقافة [2]، ولقد بلغ مجموع ما انفق على التعليم في الخمس والعشرين سنة الاولى من عهد الاحتلال (2,800,000) جنيه مصري من ميزانية بلغت في نفس الفترة (258,000,000) جنيه مصري، أي بنسبة تقرب من 1٪ فقط من ميزانية الحكومة [3].

كان من نتيجة تدهور التعليم ان اصبح الجامع الازهر مركزاً للدعاية المعادية لسياسة بريطانيا في مصر [4]، مما حدا بسلطات الاحتلال الى الغاء تمويل الازهر بصورة

(*) تعني دعاة الغوغاء والفوضى.

(1) سامي عزيز، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانكليزي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، (القاهرة، 1968م)، ص ص271-272.

(2) فهمي، المصدر السابق، ص118.

(3) شهدي عطية الشافعي، تطور الحركة الوطنية المصرية 1882-1956م، ط1، (القاهرة، 1957)، ص13 ؛ للمزيد من المعلومات، ينظر: الجنابي، المصدر السابق، ص ص84-85.

(4) Lloyd, Op. Cit, Vol. 1, P. 158.

مستقلة، والحاقه بالحكومة حتى يكون للادارة القائمة في مصر اشراف على التعليم فيه، وعلى توجيه علمائه بقدر المستطاع باصدار اراء وفتاوى بأسم الاسلام تضمن استمرار التواجد البريطاني، فعملت على انشاء بعض المؤسسات التعليمية التي تنافس الازهر الشريف، مثل مدرسة القضاء الشرعي، ومدرسة دار العلوم الاولى لتخريج قضاة في المحاكم الشرعية، ودار العلوم الثانية لتخريج المعلمين الذين يتولون تدريس مادة اللغة العربية في مدارس وزارة المعارف الابتدائية والثانوية [1].

لقد استطاع الاحتلال ان يسيطر على التعليم ويطوعه وفق مشيئته في هذه الفترة بطرق عديدة مختلفة، يمكننا ان نوضحها فيما يلي:

1- نشر اللغة الانكليزية:

سيطرت سلطات الاحتلال على التعليم في مصر عن طريق نشر اللغة الانكليزية، وحرصت على استبعاد ما سواها، فاللغة التركية التي كانت سائدة في الوسط التعليمي طيلة النصف الاول من القرن التاسع عشر وحتى عام 1882م الغاها الاحتلال نهائياً في عام 1898م وفصل مدرسوها من وزارة المعارف (التربية)[2]، وكان من الطبيعي على الادارة البريطانية ان تتبنى تدريس اللغة الانكليزية لتستطيع من خلالها تخريج جيل من الموظفين المصريين ليساعدوها في الامور الادارية البسيطة، وبما ان اللغة الانكليزية اصبحت اللغة المهيمنة على الوظائف فان بعض المصريين شجعوا اولادهم على تعلم اللغة الانكليزية في المدارس الحكومية [3].

اقدمت سلطات الاحتلال على اتخاذ اجراءات عدة للحد من استعمال اللغة العربية في المدارس، ففي عام 1891م تقرر تدريس مادة الجغرافية في المدارس الابتدائية باللغة الانكليزية وفي السنة التالية تقرر تدريس مادتي الجغرافية

---

(1) محمد البهي، حاضر الازهر بعد امسه، ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، ج3، مطبعة دار الكتب، (مصر، 1971)، ص1012.

(2) فهمي، المصدر السابق، ص120.

(1) Tignor, Op. Cit, P. 325.

والتاريخ في المدارس الثانوية باللغة الانكليزية، وكانت الدراسة في مدرسة (كلية) الطب باللغة العربية منذ انشائها عام 1827م، حتى اذا كانت سنة 1898م جعلت الدراسة فيها باللغة الانكليزية، وشمل هذا ايضا مدارس الهندسة والحقوق والمعلمين [1].

وقد اشتدت شكاوي المصريين من جعل اللغة الانكليزية هي اللغة الرسمية في دور التعليم، فلما تولى الخديوي عباس الثاني الحكم اكد على ضرورة استعمال اللغة العربية باعتبارها لغة البلاد الاصلية، واوجب على سلطات الاحتلال مراعاة ذلك [2].

فضلا عن ان المعلمين المصريين كانوا افضل من نظرائهم البريطانيين، الا انهم لم يظهروا حماساً كبيراً للتدريس بسبب اقدام سلطات الاحتلال على تقليل رواتبهم [3]، لكن الحال تغير عندما تولى **السير الدون جورست** Sir Eldon Gorst [*] (1907 – 1911م) منصب المعتمد البريطاني في مصر، اذ عمل على تخصيص

---

(1) فهمي، المصدر السابق، ص121. ويذكر اللورد كرومر في تقريره السنوي لعام 1898م ان عدد المتعملين باللغة الانكليزية ازداد زيادة كبيرة بعدما كان الكثير يتعلم اللغة الفرنسية.

F.O., 633/7. Lord Cromer to the Marquess of the Salisbury. Cairo, October 6, 1898. R.M.A.C.G.F.A.C.E.S.

(2) روبرت تينور، "الحكم الاستعماري البريطاني في مصر"، مجلة السياسة الدولية، ((القاهرة))، ع22، تشرين الاول 1970، ص182.

(4) Tignor, Op. Cit, P. 329.

(*) سياسي بريطاني ذو شخصية طموحة وقابلية مدهشة للتركيز ولد في برستون بتاريخ 24 اذار 1835م، عمل جورست في خدمة الادارة المصرية والتي ارتبط بها منذ عام 1890م كموظف في وزارة

المالية، واصبح فيما بعد مستشاراً في وزارة الداخلية، ثم مستشاراً مالياً عام 1898م، ثم تقلد منصب معتمد بريطانيا في مصر بعد كرومر وبقي في هذا المنصب حتى وفاته عام 1911م.

Lloyd, Op. cit, Vol. 1, PP. 65-66;

للمزيد من المعلومات، ينظر:

Peter Mellini, Sir Eldon Gorst: The Overshadowed Proconsul, Stanford, Chlif Hoover Institution Press, (N.B, 1977).

الامــوال اللازمــة لتوســيع بــرامج التعلــيم والاهتمــام برفــع المــستوى المعاشــي للمعلمين المصريين [1]، نظراً لانه في الوقـت الـذي كانـت فيـه سـلطات الاحـتلال تـدفع رواتب مجزية للمعلمين الاجانب الذين يستدعون مـن الخـارج، كـان اقـصى مـا يتقاضـاه المعلم المصري الذي يتولى تدريس مادة اللغة الانكليزية (72) جنيهاً سنوياً [2].

ان هذه السياسة اثرت بلاشـك على مـستوى الـبلاد الثقـافي عامـة، وعلـى مـستوى التعليم خاصة، حيث بلغت نسبة الذين يجيدون القراءة والكتابة عام 1910م 4.5٪ فقط [3].

وفي احصائية للورد كرومر حول نسبة الطلاب الـذين يدرسـون اللغـة الانكليزيـة، فانـه اشـار في تقريـره الـسنوي لعـام 1900م، ان عـدد الـذين يتعلمـون لغـات اجنبيـة في المدارس التي تحت ادارة وزارة المعـارف العموميـة يبلـغ (5835) ذكـوراً واناثـاً، بـضمنهم (4984) طالباً أي 85 ٪ يتعلمون اللغة الانكليزية [4].

2- الغاء مجانية التعليم

بذلت الادارة البريطانية كل جهدها من اجـل حرمـان الطبقـات الـشعبية مـن حـق التعليم المجاني [5]، ونجحت في جعل التعليم بجميع مستوياته بـأجور علـى الـرغم مـن انـه كان حتى عـام 1879م مـا لايقـل عـن 95 ٪ مـن تلاميـذ المـدارس الحكوميـة لا يزالـون يتعلمون بالمجان، ومنذ عام 1884م تضافرت الجهود بالتـدريج لرفـع الاجـور وزيادتهـا في مختلف مراحل التعليم حتى وصلت تقريباً الى مستوى لايستطيع أي مواطن دفعهـا، وكـان

---

(1) تينور، المصدر السابق، ص178.

(2) الشيخلي، المصدر السابق، ص114.

(3) وثائق اعمال مؤتمر الحزب الوطني المنعقد في بروكسل عام 1910، مجلة الطليعة، ((مصر))، ع4، س5، نيسان 1969، ص158.

(4) تقرير اللورد كرومر عن احوال مصر سنة 1900، مجلة المقتطف، ((مصر))، ج5، مج26، آيار 1901، ص457.

(5) سالم عبد النبي قنيبر، الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية في الادب العربي المعاصر – عبد العزيز جاريش 1872 – 1929، منشورات دار مكتبة الاندلس، (بنغاري، د.ت)، ص89.

على رأس المروجين لهذه السياسة الاستعمارية ولهذه الزيادة يعقوب ارتين وكيل وزارة المعارف في تلك الفترة، اذ رفع مذكرة في 15 كانون الثاني 1888م للحكومة مطالباً فيها ان تتضمن الاجور التي يدفعها اهالي التلاميذ لوزارة المعارف جميع لوازم التلاميذ ومدرسيهم الدراسية، وعمل جاهداً لمحو المجانية حتى وافقت الحكومة على ذلك [1].

بلغ مجموع ما اخذته الحكومة من التلاميذ كأجور للتعليم سنة 1890م (17,000) جنيه مصري، في حين قدرت في سنة 1905م بـ (90,000) جنيه مصري. واصبح التعليم المجاني لايمنح الا لبعض الطلبة في مدرسة المعلمين [2].

يشير كرومر في تقريره السنوي لعام 1900م: "**كانت نسبة المجانية في مدارس الحكومة سنة** 1881 (95 ٪)، **اما في سنة** 1899 **فكانت نسبة الذين يدفعون المصروفات المدرسية في المدارس الابتدائية الاميرية** (98.5 ٪)، **وفي المدارس الثانوية** (96 ٪) **وانا واثق بأن هذه السياسة ستظل متبعة بثبات، وحتى تلغى طريقة التعليم المجاني إلغاءً او تكون في حكم ذلك**" [3].

وقد بلغت أيرادات اجور التعليم في عام 1900م (40,443) جنيهاً مصرياً، ثم ارتفعت هذه الايرادات الى الضعف تقريباً في السنوات الخمس التالية فبلغت (90,050) جنيهاً مصرياً في عام 1905م، وبذلك ادت السياسة التي اتبعتها الادارة البريطانية في الميدان التعليمي الى جعل التعليم وقفاً على طبقة معينة من ابناء الشعب القادرين على تحمل نفقات التعليم، وبذلك بقيت الجماهير امية، وليس غريباً في ظل هذه الحالة ان وصلت نسبة الامية في عام 1917م الى حوالي 93.1 ٪ بينما كانت تبلغ في عام 1882م 91.7 أي انه في خلال خمس وثلاثين سنة من الاحتلال ازدادت نسبة الامية [4]. وكانت

---

(1) فهمي، المصدر السابق، ص122.

(2) F.O., 633/7. The Earl of Cromer to Marquess of Lansdowne. Cairo, March 15, 1905. R.M.A.C.G.F.A.C.E.S.

(3) F.O., 633/7. Viscount Cromer to Marquess of Salisbury. Cairo, February 20, 1900. R.M.A.C.G.F.A.C.E.S.

(4) فهمي، المصدر السابق، ص123.

هذه السياسة واضحة ومقصودة من سلطات الاحتلال، ففي الوقت الذي كانت فيه الجماهير تطالب برعاية التعليم، كانت بريطانيا تعمل العكس، وهذا ما يتضح في قول جورست: "**وما دامت المدارس نقطة الدائرة التي تدور حولها مساعي المضللين السياسيين فلا مناص من ابطاء تعليم الشبان المصريين**"[1]. واستمرت هذه السياسة في عهد كتشنر ايضاً، اذ لم يحظ التعليم بأي اهتمام[2].

غير ان فرض اجور على التعليم ادى في الواقع الى قيام جهود وطنية اهلية لضمان استمرار مسيرة التعليم سواء كانت على شكل اوقاف يصرف ايرادها في تعليم الفقراء، او في شكل مدارس اهلية تنشؤها جمعيات خيرية او دينية، لاعلاقة لها بسلطات الاحتلال، بقصد نشر التعليم في البلاد[3]. وقد عبر شاعر النيل حافظ ابراهيم عن استياء المصريين من سياسة الاحتلال التعليمية بقوله مخاطباً كرومر:

"بناديك قد ازريت بالعلم والحجا ... ولم تبق للعلم يا ((لورد)) معهدا

وانك اخصبت البلاد تعمدا ... واجدبت في مصر العقول تعمدا

قضيت على ام اللغات وانه ... قضاء عليها او سبيل الى الردى"[4].

3- ميدان التفتيش وسيطرة المستشار البريطاني على ادارة وزارة المعارف (التربية)

كان المستشار البريطاني دوجلاس دنلوب (Douglas Dunlop) هو القابض على زمام الامور في وزارة المعارف، وبدأ دنلوب باستبدال المفتشين المصريين بآخرين من البريطانيين ولاسيما عند بداية تدريس المواد باللغة الانكليزية، فكان هؤلاء المفتشون بمثابة (جواسيس في

(1) علية علي علي فرج، التعليم في مصر بين الجهود الاهلية والحكومية (دراسة في تاريخ التعليم)، دار المعرفة الجامعية، (الاسكندرية، 1979)، ص133.

(2) Lloyd, Op.Cit, Vol.1, P. 150.

(3) علي فرج، المصدر السابق، ص132.

(4) عمر، المصدر السابق، ص356.

المدارس) واستبدوا بالمدرسين ونظار (مدراء) المدارس استبداداً عنيفاً[1]. وقامت الادارة البريطانية باختلاق الحجج لفصل التلاميذ من المدارس ومن الاقسام الداخلية، كما اغلقت عام 1895م مدارس السنبلاوين وبلبيس والابراهيمية وطنطا والمنصورة والزقازيق وبني سويف وحول بعض من هذه المدارس الى كتاتيب[2].

فلا عجب اذن ان كان نفوذ المستشار البريطاني اقوى من نفوذ وزير المعارف المصري، بل كان نفوذ أي موظف بريطاني يفوق نفوذ اكبر مسؤول في وزارة المعارف، فالمستشار يأمر وينهي بغير ارادة الوزير، وبغير علمه في كثير من الاحيان[3].

وقد تطرق جورست خلال اجتماع له مع مجلس الوزراء في 12 تشرين الثاني 1909م الى العلاقة بين الوزير والمستشار، بقوله: "**اننا في مصر محتلين نعمل لخيرها، والكلمة الاخيرة في تدبير شؤونها لنا، وان لنا مدنية ولكم مدنية تخالفها، فواجباتكم ان توافقوا شركاءكم في العمل على اخلاقكم وميولكم وعوائدكم وما يناسبكم من الاحكام حتى تتشرب البلاد المدنية الحقيقية واطلب ان تتبادلوا الاراء مع المستشارين وتتباحثوا معهم في الامور التي تختص بنظارتكم فإذا اتفقتم ينفذ اتفاقكم وان اختلفتم فارفعوا الامر لرئيسكم، أو لي فأبوابي مفتوحة على الدوام امامكم**"[4]. وهذا مايؤكد سيطرة الاحتلال على مقدرات مصر واقامة حكومة "**العقول البريطانية والايدي المصرية**"[5].

ب- تأثير الحركة الوطنية المصرية على عملية التعليم

اقترن الشعور الوطني في عهد الاحتلال البريطاني بالتعليم، فكان زعماء مصر الوطنيون يرون ان خير وسيلة لإذكاء هذا الشعور هو نشر التعليم. وهكذا تزامنت

---

(1) فهمي، المصدر السابق، ص ص126 – 127.

(2) الشيخلي، المصدر السابق، ص113.

(3) فهمي، المصدر السابق، ص129.

(4) فهمي، المصدر السابق، ص ص129 – 130.

(5) ابراهيم خليل احمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني 1516-1916، دار ابن الاثير للطباعة والنشر، (جامعة الموصل، 2005)، ص329.

مقاومة الاحتلال البريطاني مع الدعوة الى انشاء المدارس. وقد تبنى هذا الاتجاه العديد من القادة الوطنيين المصريين، ابرزهم: **مصطفى كامل**(*)، **ومحمد فريد بك المحامي**(**) **وسعد زغلول** (*). وكانت وجهة نظرهم تدور حول اخراج التعليم من دائرة الرقابة الحكومية بتوسيع نطاق التعليم الاهلي الذي تدعمه التبرعات العامة وتساعده الجمعيات

(*) مصطفى كامل: ولد بحي الصليبية بمدينة القاهرة في 14 آب 1874م، التحق بعد تخرجه من الثانوية بكلية الحقوق بفرنسا وتخرج من جامعة تولوز في تشرين الثاني 1894م، اصدر في 18 شباط 1893م مجلة (المدرسة)، وفي بداية شهر كانون الثاني 1900م اصدر صحيفة (اللواء) التي غدت لسان حال الحركة الوطنية التي التفت حولها والتي انبثق عنها تأسيس الحزب الوطني عام 1907م، الذي قاد الحركة الوطنية المصرية ضد الاحتلال البريطاني مطالباً بالجلاء عن مصر، توفي في 11 شباط 1908م. الموسوعة الصحفية العربية: اعلام الصحافة في الوطن العربي، مج1، ج6، (تونس، 1997)، ص ص312 –313 ؛ للمزيد من المعلومات عن مصطفى كامل، ينظر: عبد الرحمن الرافعي، مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية (تاريخ مصر القومي من سنة 1892 الى سنة 1908)، ط4، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1962).

(**) محمد فريد بك المحامي: ولد بمدينة القاهرة يوم الاثنين 20 كانون الثاني 1868م، تعلم في المدارس الرسمية فأظهر فيها ذكاء جعل له مركزاً ممتازاً بين اقرانه، نال شهادة الحقوق في آيار 1887م، عين موظفاً بالدائرة السنية، ثم عمل بوظيفة مساعد نيابة من الدرجة الثانية في 4 آب 1891م، ثم تدرج في المناصب الحكومية حتى اصبح عام 1895م وكيلاً بنيابة الاستئناف، تولى قيادة الحزب الوطني عام 1908م بعد وفاة مصطفى كامل، وكان من ابرز قادة الحركة الوطنية في مصر، توفي يوم السبت 15 تشرين الثاني 1919م. عبد الرحمن الرافعي، محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية (تاريخ مصر القومي من سنة 1908 الى سنة 1919)، ط3، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1961 م)، ص ص16 – 26.

(*) سعد زغلول: ولد عام 1860م بقرية ابيانة مركز فوه شمالي الدلتا، حفظ القران الكريم وتلقى علومه الاولية بالقرية، التحق بالجامع الازهر عام 1873م، ثم التحق بمدرسة الحقوق وتخرج منها، اصبح محرراً بجريدة الوقائع المصرية عام 1880م، وفي آيار 1882م عين معاوناً بوزارة الداخلية. اشترك في الثورة العرابية وفصل من عمله بعد الاحتلال البريطاني، استأنف عمله بالمحاماة حتى عين قاضياً عام 1892م، ثم مستشاراً وبعدها عين وزيراً للمعارف عام 1906م، واتخذ موقفاً معارضاً من الاحتلال وسياسته ازاء التعليم، قاد ثورة عام 1919م، ثم انتخب رئيساً لمجلس النواب عام 1925م، توفي في 23 آب 1927م. عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ط1، ج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، 1983)، ص ص 162 – 163 ؛ للمزيد من المعلومات عن سعد زغلول، ينظر: عباس محمود العقاد، سعد زغلول سيرة وتحية، مطبعة حجازي، (القاهرة، 1936).

الخيرية بحيث يكون هذا التعليم مجانياً في الغالب او بأجور ضئيلة تعويضاً لتقتير الاحتلال في الانفاق على التعليم وتفرقته في فرص التعليم بين ابناء الاغنياء والفقراء.

يمكن ارجاع اسباب قيام الحركة الوطنية في مصر الى عاملين: اولهما انها كانت كرد فعل ضد الاستغلال البريطاني وسياسته التعسفية ومعاناة الشعب المصري من جراء هذه السياسة. وثانيهما انها كانت حصيلة تطور طبيعي نتيجة لتأثر بعض الفئات المثقفة في المجتمع المصري بالحضارة الغربية الحديثة. ولاشك في ان المصريين ثاروا بسبب سوء معاملة البريطانين لهم حيث عاملوهم وكأنهم اتباع لهم [1].

كانت الصحف والجمعيات والاحزاب بمثابة خمائر للحركة الوطنية [2]، كما كان مجيء عباس الثاني الشاب الطموح الى دفة الحكم احد ابرز العوامل التي اسهمت في تصعيد الحركة الوطنية في تلك الفترة بفضل تشجيعه لها ودعمه المادي والمعنوي لأسيما للصحافة الوطنية، وخلال السنوات الاولى لحكمه وضع نفسه في مقدمة الحركة الوطنية، حتى بدأ كزعيم للوطنين، كما بدا نظرياً كما لو كان حاكماً شورياً، الامرالذي شجع الوطنين على التعاون معه [3].

لم يغمض اللورد كرومر جفنيه لحظة عن مراقبة سلوك الخديوي الشاب، ففي احدى رسائله الى حكومته [*]. والتي وصفها بأنها اعظم الرسائل، يقول فيها: **"ان الخديوي الشاب يدأب على اثارة المتاعب، وان الشاب احمق متطرف، وقد يكون من الصعب ان نعرف كيف نتعامل معه ولكن اعتقد انه سيتلقى درساً قاسياً"** [4].

---

(1) تينور، المصدر السابق، ص185.

(2) ينظر، الفصل الثالث والرابع من الرسالة.

(3) Afaf Lutfi Al-Sayyid, Egypt and Cromer: Astudy in Anglo- Egyptian Relation, (London, 1968), P.P. 137-145.

(*) وهي وزارة غلادستون (1892 – 1894م).

(4) F.O., 633/7. Lord Cromer to the Earl of Rosebery. Cairo, January 13, 1893 R.M.A.C.G.F.A.C.E.S.

وفي معرض حديثه عن هدف سلطات الاحتلال من زيادة اجور التعليم قال مصطفى كامل: "**ان الاحتلال بزيادته اجور التعليم تعمد محاربة الفريق الاكبر من الامة وقضى عليه ان يبقى جاهلاً بعيداً عن العلوم العالية**". وقد كان من اشد المتحمسين لتبني الاهالي لمسؤولية التعليم، حيث اتجهت عزيمة مصطفى كامل منذ عام 1899م الى حث الشعب المصري على نشر التعليم الوطني في ارجاء البلاد لتقوية الروح الوطنية في نفوس الجيل الجديد، وقد استجاب لدعوة مصطفى كامل السيد حسين بك القرشي احد اعيان القاهرة فأنشأ على نفقته الخاصة مدرسة بالحلمية سنة 1899م، كما انشأ محمد سعيد واحمد صادق مدرسة اخرى بأسم (مصطفى كامل) سنة 1899م في باب الشعرية [1]. وبذلك امتاز عهد الاحتلال بازدياد الجهود الاهلية الرامية الى نشر التعليم العام كرد فعل لسياسة الاحتلال التعليمية، وقد توجت تلك الجهود بأنشاء الجامعة المصرية (الاهلية).

كان انشاء الجامعة المصرية بمثابة تغيير جذري في الحياة التعليمية في مصر، ويمكن اعتباره كرد فعل من المصريين ازاء السياسة التي اتبعتها سلطات الاحتلال والتي تقوم على اعتبارات منها اخضاع المؤسسات التعليمية السيطرة الادارة البريطانية بصورة مطلقة وتحديد مستويات التعليم فيها بأدنى الحدود. وهكذا عد تأسيس الجامعة المصرية ضربة قوية سددت لسلطات الاحتلال وخطوة اولى لأنشاء مؤسسات تعليمية مستقلة، وتطوراً مهماً في تاريخ مصر الحديث [2].

غير ان سياسة المحتلين كانت ترمي الى حرمان المصريين من كل تقدم او رقي، فكان المستشار المالي فنسنت من ناحية، ومستشار وزارة المعارف دنلوب من ناحية اخرى

---

(1) علي فرج، المصدر السابق، ص ص138 – 139 ؛ الرافعي، مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية، ص ص141–142 ؛

Mahmud A. Faskh, "The Consequences of the Introduction and Spread of Modern Education: Education and National Integration in Egypt", Middle Eastern Studies, ((London)), Vol. 16, No. 2, May 1980, P.P. 42-53.

(2) فهمي، المصدر السابق، ص 141.

ينفذان بكل دقة وصرامة الاوامر البريطانية الاستعمارية القاضية بالحيلولة بين الشعب المصري وبين فسح المجال امام تعليمه كي يسهل عليها قياده [1].

وقد حظي مشروع تأسيس جامعة مصرية بدعم كبير من المصريين [2]. واسند اللورد كرومر وزارة المعارف الى سعد زغلول عام 1906م – احد الوطنيين البارزين – محاولاً تجميل صورته امام الشعب المصري [3].

بقيت فكرة انشاء جامعة في مصر بمثابة حلم روج له الوطنيون وشرعوا يجمعون المال لأنشائها [4]. فقد تبرع احد اعيان بني سويف المدعو (مصطفى بك كامل الغمراوي) في شهر ايلول 1906م بمبلغ (500) جنيه مصري لأنشاء الجامعة، ودعا المصريين الى التبرع لهذا المشروع الجليل [5].

وفي 12 تشرين الاول 1906م اجتمع في منزل سعد زغلول بعض الاعيان والوجهاء وشكلوا لجنة لتسلم التبرعات سموها ((**لجنة الجامعة**)) وقرروا انشاء جامعة بأسم الجامعة المصرية، واصدروا نداء جاء فيه: **"ان جميع الذين يشعرون منا بنقص تربيتهم العقلية يرون من الواجب ان التعليم يجب ان يتقدم خطوة في بلادنا نحو الامام وان امتنا لايمكنها ان تعد في صف الامم الراقية لمجرد ان يعرف اغلب افرادها القراءة والكتابة او ان يتعلم بعضهم شيئاً من الفنون والصناعات كالطب والهندسة والمحاماة، بل يلزمهم اكثر من ذلك"** [6].

---

(1) سيد محمد كيلاني، "كيف نشأت اول جامعة في مصر"، مجلة الرسالة، ((مصر))، ع912، س18، كانون الاول 1950، ص1445.

(2) Lloyd, Op. Cit, Vol. l, P. 163.

(3) Ibid, P. 57.

(4) روشتين، المصدر السابق، ص221.

(5) كيلاني، المصدر السابق، ص1445.

(6) العقاد، المصدر السابق، ص ص91 – 92.

ساهم الشعب المصري في التبرع للجامعة بحماسة كبيرة، وكانت الصحف الوطنية تستحث الهمم للتبرع للمشروع [1]. واسهم المثقفون بالترويج لهذا المشروع، فهذا هو الشاعر.

حافظ ابراهيم يقول في قصيدة له:

ومن يميط ستار الجهل ان طمست معالم القصد بين الشك والريب

فما لكم ايها الاقوام جامعة إلا بجامعة موصولة النسب [2].

كانت مبادرة انشاء الجامعة المصرية مبادرة نابعة تماماً من بين صفوف الشعب [3]، ونتيجة هذه الجهود اوعز الخديوي عباس الثاني في منتصف عام 1908م الى الامير **احمد فؤاد** [*] (الملك فؤاد فيما بعد 1917-1936م) ان يرأس لجنة الجامعة، واوعز الى وزارة المعارف بمنح اعانة سنوية قدرها خمسة الاف جنيه مصري للجامعة [4].

تشكلت لجنة الجامعة، من كل من: حسين رشدي باشا مدير الاوقاف، والمسيو مسبيرو (Musbero) مدير الاثار، اللذين نظما عملية جمع التبرعات ووضع المبادئ العامة التي تسير عليها الجامعة (نظام الجامعة) والتي حددها من خلال ما يأتي:

1- النهوض بمستوى الاهالي الادبي والعلمي من خلال نشر العلوم لاسيما العلوم الحديثة، وتدريس اداب اللغة العربية، وتأسيس معهد للعلوم والفلسفة على نمط المعاهد في اوربا.

---

(1) مصطفى، تاريخ مصر السياسي، ص38.

(2) كيلاني، المصدر السابق، ص ص 1446-1447.

(3) وثائق اعمال مؤتمر الحزب الوطني المنعقد في بروكسل عام 1910م، المصدر السابق، ع4، ص158.

(*) احمد فؤاد: هو ابن الخديوي اسماعيل ولد عام 1868م بمصر، تولى حكم مصر في 9 تشرين الاول 1917م، قامت في عهده ثورة عام 1919م، وفي اذار 1922م اصدر امراً لقب فيه نفسه ملكا على مصر، وتوفي عام 1936م. الانصاري ، المصدر السابق، ص125.

(4) كيلاني، المصدر السابق، ص1447.

2- استثناء المواضيع السياسية والدينية من المواد المدرسية والتأكيد على المساواة بين المذاهب والاجناس.

3- اقامة مناقشات عامة في القضايا العلمية والمواضيع الادبية والتاريخية.

4- تخصيص بعض الاموال للانفاق على عدد معين من الطلاب ممن يرسلون الى اوربا لدراسة علوم خاصة.

5- تطوير المدارس (الكليات) المختلفة تدريجياً على قدر ما يتيسر من الاموال لهذا الغرض.

6- استقدام اساتذة اوربيين في بادئ الامر واستبدالهم تدريجياً باساتذة مصريين عقب اكتمال تدريبهم.

7- بقاء الجامعة مشروعاً خاصاً تقوم موارده بنفقاته.

8- ان تحظى ادارة الجامعة بموافقة الحكومة المصرية [1].

وفي 21 كانون الاول 1908م فتحت الجامعة ابوابها لالقاء المحاضرات، وشرعت في ارسال البعثات الى اوربا [2]، وكان الشعب يحتفل بتوديع طلبة البعثات، فعندما سافرت البعثة الاولى غصت محطة القاهرة بالمودعين من طلبة المدارس العليا واعضاء الجامعة المصرية فضلاً عن جموع الشعب [3].

افتتح الخديوي عباس الثاني الجامعة، وقد القى الامير احمد فؤاد (رئيس الجامعة) خطاباً جاء فيه: " **واني ابتهل اليه تعالى ان يجعل هذه الجامعة نافعة لطلاب العلم عموماً ولشبيبتنا المصرية خصوصاً. اذ اننا لم نقدم على هذا العمل الجسيم ولم نسهر الليالي بسببه**

(1) حسين، موسوعة تاريخ مصر، ج3، ص ص1305-1306.

(2) امين سامي باشا، التعليم في مصر في سنتي 1914 و 1915 – وبيان تفصيلي لنشر التعليم الاولي والابتدائي بانحاء الديار المصرية، مطبعة المعارف، (مصر، 1917م)، ص97.

(3) فهمي، المصدر السابق، ص143.

الا لترقية هذه الشبيبة. واتخذت الجامعة من احد القصور الواقعة في بداية شارع قصر العيني من جهة ميدان الخديوي اسماعيل مقرا لها (مكان الجامعة الامريكية الان)[1].

ولقد كانت المحاضرات تلقى للطلبة والطالبات على حد سواء، وضمت الجامعة ثلاثة اقسام، الاول للاداب، والاخر للعلوم الجنائية، والاخير للعلوم المالية والاقتصادية [2]، ولقد اعترفت الادارة البريطانية بالجامعة الجديد.

كان الطلبة في الجامعة على نوعين: منتسبون ومستمعون. فالطالب المنتسب هو الذي يواظب على حضور جميع المواد المقررة، اما المستمع فكان يحضر بين الحين والاخر لغرض الاستفادة من المعلومات [3].

ومن الملاحظ ان بعضاً من المدارس (الكليات) التابعة للجامعة الحقت فيما بعد ببعض الوزارات، مثل: مدرسة الحقوق التي الحقت بوزارة الحقانية (العدل) عام 1911م، وكذلك مدرسة الزراعة التي الحقت بوزارة الزراعة [4].

منحت الجامعة في عام 1910م اول شهادة دكتوراه فخرية للمستر **ثيودور روزفلت** [*] (Theodor Roosevelt) احد رؤساء الولايات المتحدة الامريكية السابقين (1901-1909م). وفي سنة 1914م منحت اول شهادة دكتوراه علمية للسيد طه حسين بك [1].

---

(1) كيلاني، المصدر السابق، ص1447.

(2) للمزيد من المعلومات، ينظر: سامي باشا، المصدر السابق، ص55 من الملاحق.

(3) كيلاني، المصدر السابق، ص1447.

(4) فهمي، المصدر السابق، ص144.

وهكذا لم تقتصر الجهود الاهلية الوطنية على التعليم الاولي بل طالت التعليم الجامعي وحققت في هذا المجال انجازات كبيرة اشاد بها الاجانب واعترفت بها الحكومة مما اكد مقدرة الشعب المصري على تولي زمام التعليم بنفسه دون اعتماد على السلطات الرسمية.

(*) ثيودور روزفلت: ولد في مدينة نيويورك عام 1858م، ودرس في هاردفرد بين عامي 1898-1899م، اصبح وزيراً للبحرية (1897-1898م) ونال شهرة عندما انتصر الاسطول الامريكي في حربه مع اسبانيا، وبعدها اصبح محافظاً لمدينة نيويورك (1899-1900م) قبل ان يصبح نائباً للرئيس الامريكي ماكنلي عام 1901م، ثم خلفه في رئاسة الولايات المتحدة للفترة 1901-1909م، وفي سنة 1906م نال جائزة نوبل للسلام بسبب نجاحه في انهاء الحرب الروسية -اليابانية 1904-1905م، توفي في عام 1919م. هنري فوستر، نشأة العراق الحديث، ترجمة: سليم طه التكريتي، ج1، (بغداد، 1985)، ص228 ؛ للمزيد من المعلومات حول روزفلت وخطبته في الجامعة المصرية، ينظر: مجلة المقتطف، "روزفلت في مصر والسودان وانتقاد خطبته في الجامعة المصرية"، ((مصر))، ج5، مج36، ايار 1910.

(1) كيلاني، المصدر السابق، ص ص1447-1448.

الفصل الثاني

دور التيارات الفكرية والسياسية في تطور الحركة الوطنية في مصر

الفصل الثاني

دور التيارات الفكرية والسياسية في تطور الحركة الوطنية في مصر

في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر حاول بعض المثقفين ان يتخذوا مواقف جريئة ضد الانهيار والجمود الذي كانت تشهده معظم جوانب الحياة الثقافية لاسيما الثقافة الدينية التي لم تشهد اية تطورات ملموسة في الوقت الذي كانت فيه اوربا تشهد تقدماً علمياً واقتصادياً كبيراً، وبسطت نفوذها على معظم بلاد العالم وخاصة البلاد الاسلامية. وقد شكل هؤلاء المثقفون حركة اصلاحية متعددة المناحي ومتباينة الاتجاهات، وقاموا بنشاط ملحوظ في معظم ارجاء العالم الاسلامي، ولاسيما في مصر. ومما زاد في نمو المشاعر الوطنية تصاعد التدخل الاجنبي في مصر في اواخر عصر الخديوي اسماعيل بفعل الازمة المالية. الامر الذي ربط بين الاتجاهين الوطني والليبرالي ؛ لان المصريين ربطوا بين الازمة المالية وبين استبداد الخديوي اسماعيل.

ازدهرت الحركة الفكرية في مصر بسبب العوامل السياسية التي نجمت عن الاحتلال البريطاني لمصر، وفي الوقت الذي حاولت فيه بريطانيا توطيد نفوذها في مصر عملت على تشجيع بعض العناصر المصرية ذات الميول المعادية للعثمانيين لاشغالهم عن مقاومة الاحتلال [1]. وفي هذا الوقت بالذات تهيأت الظروف المناسبة لانتقاد سياسة المحتلين من المثقفين المصريين الذين وجدوا في الصحافة [*] ضالتهم المنشودة، فاصبحت هذه الصحافة بمثابة المنظم والمربي لهم، ولعبت دوراً بارزاً في تشكيل وعيهم الوطني [2].

---

(1) نقولا زيادة، الفكر العربي في النصف الاول من القرن التاسع عشر، ندوة الفكر العربي في 100 سنة، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، 1988)، ص ص61-63.

(*) ينظر: الفصل الثالث من الرسالة.

(2) ليفين، المصدر السابق، ص82.

شهدت مصر منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر تأسيس عدد من الجمعيات (*) والاندية العلمية والادبية والخيرية والتي كان من اهدافها نشر الوعي السياسي في اوساط الشعب المصري لمواجهة التدخل الاجنبي (1).

ادى تنامي الوعي الفكري والسياسي في مصر الى اهتمام مثقفيها بماضيها الحضاري، وبتراثها العربي الاسلامي، ويتضح هذا الاهتمام في ظهور عدد من الكتابات التي كانت تركز على رفض الاستبداد والطغيان وتأييد النضال ضدهما، الامر الذي اثار اعتداداً في نفوس الشعب المصري وشعوراً بالاعتزاز بتاريخه سواء في العصر القديم او العصر الاسلامي وتعميق كراهيته للاضطهاد وحبه للحرية (2).

ولم يكن دور الادب قليلاً في رفع الوعي الفكري والسياسي لدى المصريين، فيكفي ان نشير الى القصيدة التي كتبها الشاعر المصري صالح مجدي (1827-1881م) والتي ابدى فيها معارضته لاستبداد الخديوي اسماعيل وللتدخل الاجنبي في البلاد، اذ يقول فيها (3):

فلو كان فينا نخوة عربية ... لملنا على اعدائنا بالصوارم

فيا آل مصر لاتناموا ودافعوا ... عن الدين والاوطان اهل المغانم

امن بعدما كنتم شموساً كسفتم ... واصبحتم شبيه البهائم

وفي ظل هذا الجو السياسي المفعم بحدة الصراع بين القوى السياسية المصرية ورجالها الوطنيين من جهة وبين القوى الاجنبية التي كانت تفرض الهيمنة السياسية

(*) ينظر: الفصل الرابع من الرسالة.

(1) محمد رفعت، تاريخ مصر السياسي في الازمنة الحديثة، (القاهرة، 1927)، ص202.

(2) ليفين، المصدر السابق، ص83.

(3) احمد عبد الله الجبوري، الفكر السياسي في مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الاولى 1850-1914، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا – بغداد، 2001م، ص58.

والاقتصادية على مقدرات مصر من جهة اخرى بدأت بـواكير الحركـة الوطنيـة والقوميـة في البلاد تجد لها ارضاً خصبة [1]، وقد تزامن ذلـك مـع مجـيء المفكـر والمصلح الاسـلامي السيد **جمال الدين الافغاني** [*] الى مصر 1871م وبقائه فيهـا حتـى قبيـل الثـورة العرابيـة، حيث استقطب الافغاني مجموعة مـن الـشباب العربـي واخـذ يبـث بينهـم افكـاره الحـرة الجريئة، فانطلقوا ينشرون الدعاية للاصلاح وحركة الجامعة الاسلامية [**] التي دعا اليهـا الافغـاني في محاولـة منـه لوقـف الزحـف الاستعماري عـن طريـق لم شمـل الحكومـات الاسلامية القائمة، وتوحيد صفوف المسلمين [2].

كان لشعار الجامعة الاسلامية الذي تبناه الافغاني مـضموناً تحررياً واضـحاً تنـاول اهم جوانب المعركة التي تخوضها الامـم الاسـلامية ضـد الاسـتعمار الغربـي، فلقـد كـان

(1) مجيد خدوري، الاتجاهات السياسية في العالم العربي، (بيروت، 1985)، ص ص70-71.

(*) هو السيد محمد جمال الدين بن صفدر الحسيني، ولد عام 1839م في قريـة اسـعد اباد وهـي احـدى القرى القريبة من العاصمة الافغانية كابل، تلقى تعليمه الاولي في مدينة كابل وثم اتم دراسـته فيهـا، سافر الى الهند حيث درس فيها بعض العلوم الحديثة، وانتقـل بعـدها الى النجـف الاشـرف لدراسـة العلوم الاسلامية، وفي 1857م توجه الى الديار المقدسـة لاداء فريـضة الحـج. محمـود شـلبي، "ذكـرى السيـد جمال الدين"، مجلة الرسالة، ((مـصر))، ع506، س11، اذار 1943، ص206 ؛ وفي عـام 1870م غادر الى استانبول وتقلد منصب عـضو في مجلـس المعـارف، ثـم سـافر الى مـصر في عهـد الخـديوي اسماعيل وشرع الافغاني بنشر افكاره وكتابة مقالاته.
Nikki R. Keddie, "The Pan Islamic Appeal Afghani and Abdul Hamid II", Middle Eastern Studies, London, Vol. 3, No. 1, October 1966, P. 63.

(**) للمزيد من المعلومات عن الجامعة الاسلامية، ينظر: محمد عبد الرحمن يونس العبيدي، السلطان عبد الحميد الثاني والجامعة الاسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية التربية – جامعة الموصل، 2000م.

(2) نصر الدين عبد الحميد نصر، مصر وحركة الجامعة الاسلامية من عام 1882 الى عام 1914م، الهيئـة المصرية العامة للكتاب، (مصر، 1984)، ص ص28-41.

الغرض منه تحذير الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً من تطاول الاجانب عليهم [1]، وكان هدف الجامعة الاسلامية التي دعا اليها الافغاني جمع الشعوب الاسلامية المستعمرة ومنها مصر، ومقاومة التسلط الاجنبي لتكوين قوة سياسية ضاربة ضده، حيث كانت تلك السياسة من وجهة نظر الحركة الوطنية المصرية بمثابة طوق نجاة ضد العزلة التي يحاول الاستعمار فرضها على مصر [2].

لذا يمكن القول بأن الدعوة الى الجامعة الاسلامية كانت وسيلة للتصدي ضد الهجمة الاستعمارية ولمواجهة الظروف التي تمر بها البلاد العربية خاصة والبلاد الاسلامية عامة، فهي ليست اذن تقويضاً للنزعة القومية او الوطنية وانما هي تقوية لهذه النزعة [3].

اخذ المصريون المتنورون يدركون حقيقة ان سيادة الشعب ومصيره رهن وعي الشعب، وهي حقيقة لم يدركها الا المثقفون الذين كانوا يعلمون ان الاستبداد السياسي في البلدان الاسلامية يتعارض مع روح الاسلام الذي يتبنى مبادئ الحكم الدستوري حسب رأي الافغاني [4].

ونجم عن هذه الاحداث ظهور عدد من التلاميذ الذين اخذوا ساروا على خطى الافغاني في الدعوة لتحرير المسلمين من الاستعمار الاجنبي ومحاربة الشر المتمثل في العبودية والفساد وظلم المحتلين الاجانب، والدعوة لتحقيق الشعار القائل (مصر للمصريين) الذي تحول الى شعار مركزي لكل الوطنيين المصريين [5].

---

(1) محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام محمد عبده، ط2، ج1، مطبعة المنار، (القاهرة، 1344هـ)، ص289.

(2) نصر، المصدر السابق، ص30.

(3) ذوقان قرقوط، تطور الفكرة العربية في مصر 1805-1936، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، 1972)، ص246.

(4) الجبوري، المصدر السابق، ص58.

(5) ليفين، المصدر السابق، ص173.

سادت فكرة الجامعة الاسلامية على الفكر المصري بدءاً من الثلث الاخير من القرن التاسع عشر وحتى اوائل القرن العشرين نتيجة لمدرسة الافغاني وتلامذته الذين جددوا الفكر الديني وابرزوا طابعه التقدمي، الا ان سياسة الجامعة الاسلامية قد اخفقت نتيجة سياسة التتريك التي انتهجها الاتحاديون (*) بعد سيطرتهم على حكم الدولة العثمانية في اعقاب انقلاب عام 1908م، وراح معظم المتحمسين للجامعة الاسلامية يتجهون اتجاهاً قومياً صريحاً دون التخلي عن الدور الجوهري الذي ينبغي ان يمثله الاسلام في اية دولة عربية يمكن ان تقام في بلاد العرب.

يمكن بيان اهم الافكار والتيارات التي سادت مصر حتى اندلاع الحرب العالمية الاولى، بما يلي:

(*) في عام 1889م اسس مجموعة من طلبة مدرسة الطب العسكري في استانبول جمعية سرية كانت غايتها وضع نهاية لحكم السلطان عبد الحميد الثاني واعادة دستور عام 1876م المعطل، وكان هؤلاء الطلاب متأثرين بالحياة الفكرية والسياسية في اوربا، واتخذت الجمعية اسم الاتحاد والترقي واصبح ابراهيم تيمو الالباني رئيساً لها، واستغل السلطان عبد الحميد حركة التمرد في مقدونيا ليبعد جميع الضباط الذين يشك في ولائهم لتصبح مقدونيا ومدينتها سالونيك مركزاً لتجمع الضباط المعارضين الذين شكلوا العديد من الخلايا الثورية في الجيش والذين كانوا ينتظرون الفرصة المناسبة لاعلان الثورة. شجعت الظروف الخارجية وخاصة التقارب الروسي – البريطاني في حزيران 1908م على اعلان الثورة حيث تخوف الضباط من ان يكون هدف التقارب هو لضرب الدولة العثمانية في وقت كان فيه الاسطول الروسي يجري مناورات في البحر الاسود قرب السواحل العثمانية، وفي هذه الاثناء حدثت حالات تمرد كثيرة في مناطق مختلفة من الدولة العثمانية بسبب عدم دفع الحكومة للرواتب واتسع نطاق، هذه الحركات حتى وصلت استانبول، والتي استغلها ضباط الجيش الثالث الذي كان يرابط في البلقان للقيام بثورة ضد السلطان عبد الحميد الثاني وكان على رأسهم انور ونيازي، وارسلت الجمعية انذاراً للسلطان عبد الحميد الثاني بالتنازل عن العرش واعادة العمل بالدستور المعطل الذي اعيد العمل به في 14 تموز 1908م. للمزيد من المعلومات عن الانقلاب وجمعية الاتحاد والترقي، ينظر: ارنست رامزور، تركيا الفتاة وثورة 1908م، ترجمة: صالح احمد العلي، تقديم ومراجعة نيقولا زيادة، منشورات مكتبة الحياة، (بيروت، 1960)، ص ص18–42 ؛ روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ج2، ترجمة: بشيرالسباعي، (بيروت، 1997)، ص ص227–249.

اولا: التيار الاسلامي

ثانيا: التيار الوطني المصري

ثالثا: التيار القومي العربي

لم تكن هناك حدود فاصلة بين هذه التيارات، بل كانت متداخلة بعضها مع البعض الاخر وتهدف جميعها الى تحديث المجتمع واللحاق بركب العصر في كل الميادين، ان هذه التيارات تعد انعكاساً طبيعياً لشعور المصريين بحقيقة كونهم مزيجاً من المشاعر الاسلامية والوطنية والعربية [1].

اولاً: التيار الاسلامي

يدعو اصحاب هذا التيار الى التوفيق بين تعاليم الدين الاسلامي ومنجزات العلم الحديث، وان ليس هناك تعارض بين القرآن الكريم ونصوصه وبين ما توصل اليه العلماء في العصر الحديث من تطورات علمية. ومن اهم دعاة هذا التيار المفكر الاسلامي الشيخ محمد عبده، ومحمد رشيد رضا.

1- الشيخ محمد عبده (*)

يعد الشيخ محمد عبده احد أبرز مفكري عصره، وكان تأثيره في الفكر السياسي المصري كبيراً، وكان يرى ان السبب فيما اصاب المسلمين من الخلال يرجع الى خطأ ربط

---

(1) محمد العزب موسى، وحدة تاريخ مصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، 1972)، ص219.

(*) ولد الشيخ محمد عبده عام 1842م في قرية صغيرة تعرف بـ (محلة نصر) بمديرية (محافظة) البحيرة، ونشأ فيها. درس على يد كتاب القرية ثم ارسل الى الجامع الاحمدي في طنطا لاكمال دراسته، ثم درس في الجامع الازهر، تقلد الشيخ وظائف مختلفة كالتدريس في المدارس الحكومية وتحرير صحيفة (الوقائع المصرية)، وكاتباً في الدوائر الرسمية، حتى اذ كانت الثورة العرابية اشترك فيها، انشأ مع السيد جمال الدين الافغاني صحيفة (العروة الوثقى) التي كانت تصدر في باريس عام 1884م، تقلد منصب مستشار في محكمة الاستئناف، كما اصبح عضوا في مجلس ادارة الجامع الازهر، حتى توفاه الله في 11 تموز 1905م. مجلة الهلال، "الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية، ((مصر))، ج10، س13، اب 1905م، ص ص554-561.

الدين بالسياسة، وان جمود العلم في البلدان الاسلامية لا يعود الى طبيعة الاسلام نفسه، على اعتبار ان الاسلام يشجع العلم تشجيعاً ايجابياً، انما يعود سبب الجمود الى ابتعاد المسلمين عن الاصول الحقيقية لدينهم [1].

اكتسب الشيخ محمد عبده معرفة بالعلوم الاسلامية من خلال دراسته في جامع الازهر في القاهرة لكنه ادرك منذ صغره عقم الاسلوب التقليدي القديم في التعليم الذي يشدد على الحفظ والترديد بدل التفكير التحليلي الشمولي. دخل معترك الحياة العامة ولاسيما السياسية منها، وترك بصماته الفكرية والسياسية على الحركة الوطنية المصرية التي قادها عرابي[2]، وكان يؤكد على المبادئ الوطنية وحب الوطن بقوله: "**ان المصري يجب ان يحب وطنه وامته**"، ودعا الى نبذ التعصب العنصري [3].

ولما احتلت بريطانيا مصر، القي القبض على الشيخ محمد عبده وحكم عليه بالنفي لانه افتى بعزل الخديوي توفيق، وقد اختار بيروت للاقامة بها، ثم التحق بالافغاني في باريس [4]. زار لندن سنة 1884م لاطلاع الرأي العام البريطاني على اوضاع بلاده وما حل بها جراء الاحتلال البريطاني. وفي عام 1888م سمح له الخديوي توفيق بالعودة الى مصر، وفي عام 1899م تقلد منصب مفتي الديار المصرية ابان حكم الخديوي عباس الثاني [5].

وبعد عودته الى مصر وتقلده المناصب الكبرى لم يغير الشيخ نظرته للاحتلال بل واصل معارضته له باعتباره الطريق الوحيد للتخلص من الاحتلال. وخلال حديث محمد

---

(1) احمد عبد الرحيم مصطفى، تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة، معهد البحوث والدراسات العربية، (د.م، 1973)، ص34.

(2) خدوري، المصدر السابق، ص73.

(3) ليفين، المصدر السابق، ص192.

(4) مذكرات الامام محمد عبده، عرض وتحقيق وتعليق طاهر الطناحي، دار الهلال، (مصر، 1961)، ص206 ؛ وثائق تاريخية عن الثورة العرابية، محاضر التحقيقات مع الشيخ محمد عبده وأحمد "بك" رفعت، مجلة الطليعة، ((مصر))، ع11، س 2، 1966، ص ص 154-155.

(5) ابراهيم خليل العلاف، تاريخ الفكر القومي العربي، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، 2001)، ص108.

عبده مع محمد رشيد رضا [*] اشار الى احد الفلاحين الذي كان يمتص عوداً من القصب ولم يتركه الا بعد عصره عصراً شديداً وافراغه من كل رحيق فيه، عقب الشيخ محمد عبده على هذه الحادثة بقوله: "**انظر الى هذا الرجل كيف يمتص هذا القصب ؟! هكذا يفعل الانكليز في امتصاص ثروة البلاد، واستخدام الرجال المقتدرين على العمل فيها. هم يحافظون على الشيء او الشخص ما وجدوا فيه فائدة لهم، حتى اذا ما رأوا انه لم يبق فيه ادنى فائدة القوه كما يلقي هذا الفلاح ما يمتصه من الياف القصب اذا جف ولم يبق من شيء من الحلاوة!**"[1].

اعتقد الشيخ محمد عبده ان النهوض بالامم يتأتى من خلال التزامها بقواعد العلم الصحيح والتربية الاجتماعية الصالحة، وترك السياسة بعد ايمانه بعقم المحاولات السياسية في طرد المحتل [2]، وترك الشيخ محمد عبده للعمل السياسي المباشر منذ نفيه وحتى وفاته، وذلك لا يعني انه كان راضياً عن الاحتلال البريطاني لمصر، ففي المرات القليلة التي تناول فيها الشيخ محمد عبده الحديث عن السياسة عبر عن عدم رضاه عن الاحتلال ولكنه اعترف به كواقع، وسلم به كحقيقة، وسار في طريق التربية والتعليم الذي اعتقد انه السبيل الوحيد لتحرير الوطن من هذا الاحتلال [3].

(*) ولد محمد رشيد رضا سنة 1865م في قرية صغيرة من قرى طرابلس الشام تسمى (القلمون)، تعلم منذ نعومة اظفاره على المبادئ الاسلامية الصحيحة، قدم الى مصر عام 1898م وانشأ مجلة (المنار) في نفس السنة، وعمل على جعل هذه المجلة منبراً لبحث جميع شؤون الاصلاح الديني والمدني والسياسي، تتلمذ على يد الشيخ محمد عبده وارخ لحياته، توفي عام 1935م. فهمي توفيق مقبل، "محمد رشيد رضا 1287-1354هـ/ 1865-1935م"، مجلة الوثيقة، ((البحرين))، ع22، س11، كانون الثاني 1993م، ص ص176-179.

(1) محمد عمارة، "وطنية الشيخ محمد عبده"، مجلة الكاتب، ((القاهرة))، ع150، س13، ايلول 1973، ص114.

(2) علي، المصادر السابق، ص212.

(3) عمارة، المصدر السابق، ص113.

من المؤكد ان مثل هذا الموقف الفكري والعملي لم يكن ليغضب سلطات الاحتلال بل على العكس كانت ترى فيه "**البديل النموذجي**" عن موقف التهييج السياسي الذي اتخذه مصطفى كامل، ولانه ليس مجرد اعتزال فردي للسياسة، وانما هو دعوة للتخلي عن النشاط السياسي [1].

ولغرض المقارنة بين مدرسة الشيخ محمد عبده ذات الميول الوطنية المعتدلة، وبين الذين خانوا وطنهم، لابد من الاشارة الى الحوار الذي دار بين الشيخ وبين محمد بك بيرم محافظ القاهرة الذي استسلم للاحتلال واعتبره واقعا ابدياً، وقال بيرم خلاله: "**ان الراية المصرية وكل ما هو بمعناها قد طار مع دخان المدافع يوم ضرب الاسكندرية، وان الخديوي يوم جاء مصر استقبله الانكليز استقبال ضيف !.. ولكن المصريين لا يفهمون هذا.. يرون ميتاً لم يدفن فيظنونه حياً...**". وعقب الشيخ محمد عبده على ما قاله بيرم بقوله: "**أن العمل لاخراج الانكليز من مصر عمل كبير جداً، ولابد في الوصول الى الغاية منه من السير في الجهاد على منهاج الحكمة والدأب على العمل الطويل، ولو لعدة قرون، لا انه عمل صغير يكفي فيه الكلام في المجالس والكتابة في الجرائد**" [2]. وهكذا عبر الشيخ عن ايمانه بضرورة العمل لاخراج المحتل من مصر ولو تطلب ذلك وقتاً طويلاً جداً.

ومن ابرز اعمال الشيخ محمد عبده الفكرية التي عملت على تطور الحركة الوطنية المصرية والتي تركت اثارها الواضحة على مجمل الفكر السياسي في مصر، هي محاولاته الجادة في تفسير الرسالة الاسلامية تفسيراً عصرياً جديداً ينسجم مع العلوم العقلية الحديثة (وهي مجمل احاديثه في تفسير القرآن الكريم على النهج الحديث الذي يربط القرآن الكريم بالاحداث، والاسلام بالعصر)، وكان يدعو الى نشر مبادئ العدالة الاجتماعية واشاعة الطمأنينة والاستقرار في المجتمع المصري. ودعا الى انشاء جامعة

---

(1) علي، المصدر السابق، ص ص214-215.

(2) عمارة، المصدر السابق، ص ص114-115.

مصرية الى جانب الجامع الازهر ليؤكد على ضرورة التوافق بين العلم الحديث والتراث الاسلامي العميق [1].

اكد الشيخ في مقالاته ومحاضراته العديدة، وفي احاديثه الخاصة والعامة، على ان اول ما تحتاجه مصر هو غرس الروح الوطنية والارتباط بالوطن وان الاستقلال السياسي هو بمثابة تحصيل حاصل للتربية الوطنية [2]. اذ ان مفهوم **محمد عبده للوطنية يتأسس على منظور ليبرالي يستند الى الشرعية الدستورية، التي تعطي الاولوية للحرية الداخلية كمقدمة ضرورية للتحرر الخارجي** [3].

لذا رأى الشيخ ان الطريق الى نهضة العرب والمسلمين لا يتم الا بعد تحرير المجتمع من الداخل والخارج. ففي الداخل يتطلب العمل على محاربة كل انواع الاستبداد المهيمنة على حياة المجتمع والسعي من اجل حرية الانسان، كما يتطلب اعطاء دور كبير للشورى في حياة المجتمع، ولاسيما في الجانب السياسي، هذا فضلاً عن التحلي بروح الاخوة الاسلامية التي اذا ما فهمت فهماً صحيحاً فانها ولاشك لا تعمل على وحدة المجتمع الفكرية والروحية فقط، وانما على توحيده في كافة الميادين، وتحرير المجتمع لا يتم الا باصدار تشريعات عادلة تعكس عادات وتقاليد واخلاق وعقيدة المجتمع. اما بشأن تحرير المجتمع من الخارج فأنه دعا الى ضرورة السعي للتخلص من النفوذ الاستعماري الاجنبي الذي يعمل على توجيه حياة وفكر المجتمعات التي يسيطر عليها، الوجهة التي تنسجم مع مصالحه [4].

---

(1) الجبوري، المصدر السابق، ص ص61-62.

(2) البرت حوارني، الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939م، ترجمة: كريم عزقول، دار النهار للنشر، (بيروت، 1968)، ص194.

(3) عبد الرزاق عيد، محمد عبده إمام الحداثة والدستور، ط1، معهد الدراسات الاستراتيجية، (بغداد، 2006)، ص279.

(4) فاضل زكي محمد، الفكر السياسي العربي الاسلامي بين ماضيه وحاضره، ط1، (بغداد، 1970)، ص ص358-359 ؛ احمد، المصدر السابق، ص ص370-371.

2- محمد رشيد رضا

تكونت اللبنات الاولى لفلسفته الاصلاحية منذ ان كان طالباً على مقاعد الدراسة في طرابلس الشام، اذ ادرك ان امته بحاجة الى حركة اصلاح واعادة بناء من جديد بعدما اصابها من نكبات ونكسات، وكان يرى ان الاصلاح يكمن في مبدأين اساسيين هما: الصدق والشجاعة، فعلى المصلحين ان يكونوا صادقين في الخطوات التي يتخذونها لتحقيق اهدافهم المنشودة [1].

وبعد اطلاعه على المقالات المنشورة في صحيفة (**العروة الوثقى**) [*] تملكه اعجاب شديد بها حتى صرح انها غيرت مجرى حياته، وابدى رغبته في الدراسة على يد الشيخ محمد عبده، وبالفعل ذهب الى مصر عام 1898م واصبح احد تلاميذه، ومن اكبر اتباعه واكثرهم نشاطاً فسلك منهجه ونشر كتبه وفسر تعاليمه وارخ سيرته في ثلاث مجلدات [2].

ومن اجل نشر افكاره وبثها بين صفوف الناس انشأ محمد رشيد رضا صحيفة ((**المنار**)) عام 1898م، وقال عنها في المجلد الرابع والعشرين الصادر بتاريخ 17 كانون الثاني 1923م: "**ان المنار انما انشيء لايقاظ الشرق وتجديد الاسلام باعادة تكوين الامة وحياة الملة والدولة**" [3].

كانت صحيفة (**المنار**) منذ تأسيسها مدرسة فكرية التف حولها عدد من الشباب المؤمن بالرابطة العثمانية والداعي الى اقامة مجتمع اسلامي تحت راية الخليفة العثماني [4]، حيث ان الرابطة الدينية، حسب رأيه، تعد اهم من كل الروابط الاخرى، وهي التي تقف

---

(1) ابراهيم احمد العدوي، رشيد رضا الامام المجاهد، (القاهرة، د.ت)، ص43.

(*) للمزيد من المعلومات عن صحيفة ((العروة الوثقى))، ينظر: جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده، العروة الوثقى، ط2، دار الكتاب العربي، (بيروت، 1980م).

(2) زيادة، المصدر السابق، ص312.

(3) الجبوري، المصدر السابق، ص68.

(4) احمد، المصدر السابق، ص373.

بوجه الاخطار الخارجية، ودعا محمد رشيد رضا الى نبذ التعصب. كما دعا الى الاعتداد بالوطنية وضرورة الحفاظ على الدولة العثمانية باعتبارها راعية الجامعة الاسلامية وتمثل رمزاً لوحدة المسلمين وطالب بالحفاظ على اللغة العربية فهي من انجح القواسم المشتركة لوحدة الامة الاسلامية [1].

ساهم محمد رشيد رضا في تأسيس حزب (اللامركزية الادارية العثمانية) بالقاهرة عام 1912، وكان هدف الحزب السعي لتطوير اسلوب الحكم في اقطار الدولة العثمانية على اساس اللامركزية وبعبارة اخرى منح كل ولاية قسطاً كبيراً من الاستقلال الاداري حتى تستطيع تنفيذ الاصلاحات الضرورية ومقاومة أي غزو اجنبي في حالة تعذر مساعدة الحكومة المركزية لها [2].

ثانيا : التيار الوطني المصري

ظهرت البواكير الاولى لهذا التيار ابان الصراع مع القوى الرجعية المتمثلة بالخديوي اسماعيل الذي باع اقتصاد مصر للدول الاجنبية، لاسيما فرنسا وبريطانيا، الى جانب الدول الاوربية الكبرى التي كان من مصلحتها الابقاء على سلطة ضعيفة متخلفة وارادتها مرهونة بها، وشهد هذا التيار نمواً ملحوظاً خلال الثورة العرابية، وتصلب عوده بعد الاحتلال البريطاني لمصر، وارتبط الفكر السياسي لرجال هذا التيار بالحركة الوطنية ارتباطاً وثيقاً من اجل تحرير بلادهم من سلطة الاحتلال. وسوف نسلط الضوء في هذه الدراسة على ابرز من مثلوا هذا التيار، وهما كل من: مصطفى كامل ومحمد فريد اللذين اصبحا فيما بعد رمزين مهمين في تاريخ مصر.

1- مصطفى كامل

يعد مصطفى كامل ابرزالشخصيات التي اقترن اسمها بالحركة الوطنية في مصر في تلك المرحلة، اذ اصطبغت افكاره بقسط كبير من العلمانية والليبرالية، واعاد الى المصريين

---

(1) الجبوري، المصدر السابق، ص69.

(2) للمزيد من المعلومات، ينظر: احمد، المصدر السابق، ص413.

ثقتهم بانفسهم بعد الاحتلال، وتذكيرهم بماضيهم واهمية تاريخهم، وبفضل ما عرف عنه من مواهب كقوته في الخطابة واجادته في وصف حبه للوطن فقد ترك اثراً كبيراً في مصر لم يضاهيه سوى القليل من علماء الدين، ولاسيما وانه كان يعتقد مخلصاً ان الدين والوطنية متكاملان وان لا مجال للصدام بينهما (1).

بدأ نشاطه السياسي مبكراً، فبدأت مقالاته تظهر منذ عام 1893م في صحيفة (الاهرام) وهي تحمل عنوان "**نصيحة لوطني**"، وتشكلت منذ ذلك الحين قناعاته السياسية الراسخة بضرورة طرد المحتل من البلاد (2)، وتحقيق شعار (مصر للمصريين) والسعي لتحقيق الاستقلال الناجز (3).

كما انبرى لاثارة الحماسة الوطنية بين زملائه من الطلبة لمقاومة الاحتلال، فاكبروا فيه وطنيته ومواهبه الخطابية، واجتمعت قلوبهم على محبته والاعجاب به (4).

اعتمد في مناوئة الاحتلال على الدولة العثمانية حيث شدد على اهمية الرابطة الدينية بين المسلمين، واشاد بدور السلطان **عبد الحميد الثاني** (*) (1876-1909م) وتبنيه

---

(1) مصطفى، تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة، ص42.

(2) ليفين، المصدر السابق، ص203.

(3) Tignor, OP. Cit, P. 149.

(4) علي الحديدي، عبد الله النديم خطيب الوطنية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (مصر، د.ت)، ص324.

(*) ولد السلطان عبد الحميد الثاني يوم الاربعاء المصادف 21 ايلول 1842م، تولى حكم الدولة العثمانية في 31 اب 1876م. اسمعيل سرهنك، حقائق الاخبار عن دول البحار، ط1، ج1، (مصر، 1312هـ)، ص728 ؛
Sultan Abdul Hamid, Siyasi Hatiratim, (Istanbul, 1975) S. 31.
كانت الدول العثمانية انذاك تمر بأشد الظروف على مختلف الاصعدة سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، شهد عهده احداث عديدة، ابرزها: اعلان الدستور في عام 1876م، وانقلاب عام 1908م، خلع عن الحكم في عام 1909م. للمزيد من المعلومات عن اوضاع الدولة العثمانية في عهد عبد الحميد الثاني، ينظر: محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط1، دار الجيل، (بيروت، 1977)، ص ص326-413 ؛ الما وتلن، عبد الحميد ظل الله على الارض، ترجمة: راسم رشدي، دار النيل للطباعة، (القاهرة، 1950).

سياسة الجامعة الاسلامية [1]، الا ان تأييد مصطفى كامل للجامعة الاسلامية اقترن مع توجهاته الوطنية الداعية الى استقلال مصر عن بريطانيا وضرورة جلاء القوات المحتلة عن مصر[2]، كما اعتمد ايضاً على التناقضات بين الدول الاوربية والتنافس بينها ولاسيما بين بريطانيا وفرنسا، الا انه اصيب بخيبة امل عندما عقد الاتفاق الودي "Entente Cordiale" بين بريطانيا وفرنسا في 8 نيسان 1904م [3].

ايقن الوطنيون ومن بينهم مصطفى كامل بعد توقيع الاتفاق الودي عدم جدوى الاعتماد على فرنسا في رفض الاحتلال البريطاني، وتغيرت المشاعر الودية التي كان القادة الوطنيون يحملونها تجاه فرنسا الى مشاعر امتعاض شديد [4].

تعرف مصطفى كامل خلال وجوده في فرنسا على فرنسيين كبيرين من اعداء السياسة البريطانية ساعداه على ترويج القضية المصرية، هما: السيدة جولييت ادم (Juliett Adam) اكبر شخصيات فرنسا في عالم الوطنية والسياسة والادب ورئيسة تحرير صحيفة (La Novel Revue) والتي كانت مشهورة بتعاطفها مع استقلال مصر [5]، والمسيو فرنسوا دلونكل (Francois Deloncle) الزعيم السياسي وعضو البرلمان الفرنسي [6].

---

(1) للمزيد من المعلومات، ينظر: العبيدي، السلطان عبد الحميد والجامعة الاسلامية، ص ص56-58.

(2) احمد فهد بركات الشوابكة، حركة الجامعة الاسلامية، ط1، (الاردن، 1983)، ص155.

(3) عالجت بنود الاتفاق الودي تسوية الخلافات بين بريطانيا وفرنسا حول المستعمرات، فقد نص احد بنود الاتفاقية على اعتراف فرنسا بمصالح بريطانيا في مصر، وبالمقابل سلمت بريطانيا بمركز فرنسا ومصالحها في مراكش. أ. ج. ب تايلور، الصراع على السيادة في اوربا 1848-1918م، ترجمة: كاظم هاشم نعمة ويوئيل يوسف عزيز، (د.م، 1980)، ص ص469-474 ؛ عبد الوهاب عباس القيسي واخرون، تاريخ العالم الحديث 1914-1945، ط1، (بغداد، 1983)، ص12 ؛
Hurewitz, Op. Cit, Vol. 1, PP. 563-264.

(4) Marlowe, Cromer in Egypt, P. 262.

(5) Mohammed, Op. Cit, P. 272.

(6) عمر، المصدر السابق، ص366.

اضطر مصطفى كامل بعد ان ثبت فشل سياسته التي كانت تقوم على كسب الرأي العام الاوربي، ولاسيما فرنسا، لأجلاء المحتلين، عقب عقد الاتفاق الودي الى تغيير سياسته بالاعتماد على النضال داخل مصر.

اثرت نشأته الوطنية المتمثلة بحبه الشديد لمصر والتي اتخذ منها عقيدة ناضل لغرسها في عقول الشعب ووجدانه، والتي استطاع الشعب من خلاله ان يزيد من تعلقه بالوطن ويدافع عنه لانقاذه من براثن الاحتلال، فكانت فكرة الوطنية المصرية هذه قد لعبت على يده دوراً بارزاً لبلورة الامة وتوحيدها [1].

وجاء في خطاب له في الاسكندرية في 22 تشرين الاول 1907م، قوله: "**اننا لانعمل لانفسنا بل نعمل لوطننا، وهو باق ونحن زائلون، وما قيمة السنين والايام في حياة مصر وهي التي شهدت مولد الامم كلها وابتكرت المدنية والحضارة للنوع الانساني كله** [2].

وكتب عدة مقالات دعا فيها الى اماطة اللثام عن التاريخ القديم لمصر والعناية بحضارتها القديمة التي كان لها الاثر الكبير في بناء فكرة الوطنية المصرية التي لا تتعارض حسب رأيه مع فكرة الجامعة الاسلامية، حيث يقول في هذا الصدد: "**ليس في خدمة الاسلام او الدعوة لاتحاد المسلمين شيء من التعصب الديني او المخالفة للمبادئ الوطنية**" [3].

قال الخديوي عباس الثاني في مذكراته: "**ان مصطفى كامل هو الذي نشر الفكرة الوطنية في شباب مصر وهو الذي هز الروح المصرية فأيقظها من غفوتها** [4]. وبذلك نجح مصطفى كامل في بناء الحركة الوطنية والتي وحدت البلاد ضد الحكم الفردي للورد

---

(1) الشوابكة، المصدر السابق، ص ص142-143.

(2) الرافعي، مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية، ص485.

(3) الشيخلي، المصدر السابق، ص100.

(6) الرافعي، مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية، ص352.

كرومر [1]، وهو ما دفع الادارة البريطانية الى القيام ببعض التغييرات بعد عزل كرومر من منصبه عام 1907م [2].

عبر مصطفى كامل عن استعداده للتعاون مع كل القوى الداخلية والخارجية المعارضة للاحتلال، حيث كان يضع في اعتباره هدفاً واحداً هو الجلاء، وعدواً واحداً هو الاحتلال، الا ان وفاته عام 1908م وهو في ريعان شبابه حالت دون تحقيق هدفه الوطني [3].

2- محمد فريد بك المحامي

يعد محمد فريد بك احد ابرز الذين مثلوا التيار الوطني المصري، ولاسيما انه تـرأس الحزب الوطني عام 1908م بعد وفاة مصطفى كامل فاصبح زعيماً للحركة الوطنية [4]، كانت اتجاهاته الفكرية تدور حول محور الفكرة الوطنية والاسلامية المتمثلة بكراهيته للبريطانيين ورغبته في اخراجهم من مصر ليحكمها ابنائها انفسهم في ظل التبعية العثمانية[5].

تكاد اراء محمد فريد تتشابه الى حد كبير مع الاراء التي طرحها مصطفى كامل، واتخذ نفس خطه السياسي والفكري. مع انه سار بالحركة الوطنية باتجاه جديد وهو الربط ما بين المثقفين وطموحات الطبقة العاملة الجديدة، فازداد اهتمامه بانشاء المدارس والعناية بقطاع الصناعة **وبنقابات العمال** [*]، مما اثر في زيادة قوة الحركة الوطنية بحيث

---

(1) Richmond, OP. Cit, P. 158.

(2) The Near East, Vol. IV, No. 47, July 19, 1911.

(3) محمد انيس، صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر، 1999)، ص23.

(4) ينظر: الفصل الرابع من الرسالة.

(5) للمزيد من المعلومات: الرافعي، محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية، ص ص55-438.

(*) ساهم محمد فريد في ترقية حال العمال المعنوية والمادية، فعمل على دعم انشاء اول نقابة للعمال في مصر ببولاق عام 1909م (نقابة عمال الصنائع اليدوية). للمزيد من المعلومات، ينظر: المصدر نفسه، ص110.

انضوى تحت لواء الحزب الوطني قطاعات كبيرة من ابناء الشعب المصري، وشاركوا في العملية السياسية [1].

ويعتبر محمد فريد من الداعين لتأسيس الجامعة المصرية، و الدعاية لها، كما اخذ يكتب مقالات وطنية في الصحافة، ولاسيما الوطنية منها، حول تاريخ مصر القديم والحديث، ووجوب اعطاء مصر حقوقها السياسية ومنحها دستوراً تقدمياً [2].

وكان محمد فريد اول من قال بان الجلاء عن مصر هو خدمة للسلام العالمي، وان من مصلحة السلام العالمي ان تستقل مصر وان تشكل فيها حكومة ديمقراطية، كما عمل على الدعاية للقضية المصرية والمطالبة باستقلال مصر في المؤتمرات الدولية، فلم يترك مؤتمراً دولياً الا وقدم له مذكرة بمطالب مصر الوطنية، كالمؤتمر الذي انعقد في العاصمة البلجيكية **بروكسل** [*] في ايلول 1910م، **ومؤتمر برن** [**] (عاصمة سويسرا) في كانون الثاني وشباط 1919 [3].

كما عمل على استغلال المناسبات الوطنية في شحذ الهمم والاحتجاج على الاحتلال البريطاني والاعلان عن عدم مشروعيته، فألقى بالقاهرة في مسرح عباس (سينما الكوزمو فيما بعد) خطبة حماسية يوم 14 ايلول 1908م، بمناسبة ذكرى 14 ايلول 1882م وهو اليوم الذي احتل فيه البريطانيون مصر، قائلاً: "**ان الامم تحتفل بحريتها واستقلالها ونحن نندب حظنا ونبكي على استقلالنا**" [4].

---

(1) الشوابكة، المصدر السابق، ص148.

(2) عمر، المصدر السابق، ص372.

(*) للمزيد من المعلومات عن المؤتمر، ينظر: وثائق اعمال مؤتمر الحزب الوطني المنعقد في بروكسل عام1910، المصدر السابق، ع4-5.

(**) للاطلاع على تفاصيل المؤتمر، ينظر: الرافعي، محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية، ص434.

(3) الشافعي، المصدر السابق، ص23.

(4) الرافعي، محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية، ص90.

ولعب محمد فريد دوراً كبيراً في كشف الاتفاق الذي كان يدور بين شركة قناة السويس والحكومة المصرية لتمديد امتياز القناة لأربعين عاماً، فبدل ان ينتهي الامتياز في عام 1968م مدد لغاية 2008م، غير ان محمد فريد تمكن من الحصول على نسخة من الاتفاق قبل توقيعه، ونشر الخبر في صحيفة (اللواء) الامر الذي اثار غضب الشعب وفضح الحكومة وطالب الرأي العام بعرض الموضوع على الجمعية العمومية التي قامت بدورها بتشكيل لجنة [*] لدراسة مقترحات الحكومة، وجاء التقرير متضمناً الخسائر المالية التي ستتعرض الحكومة لها نتيجة لهذا الاتفاق، وقد استخدمت المعارضة هذا التقرير حجة قوية للحيلولة دون تمديد الامتياز، وبناء على ذلك رفضت الجمعية العمومية الاقتراح، بالتالي لم ينفذ العقد [1].

ومن الاعمال المهمة لمحمد فريد تأليفه كتاب (تاريخ الدولة العلية العثمانية) الذي اكد في مقدمته ان الهدف من تأليف هذا الكتاب ابراز دور الدولة العثمانية في حماية الاسلام والدفاع عنه، فعمل على توثيق علاقات مصر مع الدولة العثمانية التي كانت تهيمن على المنطقة العربية في اطار الجامعة الاسلامية [2].

ويصف فتحي رضوان (احد زعماء الحزب الوطني فيما بعد) شخصية محمد فريد، قائلاً: "**ان تاريخ محمد فريد الطويل ونضاله من اجل مصر قد لفت انظار الكثيرين، وان العالم الفرنسي الكبير جوليو موري قال ان تاريخ محمد فريد يرفعه الى مصاف اكبر زعماء الامم في مجال السياسة والثقافة الدولية** [3].

وهكذا اسهم زعماء التيار الوطني في تنوير اذهان جميع فئات الشعب، وعملوا على جعل جلاء الاحتلال عن مصر مطلباً شعبياً عاماً. فكان رجال هذا التيار بحق زعماء وطنيين.

(*) ضمت اللجنة محمد طلعت حرب وسمير صبري.

(1) العبيدي، الدور الاقتصادي للبرجوازيين، ص ص47-48.

(2) المحامي، المصدر السابق، ص ص4-5.

(3) جريدة اخبار اليوم، ((مصر))، ع1827، 10/ 11/ 1979.

ثالثا: التيار القومي العربي

من خلال ما تقدم يلاحظ، ان التيار الاسلامي كان السائد تقريباً على الحركة الفكرية في مصر، لذلك كان من الطبيعي ان يخفت صوت الفكر القومي العربي لانه كان متوارياً بين التيارات الاخرى التي يقودها التيار الاسلامي، ولكن هذا لا يعني ان كثيراً من كتاب هذه الفترة كانوا لايدركون وجود روابط اخرى تربط مصر بالبلاد العربية ولكنهم غالباً ما كانوا يخلطون بين هذه الروابط وبين الرابطة الاسلامية. بلغت فكرة العروبة بمعناها القومي الحديث **عند الكواكبي** (*) حداً من النضج ودرجة من الوضوح تستحق الاشادة بها، وابرز من مثل هذا التيار عبد الرحمن الكواكبي.

- عبد الرحمن الكواكبي

كان الكواكبي احد ابرز رواد الفكرة العربية الحديثة، وصل الى القاهرة قادماً من حلب في تشرين الثاني عام 1899م، حيث استقبل في مصر استقبالاً حافلاً، وسرعان ما شارك في الحركة الفكرية وانضم في نواديها الادبية، ثم نشر كتابيه المشهورين عام 1900م ((ام القرى)) و((**طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**))[1]، حيث اشار في مقدمة كتابه الاخير الى ان: " **المستبد عدو الحق، عدو الحرية وقاتلهما، والحق أبو البشر، والحرية أمهم،**

(*) ولد عبد الرحمن احمد بهائي بن محمد بن مسعود في حلب عام 1854م ودرس فيها، ثم التحق بالازهر الشريف لاكمال الدراسة فيه، عمل في ميدان الصحافة فاصدر صحيفة (**الفرات**) عام 1876م في حلب، ثم اصدر صحيفة (**الشهباء**) عام 1878م، وبعد عام اصدر صحيفة (**الاعتدال**) ليواصل طرح افكاره فيها، اصبح عام 1879م عضواً في لجنتي المعارف والمالية بحلب، وفي عام 1880م عين عضواً بلجنة الاشغال، ثم اصبح في عام 1881م مديراً للمطبعة الرسمية بحلب، مات مسموماً في القاهرة بتاريخ 14 حزيران 1902م. للمزيد من المعلومات، ينظر: السيد يوسف، عبد الرحمن الكواكبي رائد القومية العربية وشهيد الحرية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، (مصر، 2006)، ص ص17-32.

(1) نور بير تابييرو، الكواكبي المفكر الثائر، ترجمة: علي سلامة، منشورات دار الادب، (بيروت، د.ت)، ص9.

والعوام صبية إيتام نيام لا يعلمون شيئاً، والعلماء هم أخوتهم الراشدون ان أيقضوهم هبّوا وإن دعوهم لبّوا(1).

شرع الكواكبي مجرداً قلمه في اثراء الساحة الفكرية والسياسية في مصر (2)، وعاصر المشاكل التاريخية التي مرت بها الامة وخلص الى ان معالجة تلك المشاكل يتمثل في تعزيز الاواصر الوطنية على اساس قومي عربي بغض النظر عن اختلاف العقائد والمذاهب والاديان، وحذر العرب على اختلاف اديانهم من تلك الشراك التي ينصبها لهم المستعمرون، واطلق صيحته القومية ووجه نداء الى النصارى العرب دعاهم فيه الى الوحدة الوطنية، جاء فيه: "**يا قوم: واعني بكم الناطقين بالضاد من غير المسلمين، ادعوكم الى تناسي الاساءات و الاحقاد، وما جناه الآباء والاجداد، فقد كفى ما فعل ذلك على ايدي المثيرين، واجلكم من ان لا تهتدوا لوسائل الاتحاد وانتم المتنورن السابقون، فهذه امم اوستريا وامريكا قد هداها العلم لطرائق شتى واصول راسخة للاتحاد الوطني دون الديني، والوفاق الجنسي دون المذهبي...**"(3).

ويتميز الكواكبي بانه افرد للمسألة الاجتماعية اهمية كبرى، فتحدث كثيراً عن العدالة الاجتماعية، وكشف عن مساوئ الاستبداد والفقر والجهل في المجتمع، كما ارتفع صوته عالياً بالمطالبة بالحرية والشورى والتحرر من اليأس وبث روح الامل والثقة في قدرة الشعوب على صنع مستقبلها (4).

---

(1) عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ط3، تقديم: اسعد السحمراني، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، 1993)، ص ص33-34.

(2) فهمي توفيق مقبل، "رواد الاصلاح في العصر الحديث – عبد الرحمن الكواكبي"، مجلة الوثيقة، ((البحرين))، ع21، ص11، تموز 1992، ص169.

(3) عبد الرحمن الكواكبي، الاعمال الكاملة، دراسة وتحقيق محمد عمارة، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، 1975)، ص ص207-208.

(4) يوسف، المصدر السابق، ص ص208-209.

ويمكن القول ان الكواكبي من اوائل الداعين الى الوحدة العربية من منطلق الفكر العربي الاسلامي متخذاً من وحدة اللغة والتاريخ والتراث ارضية اساسية للعمل السياسي والاجتماعي. والحق انه طور نظرية مقاومة النفوذ الاجنبي الاستعماري من منطلق الرابطة الاسلامية الى الرابطة العربية باعتبارها اكثر ايجابية ووضوحاً [1]، كما ان العروبة تشكل في نظر الكواكبي الضمانة للمحافظة على جوهر الاسلام [2].

ولم يكن الكواكبي يرى ان محاولات استغلال الدين تقتصر فقط على سلاطين بني عثمان الذين استغلوا – حسب رأيه – الاسلام لخدمة مصالحهم، بل شملت الدول الاوربية التي استغلت هي الاخرى المسيحية لخدمة اغراضها، قائلا: "**أليس مطلق العربي اخف استحقاراً لاخيه من الغربي؟ هذا الغربي قد اصبح مادياً لا دين له غير الكسب، فما تظاهره مع بعضنا بالاخاء الديني إلا مخادعة وكذباً**"[3].

اتفقت آراءه مع اراء الشيخ محمد عبده حيث اعتبر كليهما الثقافة والتربية والتعليم والتوفيق بين الدين والعلم وتحرير العقل من الخرافات بالحجة والبرهان هي ادوات الاصلاح. وكانت افكار الكواكبي والافغاني ومحمد عبده تتفق جميعاً على مهاجمة الاستبداد وتعرية كل مزاعمه، وتحرض الجماهير على الثورة ضده والتخلص منه في مرحلته الاولى[4].

وقد وصف احد المستشرقين الكواكبي بأنه: "**مؤسس نزعة القومية العربية**"[5].

بالاضافة الى عبد الرحمن الكواكبي، ظهر في الشارع المصري اوائل عام 1914م عزيز علي المصري [*] المتحمس جداً لمساعدة العرب ممن يقطنون الاراضي التابعة للدولة

---

(1) الشيخلي، المصدر السابق، ص106.

(2) احمد، المصدر السابق، ص377.

(3) الكواكبي، الاعمال الكاملة، ص208.

(4) يوسف، المصدر السابق، ص ص208-209.

(5) لوتسكي، المصدر السابق، ص288.

العثمانية منهم [1]. فدعا لاعلان دستور يكفل لهم ولغيرهم المساواة المنشودة، وكان قد دعا لتأسيس جمعية العهد [**] عام 1913م التي انخرط في صفوفها العسكريون فقط [2].

كان نشاط جمعية العهد بالغ السرية خشية من بطش الاتحاديين ثم كشف النقاب عنها فيما بعد، فأعفي عزيز علي المصري من الجيش العثماني في 20 كانون الثاني 1914م. والقي القبض عليه في 19 شباط 1914م وقدم للمحاكمة [3].

(*) عزيز علي المصري: ولد في مصر عام 1879م، تعلم في مدارس مصر واكمل تعليمه في استانبول، خدم في الجيش العثماني، عين مدرسا بكلية الاركان العثمانية 1907م، ثم مفتشا في الجيش العثماني في ولاية سلانيك، شغل منصب وزير الحربية وقائدا عاما للجيوش العربية في الثورة العربية الكبرى عام 1916م بقيادة الشريف حسين، اصبح سفير مصر في الاتحاد السوفيتي عام 1953م. للمزيد من المعلومات، ينظر: غربال، المصدر السابق، ص1211.

(1) مجيد خدوري، "عزيز علي المصري وحركة القومية العربية"، مجلة افاق عربية، ((بغداد))، ع11، س13، تموز 1978م، ص ص75-76.

(**) جمعية العهد: تأسست جمعية العهد في استانبول بتاريخ 28 تشرين الاول عام 1913م وتعد من ابرز الجمعيات السرية واهمها. اطلق عليها هذا الاسم لتكون عهدا بين اعضائها وبين الله على خدمة الوطن، وكان اعضائها جميعاً من العسكريين باستثناء (الامير عادل ارسلان وعارف الشهابي). للمزيد من المعلومات، ينظر: محمد بديع شريف واخرون، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، مطبعة الرسالة، (القاهرة، د.ت)، ص ص90-93.

(2) مصطفى الشهابي، القومية العربية – تاريخها ومراميها، ط2، مطبعة الرسالة، (القاهرة، 1916)، ص79.

(3) بو علي ياسين واخرون، الاحزاب والحركات القومية العربية، ج1، المركز العربي للدراسات الستراتيجية، (د.م، د.ت)، ص26.

وجهت لعزيز علي المصري مجموعة من التهم ابرزها، محاولة تأسيس دولة عربية في شمال افريقيا [1]. الا انه تم العفو عنه في 21 نيسان 1914 [2].

هاجر العديد من الشاميين الى مصر وساهموا بالدعوة الى القومية العربية، فوصل **شكيب ارسلان** [*] مصر سنة 1890م، كما وصل **ابراهيم اليازجي** [**] الى مصر عام 1894م حيث اسهم في ميدان الصحافة اسهاماً كبيراً وتوفى على ارضها 1906م. وهكذا كانت مصر ملتقى الاحرار ونبعت فيها نهضة ادبية وثابة رافضة للاستبداد [3].

من خلال دراسة دور التيارات الفكرية والسياسية في تطور الحركة الوطنية المصرية، نلاحظ: انها كانت نتاج ادباء ومفكري هذه المرحلة، واتفقت تلك التيارات على مقاومة الاحتلال البريطاني والتصدي لكل الاطماع الاجنبية الاخرى ولو ان اهمية ودور التيارات كان يختلف من حين الى اخر تبعاً لتغير الظروف.

---

(1) محمد انيس ورجب حراز، الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، (القاهرة، 1967)، ص215.

(2) للمزيد من المعلومات عن عزيز المصري ونشاطه السياسي، ينظر: زينب خالد حسين الساعدي، عزيز علي المصري والحركة القومية العربية، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية التربية للبنات – جامعة بغداد، 2004م.

(*) شكيب ارسلان: مؤرخ عربي وعالم بالادب والسياسة ولد عام 1869م في لبنان ودرس فيها، اقام في مصر ووصل الى استانبول بوصفه نائباً عن حوران في مجلس المبعوثان، سمي امير البيان بين اعضاء المجمع العلمي العربي، ابزر مؤلفاته ((**الحلل السندسية في الرحلة الاندلسية**))، توفي عام 1946م. غربال، المصدر السابق، ص ص117-118.

(**) ابراهيم اليازجي: ولد عام 1847م بلبنان، وهو ابن المفكر الكبير ناصيف اليازجي، تثقف في مدارس لبنان، وعمل في ميدان الصحافة، فاصدر مجلة (**الطبيب**)، انشأ مع الدكتور بشارة زلزل مجلة (**البيان**) الادبية عام 1897م، كما اصدر مجلة (**الضياء**) عام 1898م، له العديد من المؤلفات، منها: (**لغة الجرائد**) و (**معجم الفرائد الحسان من قلائد اللسان**). المصدر نفسه، ص1976.

(3) محمد عبد الرحمن برج، عبد الرحمن الكواكبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، 1972)، ص ص69-70.

الفصل الثالث

السياسة البريطانية تجاه الصحافة الوطنية المصرية

1882 – 1914م

الفصل الثالث

السياسة البريطانية تجاه الصحافة الوطنية المصرية

1882- 1914م

تعد الصحافة في عهد الاحتلال البريطاني اهم مظاهر التعبير عما يدور في نفوس المصريين من امال وتطلعات ضد سيطرة الاحتلال، فلم تكن حينذاك ثمة اذاعة او محطة تلفاز تتولى تغطية اخبار المحتل وردود الفعل ضده، وهكذا غدت الصحف بمثابة مرآة للشعب وموجهاً وناصحاً ومرشداً له، ولعبت دوراً كبيراً في الحركة الوطنية في مصر منذ بداية الاحتلال وحتى مطلع القرن العشرين عُرف بالطور الصحفي.

اولاً: نشأة وتطور الصحافة حتى الاحتلال البريطاني لمصر 1882م

عرفت مصر الصحافة منذ ايام الحملة الفرنسية، فأصدر الفرنسيون صحيفتين في مصر باللغة الفرنسية، وهما: (لوكوريه دي ليجبت) Le Courrier de Le Egypt، اي بريد مصر، في 29 اب 1798م. وصحيفة (لاديكاد اجبشين) Le Decade Egyptienne أي العقد المصري في 7 تموز 1799 [1]، وكانت الاولى للدعاية ونقل الاخبار وارشاد الجنود الفرنسيين في مصر، فيما كانت الثانية صحيفة علمية اهتمت بدراسة شؤون مصر في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والتاريخية كافة [2].

---

(1) مجلة الهلال، " الصحافة في مصر "، ((مصر))، ج8، س13، ايار 1905، ص541، للمزيد من المعلومات، ينظر: خليل صابات، " الطباعة في مصر خلال الحملة الفرنسية 1798-1801 "، مجلة كلية الاداب، ((جامعة القاهرة))، ج2، مج21، كانون الاول 1959م.

(2) ابراهيم عبده، جريدة الاهرام تاريخ وفن 1875-1964، مؤسسة سجل العرب، (القاهرة، 1964)، ص11.

وبعد ان استقر الامر لمحمد علي في حكم مصر، اصدر الصحيفة الرسمية (الوقائع المصرية) في 3 كانون الاول 1828م، ليطلع الشعب من خلالها على اصلاحاته وعلى القضايا المالية المختلفة، وكانت توزع على جميع موظفي الحكومة [1].

وفي عهد الخديوي اسماعيل شهدت مصر انتشاراً واسعاً للصحافة، فظهرت الصحف العلمية والادبية والسياسية، واوعز الخديوي الى الشاعر الاديب عبد الله افندي ابو السعود (الذي كان يعمل قاضياً بمحكمة الاستئناف) بأصدار صحيفة (وادي النيل) عام 1866م، ولما توقفت هذه الصحيفة عن الصدور، انشأ محمد بك اسي نجل عبد الله ابو السعود بدلاً عنها صحيفة (روضة الاخبار) ثم غير اسمها الى (النيل) عام 1878م، ثم صدرت مجلة (نزهة الافكار) الاسبوعية التي انشأها في سنة 1869م ابراهيم بك المويلحي ومحمد بك عثمان جلال، وفي سنة 1870م صدرت مجلة (روضة المدارس) التي انشأها وزير المعارف (علي باشا مبارك) وكانت مجلة حكومية تتولى وزارة المعارف اصدارها والانفاق عليها [2].

كما شهد عهد الخديوي اسماعيل ظهور صحف عديدة شارك في معظمها صحفيون من اهل الشام وقد شجع الخديوي هؤلاء على الاقامة في مصر والاسهام في نهضتها، وانصرف هؤلاء الى العمل الصحفي فأسسوا عدداً من الصحف مثل صحيفة (الاهرام) التي قام بتأسيسها سليم وبشارة تقلا عام 1876[3]، كما اصدر يعقوب بن

---

(1) Stanford Shaw and Ezel Kural Shaw, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, Vol. 11, (London, 1977), P. 35 ;

للمزيد من المعلومات عن صحيفة (الوقائع المصرية)، ينظر: ابراهيم عبده، تاريخ الوقائع المصرية 1828-1942، المطبعة الاميرية ببولاق، (القاهرة، 1942).

(2) للمزيد من المعلومات، ينظر: محمد عبد الله عنان، "الصحافة في عصر اسماعيل"، مجلة الكاتب المصري، ((القاهرة))، ع18، مج5، اذار 1947، ص ص258-265.

(3) كانت الاهرام تصدر اسبوعياً في الاسكندرية، ثم اصبحت يومية منذ 3 كانون الثاني 1881م، وانتقلت ادارتها الى القاهرة في 1 تشرين الثاني 1899م. مجلة الهلال، "الصحافة العربية في مصر"،

صنوع صحيفة (ابو نظارة زرقاء) في 21 اب سنة 1877م، واستطاعت هذه الصحيفة من خلال مقالاتها ومحاوراتها الشعبية الساخرة ان تلعب دوراً مهماً في الحياة السياسية [1]، وانشأ اديب اسحق صحيفة (مصر) في نيسان 1877م، ثم شارك سليم نقاش في اصدار صحيفة (التجارة) منتصف عام 1878م بالاسكندرية. واصدر بعدها سليم نقاش صحيفة (المحروسة) في 5 كانون الثاني 1880م، ثم اصدر صحيفة (العصر الجديد) في العام نفسه [2].

ويمكن القول، ان الصحف بدأت في اواخر عهد الخديوي اسماعيل تستنشق قدراً من الحرية في الكتابة وابداء الرأي باستثناء ما يمس الخديوي او سلطته، فكان الكتاب الوطنيون يرون ان اقلامهم مقيدة بهيبة ذلك الرجل [3].

ونتيجة لازدياد التدخل الاجنبي في مصر سرى تيار جديد في البلاد يدعو الى ممارسة قدر من الحرية الشخصية، واقامة حكم دستوري والخروج من اسر الحكم المطلق الذي فرض على الاهالي فترة طويلة. وقد عكست الصحافة تلك الامال والامنيات، وشاركت في قيادة البلاد وتحديد اتجاهاتها الوطنية، واصبحت الصحف حلقة اتصال بين اماني الشعب واهداف الزعماء الوطنيين، وهكذا بدأت السلطة الحاكمة تشعر بأنها تفقد بعضاً من نفوذها ولم تعد السلطة محصورة بأيدي الخديوي [4].

((مصر))، ج3، س8، تشرين الاول 1899م، ص74 ؛ للمزيد من المعلومات، ينظر: ابراهيم عبده، جريدة الاهرام تاريخ مصر في خمس وسبعين سنة، دار المعارف، (مصر، 1951).

(1) ابراهيم عبده، الصحفي الثائر، مؤسسة روز اليوسف، (القاهرة، 1955)، ص65.

(4) Vatikiotis, Op. Cit, P.P. 180-184.

(3) مجلة الهلال، "حرية الصحافة بمصر" ((مصر))، ج1، س16، تشرين الاول 1907، ص ص32-33.

(4) خليل صابات واخرون، حرية الصحافة في مصر 1798-1924، مكتبة الوعي العربي، (القاهرة، 1973)، ص ص66-67.

دخلت الصحافة المصرية طوراً جديداً في عهد الخديوي توفيق، وذلك للاحداث المتلاحقة التي تمثلت بالثورة العرابية والاحتلال البريطاني، ففي بداية الامر احاطت الصحف الخديوي برعاية لم يظهر مثلها سابقا، ولكن امورمصر لم يقدر لها ان تسير وفق رغبات الخديوي والصحافة نظراً لرغبة السلطان عبد الحميد الثاني بأستعادة سيطرته على مصر، ورغبة فرنسا وبريطانيا بتخويل الخديوي حق التصرف في المسائل المالية، وفي الامكان عزو هذه التطورات الى ضعف شخصية الخديوي توفيق واستسلامه للضغط الاجنبي لذلك عمل على اسكات الصحافة التي اثار جمال الدين الافغاني المشاعر الوطنية فيها [1]، فهذه صحيفة (مصر) تنشر مقالاً للافغاني غاية في الحماسة والثورة ضد النظام بقولها:

" مقصدي ان أثير بقية الحمية الشرقية وأهيج فضالة الدم العربي وارفع الغشاوة عن اعين الساذجين واوحيّ الغيرة في قلوب العارفين.. ليعلم قومي ان لهم حقاً مسلوباً فيلتمسوه ومالاً منهوباً فيطلبوه "[2].

امر الخديوي توفيق بتعطيل صحيفة (مرآة الشرق) التي انشأها سليم عنحوري في 24 شباط 1879م، لكونها لم تنشر خبر نفي الافغاني من مصر، وانذر صحيفة (التجارة)، ثم انذرت الحكومة صحيفة (مصر) التي كانت تمثل ا حد عناصر المعارضة، ثم صدر امر تعطيلها نهائياً اواخر عام 1879م لنشرها مقالات مثيرة للخواطر والافكار [3]، كما عطلت الحكومة صحيفة (التجارة) فيما بعد بسبب حملتها على الاجانب والحكومة، ثم استخدمت الحكومة صحيفة (الوقائع المصرية) كصحيفة معبرة عن رأي الحكومة، وسرعان ما تطورت الاحداث في مصر وخاصة بعد تذمر الضباط المصريين جراء الاجراءات التي اتخذها عثمان رفقي الجركسي بحقهم فضلا عن تفاقم التدخل الاجنبي في

---

(1) جدعان علي صالح سرحان الجبوري، مجلة الهلال المصرية 1892-1992- دراسة تاريخية، اطروحة دكتوراه غير منشورة قدمت الى كلية التربية – جامعة الموصل، 2002، ص24.

(2) انور الجندي، تطور الصحافة العربية في مصر، مطبعة الرسالة، (القاهرة، 1967)، ص33.

(3) الجبوري، مجلة الهلال المصرية، ص26.

شؤون مصر بعد الاطاحة بحكم الخديوي اسماعيل اواسط عام 1879م [1]، وهنا عمل الخديوي على اصدار قانون لتأمين سيطرة الحكومة على الصحافة ويعيد لها نفوذها على الصحافة، لكل ذلك صدر اول قانون للمطبوعات [*] في مصر بتاريخ 26 تشرين الاول 1881م، لايقاف الصحف الوطنية وللحد من اندفاعها الثوري وللقضاء على حرية الصحافة [2].

عمل الخديوي توفيق على اصدار صحيفة تتولى الدعاية له والتصدي للحركة الوطنية، فأصدر معوض محمد فريد صحيفة (البرهان) بتاريخ 5 ايار 1881م، وكان يحررها الشيخ حمزة فتح الله واعلنت انها صحيفة السراي، وكانت مقالات الشيخ حمزة فتح الله تتسم بطابع الحماس المفعم بالعواطف لمقاومة الاطماع الاوربية. وكانت الوطنية حسب نظره حصيلة امتزاج عاطفتين: عاطفة الولاء للوطن العربي الكبير، وعاطفة الولاء للدين الاسلامي، اي ان الانتماء للوطن العربي وللدولة العثمانية التي كانت قد تبنت سياسة الجامعة الاسلامية، كلها عوامل يجمعها شعور واحد هو الوطنية [3].

عمل الشيخ حمزة فتح الله على اصدار صحيفة اخرى هي (الاعتدال) عام 1882م، التي اقتبست اسمها من سياستها التي اعلنت عنها، والتي حثت فيها انصار الثورة العرابية على الالتزام بقدر من الاعتدال. ازداد نشاط الكثير من الصحف ابان احداث الثورة العرابية، واطلق احمد عرابي على الصحافة (لسان الامة)، وكانت الصحف قد اتخذت لنفسها مساراً وطنياً، وقد استطاعت صحيفة (الطائف) التي انشأها عبد الله النديم [**] عام

---

(1) ينظر: التمهيد، ص ص 15-20.

(*) للمزيد من المعلومات عن قانون المطبوعات، ينظر: الملحق رقم (1).

(2) صابات واخرون، المصدر السابق، ص67.

(3) عزيز، المصدر السابق، ص47.

(**) عبد الله النديم: ولد عبد الله بن مصباح في الاسكندرية عام 1840م، عمل في مكتب تلغراف القصر العالي بالقاهرة، حيث اتيحت له فرصة مخالطة مجالس الادباء، وخاصة مجالس محمود سامي البارودي التي كانت تضم صفوة ادباء ومفكري وساسة مصر في تلك الفترة، كما اخذ يكتب المقالات في صحيفة (مصر) لاديب اسحق، وصحيفة (التجارة) لسليم نقاش واديب

1881م ان تصبح صحيفة الثورة الاولى حتى موقعة التل الكبير، ونالت من الرواج ما لم تنله صحيفة من قبلها لما تركته من اثار على الافكار، حيث كان عبد الله النديم يكتب فيها بلغة ساخرة لا يخشى فيها سلطاناً ولا يأبه بامير [1]، كذلك صدرت صحيفة (المؤيد) والتي تعد من صحف الثورة ايضاً في تشرين الاول 1881م، وكان رئيس تحريرها حسن الشمسي وكانت تشن هجمات على سلطة الخديوي مما تسبب في غلقها في تشرين الثاني من العام نفسه، فاصدر صحيفة اخرى سماها (النجاح) الا انها عطلت ايضاً في ايار 1882م، واصدر ايضاً صحيفة (السفير) في 16 اب 1882م، التي كانت تروج شعار (مصر للمصريين) بلهجة عنيفة وباسلوب لا يراعي موقف الحكومة. كما صدرت صحيفة (الفسطاط) للسيد عبد الغني المدني في 20 نيسان 1882م، وهي من جملة الصحف التي استخدمها الثوار لبلوغ مأربهم ضد السلطة الحاكمة، وكانت كتاباتها حماسية تثير المشاعر ضد سلطة الخديوي، بل تحرض الاهالي على الانتصار لزعيم الثورة العرابية [2].

اسحق. كما اصدر النديم صحيفة (التنكيت والتبكيت) في حزيران 1881م، التي اهتمت بالنقد السياسي والاجتماعي. للمزيد من المعلومات، ينظر: الموسوعة الصحفية العربية، المصدر السابق، ج6، مج1، ص303.

(1) عزيز، المصدر السابق، ص ص47-75.

(2) للمزيد من المعلومات حول الصحافة المصرية خلال الثورة العرابية، ينظر: ابراهيم عبده، تطور الصحافة المصرية 1798-1951، ط3، مكتبة الاداب، (مصر، 1951)، ص ص102-127 ؛
Vatikiotis, Op. Cit, P. 184.

ثانياً: الاحتلال وتصفية الصحافة الوطنية العرابية

ادرك البريطانيون اهمية الدور الذي تقوم به الصحف خلال احداث الثورة العرابية وشدة تأثيرها على الرأي العام، وكانت الصحف بدورها تدرك اهميتها باعتبارها اقوى الوسائل تأثيراً وفائدة في تلك الفترة، وانها تستطيع القيام بدور مهم في اطلاع الشعب على سير الاحداث وعلى ما تقوم به الحكومة من اعمال، لذا كان من الطبيعي ان توجه سلطات الاحتلال جزءاً من اهتمامها بالصحافة والصحفيين، وبخاصة من قام منهم بدور بارز في احداث الثورة. فصدر الحكم باعدام عبد الله النديم خطيب الثورة العرابية فأضطر الى الاختفاء في بداية الاحتلال، وكذلك أصدر الحكم بالسجن ثلاث سنوات على حسن الشمسي صاحب صحيفة (السفير)، كما صدر حكم بالنفي لمدة ثلاث سنوات على الشيخ محمد عبده، وصدر امر باغلاق صحيفة (الزمان) التي كان قد اصدرها علكسان صرافيان في عام 1882 وغلق مطبعتها. وهكذا اختفت من الميدان الصحفي عدة صحف كان من بينها: الطائف والمفيد والنجاح والاعتدال، واضافت السلطات عقبة اخرى في وجه الصحافة باصدارها قراراً منعت بموجبه موظفي الحكومة من مكاتبة الصحف العربية والاجنبية او اطلاعها على ما يجري من احداث، والا يبعثوا أليها بملاحظات او افكار [1].

ولم تكتف سلطات الاحتلال بما اصدرته من قوانين للمطبوعات بل اصدرت قانون العقوبات الاهلي في 13 تشرين الثاني 1883م والذي افرد باباً خاصاً للانتهاكات التي تقوم بها الصحف، وحدد فيه العقوبات التي فرضت على الصحفيين [2]، وكان ذلك القانون من اشد القوانين الجنائية واكثرها تهديداً لحرية النشر، كما قامت سلطات الاحتلال بمنع الصحف التي تصدر خارج مصر من الدخول اليها، مثل: صحيفة (العروة الوثقى) التي صدرت في باريس بتاريخ 13 اذار 1884م للسيد جمال الدين الافغاني

(1) الجبوري، مجلة الهلال المصرية، ص ص27-28.

(2) للمزيد من المعلومات عن قانون العقوبات الاهلي لعام 1883م، ينظر: الملحق رقم (2).

والشيخ محمد عبده، والتي انصبت مقالاتها في الدفاع عن مصر واثارة الرأي العام الاسلامي ضد بريطانيا [1]، وضرورة مقاومة الاستعمار الاوربي والجهاد في سبيل الحرية والاستقلال، وعمدت الحكومة الى فرض غرامة مالية ومعاقبة كل من تضبط بحوزته هذه الصحيفة [2].

دأبت بريطانيا منذ احتلالها لمصر على تذليل كل الصعاب التي تعترض تحقيق هدفها الرئيسي المتمثل في تكريس احتلالها للبلاد وجعله امراً واقعاً، فعمدت من ضمن اساليب اخرى الى محاولة التأثير في الرأي العام المصري وخاصة في اوساط المتعلمين والمثقفين، وذلك عن طريق الدعاية لنفسها ولنظامها واظهار صورة بريطانيا كدولة متحضرة اتت الى مصر ليس بهدف الغزو والاحتلال وانما بهدف الاصلاح، وكان من ابرز الوسائل التي استخدمتها بريطانيا ورجال مخابراتها من اجل توضيح صورتها امام رجل الشارع المصري هي الصحافة، سواء الصحافة المحلية او تلك الصحافة الوافدة على مصر من استانبول وشمال افريقية. وقد حاول المسؤولون البريطانيون شراء ولاء بعض الصحف الصادرة في مصر، ودعمها مادياً ومعنوياً ترويجاً لوجهة النظر البريطانية، وتظهر المحتلين وكأنهم مصلحون وليسوا غزاة مستعمرين [3].

---

(1) صابات واخرون، المصدر السابق، ص ص101-102.

(2) الافغاني وعبده، المصدر السابق، ص321 ؛ عبد العزيز محمد الشناوي، "حادثة جريدة البوسفور اجيبسيان – ازمة سياسية بين مصر وفرنسا في اوائل عهد الاحتلال البريطاني"، المجلة التاريخية المصرية، ((القاهرة))، مج9-10، عام 60-1962، ص124.

(3) كانت من ابرز الصحف الموالية للاحتلال، هي: صحيفة (الاتحاد المصري) التي كان قد اصدرها روفائيل مشاقة (اللبناني) عام 1882م، وصحيفة (الاعلام) التي اصدرها محمد بيرم التونسي في القاهرة 1884م، بالاضافة الى قيام سلطات الاحتلال باصدار صحيفة (المقطم) التي صدرت في 14 شباط 1889م لاصحابها فراس نمر ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس. للمزيد من المعلومات عن الصحف الموالية للاحتلال البريطاني، ينظر: عزيز، المصدر السابق، ص ص96-122 ؛ عبده، تطور الصحافة المصرية، ص ص48-150 ؛ ضاوي بن هندي السلمي، "نشاط الاستخبارات البريطانية في مصر في عهد اللورد كورمر 1883-1896م"، مجلة دراسات تاريخية، ((جامعة

وفي التقرير الذي اعده اللورد كرومر عن سنة 1903م تحدث فيه طويلا عن الصحافة المصرية، استهل حديثه عنها بانه قد اغفلها في العشرين سنة الماضية لانه لم تكن هنالك حادثة ذات اهمية تتصل بشؤونها، وزعم انه حرص على حريتها في تلك الفترة[1]، مع ان المواقف العامة لسلطات الاحتلال ازاء الصحافة منذ بدء الاحتلال كانت توحي بالتضييق عليها والوقوف دون حريتها المطلقة.

على العموم يمكن القول، ان الصحافة المصرية في عهد الاحتلال مرت بدورين هامين:

الاول: عهد اللورد كرومر (1883-1907م) الذي سمح في اواخره بقدر من حرية الصحافة.

الثاني: عهد السر الدون جورست منذ عام 1907م حتى اعلان الحماية البريطانية على مصر في 19 تشرين الثاني 1914م، الذي احيا فيه قانون المطبوعات[*] في 25 اذار 1909م الذي فرض قيوداً مشددة على الصحافة، حيث ان الحكومة تخلت منذ سنة 1894م عن تطبيق قانون المطبوعات لعام 1881م[2].

ارتأى اللورد كرومر ان يعيد للصحافة بعض الحرية التي كانت تتمتع بها قبل قيام الثورة العرابية، ولم يقدم على ذلك بدافع من الفكر التحرري خصوصاً وانه معروف بعدائه الشديد للمطالب الوطنية، ولكن لاعتقاده الراسخ بعدم قدرة الصحافة على تأليب

دمشق))، ع77-78، س22، كانون الثاني – جزيران 2002، ص ص194-222 ؛ الجنابي، المصدر السابق، ص ص91-94.

(1) F.O. 633/7. The Earl of Cromer to the Marquess of Lansdowne. Cairo, February 26, 1903. R.M.A.C.G.F.A.C.E.S.;

مجلة الهلال، "الصحافة المصرية في نظر اللورد كرومر"، ((مصر))، ج1، س13، تشرين الاول 1904، ص ص59-61.

(*) للمزيد من المعلومات عن احياء قانون المطبوعات الصادر في 25 اذار 1909م، ينظر: الملحق رقم (3).

(2) جريدة مصر، ((مصر))، ع15109، س56، 9 اب 1951م ؛ انور الجندي، الصحافة السياسية في مصر منذ نشأتها الى الحرب العالمية الثانية، مطبعة الرسالة، (مصر، 1962)، ص50.

وتهييج الرأي العام ضده. ولكن رد فعل الاحداث، وبالاخص حادثة دنشواي (**) عام 1906م، زعزع فكرته هذه ولكنه لم يجرأ على اتخاذ اجراءات ضد الصحافة لان الفرصة لم تكن مؤاتية ترك هذه المهمة لخليفته جورست، حيث اعتقد الاخير انه يستطيع ان يطبق سياسة التهدئة والمصالحة مع الصحافة لاعتقاده ان الخديوي الشاب عباس الثاني كان وراء اشتداد ساعد الحركة الوطنية. ولكن دأب صحيفة (اللواء)(***) على كشف دوافع السياسة الجديدة التي ينتهجها الاحتلال، دفعت جورست الى اعلان الحرب على الصحافة الوطنية فاعاد من جديد عام 1909م العمل بقانون المطبوعات الصادر عام 1881م [1]. ففي وصف الدون جورست لهذه الصحف كتب قائلا "**ليس هناك اسوأ من الجريدة سوى اللواء وليس هناك اسوأ من اللواء سوى الجريدة والمؤيد**"[2].

ثالثاً: الصحافة الوطنية وموقفها من سياسة الاحتلال البريطاني

1- ابرز الصحف الوطنية

شهد العقدان الممتدان بين عامي 1894-1914م تحولات عديدة في تاريخ الحياة الصحفية في مصر تركت اوضح البصمات على مستقبل الصحافة المصرية بل وعلى مسيرة التاريخ المصري خلال تلك السنوات الغنية بالاحداث، بحيث يمكن القول بان هذه الفترة شهدت صدور اهم الصحف الوطنية شأناً واكثرها جرأة واقربها الى الرأي العام في مصر، وكان من ابرز هذه الصحف:

(**) ينظر عن حادثة دنشواي لاحقاً.

(***) ينظر عن صحيفة (اللواء) لاحقاً.

(1) وثائق اعمال مؤتمر الحزب الوطني المنعقد في بروكسل عام 1910، المصدر السابق، ع5، ص157.

(2) محمد عودة، كرومر في مصر، تقديم محمد حسنين هيكل، دار الهلال، (مصر، 2003)، ص62.

اولاً: المؤيد

اصدر الشيخ علي يوسف [*] صحيفة (المؤيد) في 1 كانون الاول 1889م، التي كان من اهم اهدافها: "**بث الافكار المفيدة والاخبار الصادقة والمبادرة الى نشر الحوادث الداخلة من باب الاعتبار والتحذير او الترويج... غير تاركة شأن التجارة الداخلية والخارجية**" [1]، واقبل كبار العلماء والكتاب السياسيين والادباء المصريين على دعم هذه الصحيفة من خلال نشر مقالاتهم الوطنية فيها [2].

اعلن الشيخ علي يوسف في العدد الاول من صحيفة (المؤيد) ان الغرض من اصدار الصحيفة هو: "**خدمة الاوطان لصلاح شأن بني الوطن**"، وهو يؤكد على ان: "**المؤيد جريدة وطنية**" [3]، وكان من اهداف صحيفة (المؤيد) ما يلي:

اولاً: الدفاع عن الخديوي عباس الثاني لانه كان هدفاً للاحتلال البريطاني الذي اراد النيل منه ومن الحركة الوطنية، التي كانت قد ارتبطت به اول الامر.

ثانياً: شن حملة ضد الاحتلال البريطاني في شيء من الهدوء حتى لا تمنحه فرصة تعطيل (المؤيد)، وحتى تؤثر الحملة الصحفية في خطة الاحتلال نفسه.

(*) ولد الشيخ علي يوسف عام 1863م ببلدة بلصفورة التابعة لمركز سوهاج بمديرية (محافظة) جرجا بصعيد مصر، درس في الجامع الازهر، عمل بالصحافة فكتب بصحيفة (القاهرة الحرة) التي كان يصدرها احمد فارس الشدياق، واصدر مع صديقه احمد ماضي صحيفة (الاداب)، كما اصدر ديواناً مطبوعاً من نثره وشعره سماه (نسمة البحر) في عام 1885م، تقلد زعامة (حزب الاصلاح على المبادئ الدستورية) في تشرين الثاني 1907م، توفي بتاريخ 25 تشرين الاول 1913م. الموسوعة الصحفية العربية، المصدر السابق، ج6، مج1، ص308.

(1) عبده، تطور الصحافة المصرية، ص151.

(2) اديب مروة: الصحافة العربية نشأتها وتطورها، ط1، منشورات دار مكتبة الحياة،(بيروت، 1969)، ص196.

(3) فاروق ابو زيد، ازمة الفكر القومي في الصحافة المصرية، تقديم خليل صابات ومختار التهامي، دار الفكر والفنون والنشر، (د.م، د.ت)، ص54.

ثالثاً: الدفاع عن الدين الاسلامي الذي الصقت به بريطانيا كل التهم الباطلة وتمادت في التشنيع به، وزعمت انه السبب في تأخر المسلمين عن ركب الحضارة الحديثة.

رابعاً: توجيه انتقادات شديدة للاجانب الذي يعملون في شتى الوزارات الحكومية ووصفهم بالجهل المطبق بعادات البلاد وتقاليدها وبسبب جهلهم لا يصلحون للاشتراك في حكمها بصورة من الصور.

خامساً: الدفاع عن الكفاءة المصرية وبيان قدرتها التامة على تولي زمام الحكم والسيطرة على جميع مرافق البلاد بجدارة تامة.

سادساً: الدعوة الى الشورى وتأليف مجالس نيابية شبيهة بالمجالس الاوربية يكون لها حق مناقشة الميزانية ومحاسبة الوزراء، وقد استند الشيخ في ذلك بحقيقة ان الاسلام عرف الشورى منذ اكثر من الف سنة [1].

وبعد فترة قليلة من صدورها تحولت صحيفة (المؤيد) الى اهم صحيفة وطنية في مصر[2]، واصبحت الوحيدة التي تعبر عن اماني الوطنيين والناطقة بلسان مصر [3]، فكانت مجالاً للاقلام الوطنية الناشئة في مصر. فعلى سبيل المثال كان مصطفى كامل احد كتابها المعروفين وان لم يكن من اعضاء تحريرها، وقد ذاعت شهرة الصحيفة واشتد ساعدها وعالجت الموضوعات المصرية والاسلامية في مقالات طويلة قد تملأ صفحتها الاولى جميعها، ووجدت الادارة البريطانية ان ساعد هذه الصحيفة الوطنية الجديدة قد اشتد فحاربتها بشتى الاساليب فكانت تصادر اعدادها هنا وهناك حتى لا تصل الى مشتركيها[4].

---

(1) عبد اللطيف حمزة، قصة الصحافة العربية في مصر (منذ نشأتها الى منتصف القرن العشرين)، مطبعة المعارف، (بغداد، 1967)، ص ص101-102.

(2) الموسوعة الصحفية العربية، المصدر السابق، ج6، مج1، ص308.

(3) مروة، المصدر السابق، ص196.

(4) عبده، تطور الصحافة المصرية، ص ص151-152.

ولعل افضل ثناء حظيت بـه صـحيفة (المؤيـد) هـو مـا ورد في مـذكرات الخـديوي عباس الثاني، حين قال: "**كان المؤيد في الواقع يحفل بالمقالات العظيمة باسـلوبها البـارع وافكارها العميقة وكان الشيخ باسلوبه اللاذع وبلاغته الـتي لا تفـيض وعاطفتـه الـتي يطامن من غلوائها – لحسن الحظ – فلسفة انسانية فائقة قد غدا استاذا بفـضل اتـصاله اليومي بالشخصيات البازرة في كل علم وفن، وكان يتحدث الى القراء في مسائل تستثير خيلاتهم لانها تمس مستقبل البلاد وتاريخها في الوقت نفسه**"[1].

بعد ان ترك الشيخ علي يوسف تحرير صـحيفة (المؤيـد) اسـندت رئاسـة تحريرهـا لـ (محمد ابو شادي) وتحـول (المؤيـد) منـذ عـام 1911م الى شـركة مـساهمة [2]، ومـضت (المؤيد) في عملـها بنجـاح تـام، وكـان لهـا مراسـلون في اكثـر الـبلاد الاسـلامية والـبلاد الاوربية، وصدر لـه ملحقـان احـدهما باللغـة الفرنـسية والاخـر باللغـة الانكليزيـة كانـا يشتملان على ترجمة لاحسن المقالات التي تنـشرها (المؤيـد) بالطبعـة العربيـة، ومـن ابـرز العوامل التي ساعدت على نجاح هذه الـصحيفة انهـا ظهـرت في وقـت كـان فيـه الميـدان الصحفي يوشك ان يخلو من الصحف الوطنية، ولذلك نظـر الـشعب الى هـذه الـصحيفة على انها ملأت الفراغ الموجود في هذا المجال [3].

كانت صحيفة (المؤيد) توزع ما يقارب اربعين الف نسخة [*] من كـل عـدد، وكـان نصف تلك الاعداد تقريباً يـوزع في بلـدان المـشرق العربـي، وكانـت خطـة الـشيخ علـي يوسف تقوم في اول الامر على الدفاع عن المشرق العربي والاسلام ومعاداة البريطـانيين، اما عن الدفاع عن المشرق العربي والاسلام فقد ايد عملـه فيهـا صـدق عاطفتـه لـشرقيته وحرارة ايمانه بالاسلام، وامـا بخـصوص معـاداة البريطـانيين فقـد تخلـى عنهـا وتحـول الى

---

(1) الموسوعة الصحفية العربية، المصدر السابق، ج6، مج1، ص309.

(2) الجندي، الصحافة السياسية في مصر، ص163.

(3) حمزة، المصدر السابق، ص102.

(*) ويشير انور الجندي الى ان صحيفة (المؤيد) وزعت في ذروة نجاحها (49.000) نسخة. الصحافة السياسية في مصر، ص163.

مسايرة البريطانيين ومن ثم صداقتهم، مما عرضه الى خصومة مصطفى كامل وبعض الوطنيين الذي عملوا على تأسيس صحيفة جديدة ذات خط معادي للاحتلال، ومما شجعهم على ذلك ايضاً امتناع صحيفة (المؤيد) عن نشر المقالات لبعض الزعامات الوطنية [1].

يلاحظ من تاريخ صحيفة (المؤيد) انها كانت تعبر عن امال الشعب واستقلال مصر والدعوة الى جلاء القوات المحتلة عن البلاد لاسيما في سني حكم الخديوي عباس الثاني الاولى، لكنها عدلت عن هذه السياسة وعملت على مسايرة المحتل باعتباره سلطة واقعة لامحالة وخاصة بعد ان اصبحت الصحيفة لسان حال حزب الاصلاح على المبادئ الدستورية في عام 1907م، وهو الحزب المؤيد لسلطة الخديوي.

ثانيا : الاستاذ

توارى عبد الله النديم خطيب الثورة العرابية عن الانظار مدة تقترب من عشر سنوات بعد الاحتلال، ثم ظهر في منتصف عام 1892م على اثر العفو الذي اصدره عنه الخديوي عباس الثاني [2]، وعاد الى الصحافة لاستئناف عمله فيها لكنه واجه مشكلة الحصول على ترخيص من وزارة الداخلية سيما وان موقفه العدائي المعروف من البريطانيين آبان الثورة العرابية قد وقف حجر عثرة في سبيل الحصول على الترخيص، واستطاع عبد الله النديم ان يتخطى هذه العقبة بحيلة من حيله، وان يصل الى مبتغاه من خلالها، فاستصدر اخوه عبد الفتاح النديم ترخيصاً باصدار مجلة (الاستاذ) الاسبوعية، بوصفها مجلة: " **علمية تهذيبية فكاهية لا تتعرض للامور السياسية الحاضرة الداخلية**

(1) ابراهيم عبده، اعلام الصحافة العربية، ط2، مكتبة الاداب بالجماميز، (د.م، 1948)، ص ص131-132.

(2) حمزة، المصدر السابق، ص103.

والخارجية[1]، فصدر العدد الاول منها في 23 اب 1892م وكانت تصدر يوم الثلاثاء من كل اسبوع، فاصبحت نصيرة للوطنيين ضد سلطات الاحتلال[2].

وما ان حصل عبد الله النديم على ترخيص بالمجلة حتى اعلن في اول عدد منها انه جعلها: "**خزانة لشوارد العلوم وفوائد الرسوم لا تتقيد بفن ولا تقتصر على موضوع**"[3]. وفي رأينا ان عبد الله النديم اتخذ من هذا المضمون ستاراً لكي يبعد عيون سلطات الاحتلال عن نشاط المجلة، ومن ثم معاودة نشاطها الوطني رويداً رويداً.

كان لمجلة (الاستاذ) ثلاثة اهداف هي:

اولاً: الاصلاح السياسي المتمثل في اقامة نظام ديمقراطي يقوم على الشورى والانتخابات الحرة التي تفرزها الارادة الحرة للمواطنين.

ثانياً: العدل الاجتماعي وتكافؤ الفرص بين المواطنين وتوفير الحياة الكريمة وبخاصة للفقراء والفلاحين.

ثالثاً: مقاومة النفود الاجنبي وتوحيد العالم الاسلامي، وان وحدة العالم الاسلامي تدعم هذه المقاومة وانه لاسبيل امام المسلمين للوقوف امام الاستعمار الا بالوحدة والتضامن[4].

كما دعا عبد الله النديم الى تعاون المسلمين والاقباط خدمة للوطن قائلاً: "**ان اعز مكان بالنسبة الينا هو مصر. وهو بلد مسلم، يحيا فيه عدد غير قليل من الاقباط، تربطهم الاواصر القومية بكثير ممن ولدوا لاناس اعتنقوا الاسلام في غابر الزمان، والوطنية تحملهم بدافع حب الوطن والانتماء الى مصر والحياة المشتركة فيها**"[5].

---

(1) الحديدي، المصدر السابق، ص329.

(2) عبده، تطور الصحافة المصرية، ص153.

(3) عبده، اعلام الصحافة العربية، ص128.

(4) الموسوعة الصحفية العربية، المصدر السابق، ج6، مج1، ص304.

(5) الجبوري، الفكر السياسي في مصر، ص85.

اتسم الهجوم على الاحتلال في مجلة (الاستاذ) بطابع الهدوء في بداية الامر، ثم اشتدت لهجته بعد ذلك شيئاً فشيئاً، وهنا وقف عبد الله النديم وجهاً لوجه ضد صحف الاحتلال، وهكذا استطاع عبد الله النديم عن طريق المجلة ان يوقد الجذوة الوطنية المصرية، وتأثر به الشباب المصري، الامر الذي حمل سلطات الاحتلال على تعطيل المجلة [1]، وصدر اخر عدد من (الاستاذ) تحت رقم (42) في 13 حزيران 1893م، وفيه ودع عبد الله النديم قرائه بمقال حمل عنوان ((تحية وسلام)) تحدث فيه عن المؤامرات التي حيكت ضده وضد الوطن ليظل مستعمراً [2].

تزعم عبد الله النديم في مقالاته في مجلة (الاستاذ) الدعوة الى الاصلاح الاجتماعي بجميع صوره، وانتقد الاوضاع السائدة في المجتمع، كما انتقد الانحطاط الخلقي الذي اصاب المجتمع جراء الاحتلال. وكان هذا الانتقاد احد الاغراض الاساسية من انشاء المجلة، فهي على تعدد اتجاهاتها يضمها هدف واحد هو تعزيز الشعور بالذات وحب الاستقلال ودفع المجتمع المصري الى طريق النهضة والتخلص من الفساد الداخلي والتسلط الاجنبي [3].

وبذلك يمكن القول ان مجلة الاستاذ تعتبر من المجلات الثقافية التي لعبت دوراً كبيراً في بعث واحياء الحركة الوطنية المصرية بعد الاحتلال البريطاني لمصر، والدعوة الى مواصلة المسيرة الصحفية الوطنية من اجل جلاء الاحتلال عن البلاد.

---

(1) حمزة، المصدر السابق، ص ص104-105.

(2) الحديدي، المصدر السابق، ص380.

(3) عزيز، المصدر السابق، ص322.

ثالثا: اللواء

يعتبر صدور صحيفة (اللواء) بمثابة مرحلة جديدة في تاريخ النضال الصحفي ضد الاحتلال البريطاني [1]، حيث كان لمقالاتها اثر كبير في احياء الشعور الوطني، وتنبيه المصريين الى حقوقهم بما كانت تنشره بين ان واخر من المقالات عن ابطال الوطنية وما حققوه لبلادهم من امجاد [2].

صدر العدد الاول منها يوم الثلاثاء 2 كانون الثاني 1900م [3]، وكانت تصدر يومياً وطوال الاسبوع، ومن ابرز الذين كتبوا في هذه الصحيفة: محمد فريد، واحمد شوقي (امير الشعراء)، واسماعيل باشا صبري، وخليل مطران، ومصطفى بك نجيب، بالاضافة الى العديد من الشخصيات المهمة في مصر في ذلك الحين [4].

وقد وضح مصطفى كامل في العدد الاول اهداف صحيفة اللواء وهي: "**خدمة الوطن والاسلام باشرف السبل وانفعها والسعي وراء الاتحاد والاتفاق بين المصريين وبعضهم من جهة، وبين كافة المسلمين من جهة اخرى، والعمل لتربية ابناء مصر احسن تربية وطنية وترقية التجارة والصناعة**" [5].

---

(1) سعد التائه، "الصحافة المصرية في نضالها ضد الارهاب وضد الامبريالية"، مجلة دراسات عربية، ((بيروت))، ع1، س17، تشرين الثاني 1980، ص4.

(2) شحاتة عيسى ابراهيم، عظماء الوطنية في مصر في العصر الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر، 1977)، ص193.

(3) الموسوعة الصحفية العربية، المصدر السابق، ج6، مج1، ص313، الفيكنت فيليب دي طرازي، تاريخ الصحافة العربية، المطبعة الاميركانية، (بيروت، 1933)، ص176.

(4) الرافعي، مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية، ص146.

(5) الجندي، الصحافة السياسية في مصر، ص171.

اما برنامج الصحيفة فقد كان يتضمن:

اولاً: الدفاع عن الدين الاسلامي ضد هجمات الاستعمار.

ثانياً: الدفاع عن فكرة الجامعة الاسلامية باعتبارها الطريق الامثل للتخلص من البريطانيين.

ثالثاً: تنشيط الحركة الوطنية بكل الوسائل الممكنة والدعوة لها داخل القطر وخارجه.

رابعاً: العناية التامة بالاصلاح الاجتماعي.

خامساً: تخليص المصريين من اليأس الذي ملأ نفوسهم بسبب ازدياد التدخل البريطاني في مصر [1].

يعتبر انشاء (اللواء) مفترقاً في تاريخ صحافة مصر الوطنية انذاك فقد حملت الجهاد لوحدها تقريباً، وهي الصحيفة الوطنية التي كان نظام العمل فيها مثلاً يحتذى من حيث الادارة والتحرير، وهي اول صحيفة بعد (المؤيد) تستخدم الاجهزة الكهربائية في طبعها، ومن اوائل الصحف التي عنيت بمادتها في صفحاتها الثمانية [2].

لعبت كتابات مصطفى كامل في (اللواء) دوراً كبيراً في بلورة فكرة الوطنية المصرية، وربطت بين الوطنية المصرية والجامعة الاسلامية مؤكدة انه لا يوجد تناقض بين الدعوتين [3]. وكانت (اللواء) تنشر لكثير من الادباء والشعراء الشبان قصائدهم الوطنية والاجتماعية والذين صاروا فيما بعد اهم رموز الادب والشعر في مصر وفي الوطن العربي، ومنهم: اسماعيل صبري، واحمد شوقي، وحافظ ابراهيم، وخليل مطران وغيرهم [4].

---

(1) حمزة، المصدر السابق، ص ص106-107.

(2) عبده، اعلام الصحافة العربية، ص140.

(3) ابو زيد، المصدر السابق، ص ص57-85.

(4) الموسوعة الصحفية العربية، ج6، مج1، ص314.

سارت صحيفة (اللواء) في اول الامر في اتجاهها الوطني معتمدةً على تأييد الخديوي عباس الثاني للحركة الوطنية، واتخذ من الرابطة العثمانية والاسلامية سنداً لمقاومة الاستعمار البريطاني، واستعانت بتأييد فرنسا لمقاومة بريطانيا؛ الا ان ضعف عزيمة الخديوي الوطنية بعد اعلان الاتفاق الودي عام 1904م [1]، والذي عد نقطة تحول عظيمة في صالح الاحتلال [2]، جعلت (اللواء) تستمر في مسيرتها الوطنية ضد سلطات الاحتلال، اذ من المعروف ان (اللواء) كانت في اول عهدها تميل الى فرنسا الى ان وقعت الاتفاق الودي مع بريطانيا، فتغير موقفها منها وتخلت عن صداقتها. وحينها دعت (اللواء) المصريين الى عدم الاعتماد على اية دولة اوربية، والى عدم الاعتماد حتى على الاسرة المالكة، بل يجب ان يعتمدوا على انفسهم فقط في تحقيق الاماني الوطنية [3].

وقد برز دور مصطفى كامل في الصحافة المصرية حين استقل بصحيفة (اللواء)، فقد كانت له فيها كتابات لم تكن معروفة ولا معهودة في صحافة ذلك العهد، فقد اثار مصطفى كامل اهتمام قراءه بامور التعليم ولاسيما التعليم الاهلي الذي ينبغي ان يقوم على اكتاف الشعب ليحس اثره الشعب نفسه فتحقق اغراضه في الحرية والاستقلال، وقد استطاع مصطفى كامل ان يجعل من هذا الموضوع مسألة يلتف حولها الوطنيون على اختلاف توجهاتهم [4].

كان مصطفى كامل اول صحفي مصري ادرك اهمية اصدار صحف مصرية بلغات اجنبية لمخاطبة الجاليات الاجنبية التي كانت تنتشر في مصر، ومن اجل اطلاع المجتمعات الاوربية على حقيقة القضية المصرية [5]، اصدر صحيفتين الاولى وهي صحيفة (L'Etendard Egyptien) لتندار اجبسيان باللغة الفرنسية في مساء 2 اذار 1907م،

(1) الجندي، الصحافة السياسية في مصر، ص172.

(6) Tignor, Op. Cit, P. 214.

(3) حمزة، المصدر السابق، ص107.

(4) عبده، اعلام الصحافة العربية، ص141.

(5) الموسوعة الصحفية العربية، ج6، مج1، ص314.

والاخرى صحيفة (The Egyptian Standard) ذي اجبشين استاندارد باللغة الانكليزية في صباح اليوم التالي، وكانت الصحيفتان يوميتان، الاولى مسائية والثانية صباحية [1].

تولى **عبد العزيز جاويش** [*] تحرير (اللواء) في 3 ايار 1908م بعد وفاة مصطفى كامل، فسار على نهج اللواء الوطني وواصل التنديد بسياسات سلطات الاحتلال لاسيما التعليمية منها مما حدا بالمعتمد البريطاني جورست الى تقديمه الى المحاكمة مرة بعد اخرى، الى ان اعاد العمل بقانون عام 1881م الذي مكن المعتمد البريطاني من اصدار قرار يقضي باغلاق صحيفة (اللواء) في 31 اب 1912 [2].

تصدت (اللواء) لمهاجمة قانون المطبوعات الجديد، وكتب عبد العزيز جاويش في 28 اذار 1909م، مقالاً بعنوان ((**تقييد الصحافة**))، جاء فيه: "**الى مثل ذلك الحظ الضعيف (قانون المطبوعات) تلجأ الحكومات الاستبدادية التي تكرهها شعوبها وتتخذ الحكومات الاستبدادية مثل تلك القوانين سلاحاً تقاتل به الباحثين المرشدين الامرين بالمعروف والناهين عن المنكر**" [3].

غدت (**اللواء**) صحيفة للحزب الوطني الذي أنشأه مصطفى كامل عام 1907 م [4]، وبعد وفاة مصطفى كامل ومواصلة الاحتلال سياسة القمع تجاه صحيفة الحزب، عمل رجالات الحزب الوطني على اصدار صحف جديدة كي تكون بديلة عن (**اللواء**) في

---

(1) عبده، اعلام الصحافة العربية، ص142 ؛ الموسوعة الصحفية العربية، ج6، مج1، ص314 ؛ Mohamed, Op. Cit, P. 280.

(*) عبد العزيز جاويش: ولد في الاسكندرية بتاريخ 31 تشرين الاول 1876م، درس علومه الاولية في الاسكندرية، ثم التحق بالازهر لاكمال دراسته في عام 1892م. التحق عام 1895م بمدرسة دار العلوم وتخرج منها عام 1897م. نشر عدة مقالات بصحيفة (المؤيد)، ثم تولى رئاسة صحيفة (اللواء) بعد مصطفى كامل، له عدة مؤلفات، ابرزها: (الاسلام دين الفطرة)، (ارشاد المعلمين)، توفي عام 1929م. انور الجندي، عبد العزيز جاويش من رواد التربية والصحافة والاجتماع، الدار القومية للطباعة والنشر، (مصر، 1965)، ص ص36-43.

(2) الجندي، الصحافة السياسية في مصر، ص175.

(3) التاثه، المصدر السابق، ص7.

(4) ينظر الفصل الرابع من الرسالة.

حالة تعرضها الى الاغلاق، فعملوا على تأسيس صحيفة (العلم) لتكون لسان حال الحزب ايضاً، وقد لاقت (العلم) منذ صدورها الامرين من عنف سلطات الاحتلال، فلم يكن قد مضى اسبوعان على ابتداء صدورها في 7 أذار 1910 [1]، حتى عطلت لمدة شهرين لأنها – بحسب مزاعم سلطات الاحتلال – خرجت في كتاباتها عن حد الاعتدال، واستعملت عبارات التشهير بالحكومة ومصالحها، كما أنها طعنت ببريطانيا ورجالها العاملين في مصر [2]، ثم صدر أمر بأغلاقها بصورة نهائية في 7 شباط 1912م بحجة استمرارها في مهاجمة الحكومة، إلا أنها بقيت تصدر وتنشر سراً، كذلك صدر أمر أخر يقضي باغلاق صحيفة (الشعب) بتاريخ 27 تشرين الثاني 1914م [3]، التي كانت تصدر منذ عام 1911م، كصحيفة مساندة للحزب الوطني وكان يشرف على تحريرها محمود ابو عثمان [4].

رابعاً: الجريدة

يمثل صدور صحيفة (الجريدة) عامل تطور جديد في الصحافة الوطنية في عهد الاحتلال، حيث برزت على المسرح قوة محلية جديدة هي قوة رجال الاقطاع وابناء البيوتات الكبرى، وقد كان من سياسة هذه الفئة مهادنة الدولة المحتلة، والخديوي الذي وصفوه بأنه صاحب السلطة الشرعية، بينما أطلقوا على المعتمد البريطاني لقب صاحب السلطة الفعلية [5].

---

(1) ذكر مصدر أخر أن صدورها كان في الاول من أذار 1910 م، واشرف على تحريرها اسماعيل حافظ. ينظر: طرازي، المصدر السابق، ج4، ص192.

(2) صابات واخرون، المصدر السابق، ص243.

(3) الجندي، الصحافة السياسية في مصر، ص175.

(4) طرازي، المصدر السابق، ج4، ص194.

(5) الجندي، الصحافة السياسية في مصر، ص189.

وقد قيل ان كرومر أوعز بانشاء تلك الصحيفة وأنه أوصى بالدعاية لها في الاقاليم بين المثقفين والاعيان، وهذه رواية يعوزها التأييد والبرهان [1]، فإذا كان بعض المثقفين من انصارها كـ (**محمود باشا سليمان**) و (**حسن باشا عبد الرزاق**) كانا على علاقات حسنة مع الاحتلال، فليس معنى هذا انهما يعدان بوقاً له، ومما يؤيد ذلك أن (**الجريدة**) خلت من الدعاية للاحتلال والمحتلين، وكان لها بعض المواقف التي تصب في الصحافة الوطنية من حيث التفكير الوطني المعتدل، ويجمل القول حول صحيفة (**الجريدة**) أنها صحيفة بعض الاعيان وبعض المفكرين أيضاً [2].

كما دافعت الصحيفة عن تهمة كونها صدرت بتوجيه من اللورد كرومر بقولها:

"بعض الكتاب رأى إلا أن ينتقص الجريدة قبل ظهورها فخلق لها نسباً لاتعرفه إذ يقول أنها انشئت بوحي من جناب اللورد كرومر أو انها متحيزة الى طرف دون آخر على انها من كل ذلك براء" [3].

كانت لصحيفة (**الجريدة**) شركة مساهمة من اعيان البلاد [4]، ضمت عدداً من الشخصيات البارزة في مصر وجميعهم من الاثرياء وذوي المراكز العليا، وعدد كبير منهم كانوا من اعضاء مجلس شورى القوانين [5]، وانتخب أحمد لطفي السيد رئيساً لتحريرها، فكان من رأي السيد وجماعته أن تنشأ صحيفة مصرية تنطق بلسان مصر وحدها دون ان تتأثر بالدولة العثمانية ولا بالسلطة الشرعية (**الخديوي**) ولا بالسلطة الفعلية (**الاحتلال**)[6].

---

(1) Richmond ,Op.Cit. P. 158.

(2) عبدة، تطور الصحافة المصرية، ص175.

(3) الجندي، الصحافة السياسية في مصر، ص190.

(4) حمزة، المصدر السابق، ص110.

(5) صابات واخرون، المصدر السابق، ص140.

(6) حمزة، المصدر السابق، ص110.

وقد وصف احمد لطفي السيد رئيس تحرير الصحيفة في عددها الاول الصادر في 9 أذار 1907 م الصحيفة بقوله: **"ما الجريدة إلا صحيفة مصرية شعارها الاعتدال الصريح ومراميها ارشاد الامة المصرية الى أسباب الرقي الصحيح"**[1]، فكانت منبراً للوطنيين ورجال الفكر والسياسة الذين كانوا يشنون من خلالها حرباً على الاستعمار البريطاني [2].

ضمت أسرة تحرير صحيفة (**الجريدة**) عدداً من الكتاب الذين لعبوا فيما بعد دوراً هاماً في الصحافة المصرية، كان من بينهم: الشيخ محمد رشيد رضا وعبد القادر حمزة واحمد زكي وعبد الرحمن شكري وطه حسين ومحمد حسين هيكل وعباس العقاد وعبد الحميد الزهراوي ونقولا حداد واخرون [3].

كانت صحيفة (**الجريدة**) يومية سياسية، اما برنامجها فقد تضمن ما يلي:-

أولاً: نشر عقيدة الاستقلال بين افراد الامة المصرية ودحض الفكرة القائلة بأن مصر يمكن أن تحصل على استقلالها بمساعدة فرنسا أو الدولة العثمانية، والتأكيد على انه لا سبيل الى حرية المصريين إلا بجهود المصريين انفسهم.

ثانياً: الدعوة لفكرة الجامعة الوطنية المصرية بدلاً من فكرة الجامعة الاسلامية، لأن الفكرة الاولى هي الموصلة للغرض، واما الثانية فلم تعد ذات فائدة لمصر.

ثالثاً: الدعوة لجعل المذهب الحر (**الليبرالي**) اساساً للحكومة والمجتمع. وبموجبه يصبح الاعتماد على الفرد لا على الحكومة بكل ما يتصل بالمجتمع من جميع مرافقه بحيث لا يعود للحكومة سلطان إلا على ثلاثة مرافق، وهي: القضاء والامن الداخلي والامن الخارجي.

رابعاً: أنماء الشخصية المصرية والنظر الى الامور السياسية من زاوية مصر وحدها بعيداً عن الدولة العثمانية.

---

(1) الجندي، الصحافة السياسية في مصر، ص190.

(2) مروة، المصدر السابق، ص200.

(3) الموسوعة الصحفية العربية، ج6، مج1، ص311.

خامساً: العمل على تقوية الوحدة الوطنية بمعنى توحيد عناصر الشعب حتى لا يجد المحتل ثغرة ينفذ منها الى تحطيم الحركة الوطنية.

سادساً: المطالبة بالدستور الذي يجعل الامة شريكة للحكومة في الاعمال العامة، ولابأس في نظر الصحيفة ان يكون الحصول على هذا الدستور بالتدريج وذلك عن طريق مجالس المديريات ومجلس شورى القوانين وتوسيع اختصاصاتها تمهيداً للحصول على حياة دستورية افضل.

سابعاً: الاخذ بأيدي الموظفين المصريين في الحكومة، والعمل على النهوض بهم من جميع النواحي لا سيما الادارية، حتى يصبحوا أهلاً لتولي المراكز العليا بدلاً من الاجانب.

ثامناً: الرد على تقارير اللورد كرومر واظهارها بمظهر الافتئات على حقوق المصريين والطعن في كفاءتهم بدون وجه حق.

تاسعاً: تشجيع الحركة العلمية والادبية وتشجيع الصناعة والتجارة والزراعة والنهوض بالمجتمع المصري من كل جوانبه [1].

استمر نشاط (**الجريدة**) نحو الامام، وعندما لاحت بوادر اعادة العمل بقانون المطبوعات، نشرت الصحيفة بتاريخ 31 أذار 1909 م مقالاً جاء فيه: "**يا عجباً كل العجب لمن يحيون قانون 1881. ولا يحيون دستور 1882.. أكل ما فيه غرم لنا محبوب لديهم وكل ما لنا غنم هم عنه يحيدون**"، وطالب لطفي السيد بألغاء قانون المطبوعات قائلاً:

"**ان قانون المطبوعات غير ضروري وكل قانون غير ضروري لا حق له من الوجود وأنه قانون غير مفيد وكل قانون غير مفيد ينقطع حقه في البقاء بانقطاع فائدته، وانه قانون ضار وكل ضار يجب أن يزال من غير قيد ولا شرط**" [2].

---

(1) حمزة، المصدر السابق، ص ص110 – 112.

(2) التائه، المصدر السابق، ص7.

وبذلك اسهمت صحيفة (الجريدة) مع سابقاتها من الصحف الوطنية في تكوين تيار سياسي معارض للاحتلال، وبذلك نستطيع أن نطلق على هذه المرحلة من تاريخ الحركة الوطنية بالمرحلة الصحفية.

2- موقف الصحافة الوطنية من سياسة الاحتلال

رسم الخديوي عباس الثاني صورة قاتمة لما آلت اليه احوال مصر من تدهور في عهد الاحتلال، واعرب عن استيائه من تولي زمام بلد محتل عسكرياً، بقوله: "**وما كنت لاتصور أن الجيش في ذلك الاحتلال لا يلعب غير دور ثانوي وأنه يستخدم ببساطة لتغطية مشروعات الموظفين الانجليز المكلفين بطبع البلاد بالطابع الانجليزي وإخضاعها لخطط حكومتهم**". وبالفعل كان هذا ديدن سياسة الاحتلال التي حاول كرومر جاهداً تنفيذها بكافة السبل، وقد أطلق عليها سياسة: "**الاصلاح الانجليزي لمصر**"، وكان الموظف البريطاني الذي يشارك في هذا المجال يعتبر مصلحاً في نظر الادارة البريطانية في مصر[1]، وادعت هذه الادارة ان لديها مهمة تجاه الحضارة والانسانية، وهي انقاذ مصر من الفوضى واعادة حياة الاطمئنان والاستقرار والعمل على ادخال المدنية والنظم الغربية [2]، واستمد كرومر سياسته من ايمانه القوي بالحضارة الاوربية، والتي هي، عند كرومر، اساس كل تقدم تحرزه البشرية في العالم بأسره [3].

لقد وجدت الادارة البريطانية في مصر ترحيباً من قبل بعض الصحف المؤيدة للاحتلال، فهذه صحيفة (البرهان) تقول: "**انجلترا أنفقت نقوداً عظيمة وأراقت دماء كثيرة من رجالها، وليس مقابل ذلك – كما يقول الجاهلون – هو توظيف رجالها في الادارات والمصالح حتى تكون البلاد كأنها بلادهم. كلاً، فإن توظيف رجالها كغيرهم من رجال بقية الدول ليس إلا لعدم كفاءة أبناء البلاد للقيام بكل الاعمال**"[4].

---

(1) عزيز، المصدر السابق، ص242.

(2) صفوت، المصدر السابق، ص215.

(1) Lioyd,Op.Cit.Vol ,I ,P.53.

(4) عزيز، المصدر السابق، ص ص246 – 247.

كانت صحيفة (الاهرام) في بداية الاحتلال البريطاني قد اتخذت موقفاً مؤيدا له، ثم تحولت عام 1884 م الى مقاومة الاحتلال حيث بدأت تسير في الطريق الوطني، فقد سئل بشارة تقلا في لندن أواخر عام 1884 م عن حال مصر، فأجاب: "**انها سيئة بفعال الانجليز**"، وكتبت الصحيفة عن مساوئ الادارة المالية البريطانية في مصر، وحملت لواء المعارضة ضد البريطانيين [1].

وقفت الصحافة المصرية ذات النزعة الوطنية موقفاً معادياً لسياسة الاحتلال تجاه التعليم، مطالبة بالارتقاء بالمستوى العلمي ودفعه الى الامام، فقد نشرت صحيفة (**القاهرة**)[*] في 3 أذار 1886 م مقالاً عن تدهور التعليم في مصر جاء فيه: "**خالية من المدارس والمكتبات حالة كونها دار العلوم الاسلامية. وقد رأينا عدة سرايات خالية او تسكنها ضباط الانجليز، فأولى والحالة هذه ان تجعل هذه السرايات العظيمة الخالية من السكنى مدارس**". وفي 1 أذار 1888 م طالبت صحيفة (**الاداب**) [**] بالاهتمام بأمر التعليم والمدارس بقولها:

"**إذ نحن أحوج الى اللب من القشور سيما وأنا في زمن توجهت فيه انظار من بيدهم زمام الامر الى ما فيه الصالح وبه ارتقاء الامة. فلا يليق الإغفاء عن الواجب ونحن في افتقار اليه**". كذلك تحدثت عن الهدف الوطني من تعميم التعليم حيث يحقق وحدة الشعور والتفكير فيتلاشى الانقسام الثقافي في الامة [2].

كما نشرت صحيفة (**المؤيد**) في 9 كانون الاول 1891 م مقالاً بخصوص نشر التعليم جاء فيه: "**إذ أن الحاجة ظاهرة الى تعميم التعليم، ومهما أجتهدت الحكومة في**

---

(1) الجندي، الصحافة السياسية في مصر، ص78.

(*) اصدرها سليم فارس في مصر عام 1885 م.

(**) أصدرها الشيخ علي يوسف عام 1887 م.

(2) عزيز، المصدر السابق، ص ص273 – 274.

انشاء المدارس وتوسيعها وتسهيل سبل الدخول فيها فلا تكون قد صنعت غير الواجب عليها"[1].

ليس من الغرابة في ان تعارض الصحف الوطنية سياسة الاحتلال ازاء شؤون الادارة والتعليم والصحافة وبصورة خاصة اهمالها بصورة متعمدة استخدام اللغة العربية في المدارس، وكمثال على ذلك ما اوردته صحيفة المؤيد في هذا الصدد بقولها: "**منذ أن أنشأت هذه المدارس واللغة العربية لا حظ فيها وليس ذلك من العبث... ولكن لعلمهم ان رسوخ اللغة العربية في اذهان التلامذة من اكبر المواقع لانتشار تعاليمهم المقصودة لأن اللغة من ذاتها هي رابطة الوحدة الجامعة للجنس والوطن**"[2].

رابعاً: الصحافة المصرية وحادثة دنشواي عام 1906م

عالجت الصحافة المصرية الوطنية معظم قضايا مصر بصفتها منبر الدعاية ضد سياسة الاحتلال في البلاد، ومن الطبيعي ان تعالج حادثة دنشواي بشيء من التفصيل، تلك الحادثة التي تعتبر من الحوادث المحزنة التي وقعت أبان عهد الاحتلال في مصر، فقد أثرت في تطور الحركة الوطنية تأثيراً كبيراً.

أ- ملخص الحادثة:

تتلخص الحادثة: أن خمسة من ضباط جيش الاحتلال[3]، جاؤا إلى قرية دنشواي التابعة لنقطة بوليس (**مركز شرطة**) الشهداء، مركز شبين الكوم في مديرية (**محافظة**) المنوفية (*) في يوم الاربعاء المصادف 13 حزيران عام 1906 م، لصيد الحمام الذي يتكاثر

---

(1) عزيز، المصدر السابق، ص275.

(2) منتخبات من صحيفة (المؤيد) سنة 1890، نقلا عن: الشيخلي، المصدر السابق، ص 128.

(3) هؤلاء الضباط هم: الميجر (العقيد) باين كوفن قائدة القوة، والكابتن (نقيب) بول، والكابتن بوستوك الطبيب المرافق للقوة، واللفتنت (الملازم) بورتر، واللفتنت سميثك. المسدي، المصدر السابق، ص72.

(*) للاطلاع على خارطة المنوفية، ينظر: الملحق رقم (4).

بها خصوصاً في وقت الحصاد [1]، وكان يرافقهم أونباشي (نائب عريف) بصفة دليل من شرطة مركز الشهداء ومترجم مصري [2].

تكررت هذه الحالة في عهد الاحتلال، فكان الفلاحون فيما مضى يعارضون مثل هذا النوع من الصيد [3] لكن جنود الاحتلال لم يكونوا يبدون اي اهتمام لمعارضتهم، وفي الساعة الثانية ظهراً وصل الضباط الى دنشواي.

ومما تجدر الاشارة اليه، أن تعليمات جيش الاحتلال كانت تقضي بضرورة الحصول على موافقة العمدة قبل الشروع في الصيد، وهذا ما لم يحدث في دنشواي، فضلا عن أن القانون كان يقضي بعدم الصيد على بعد يقل عن مائتي متر من القرى، كما أن الحمام الذي يتواجد داخل نطاق هذه المسافة كان يعتبر حماماً داجناً ملكاً للأهالي ولا يجوز صيده، ولهذا الحمام أهميته في قرية دنشواي، وهي قرية صغيرة أراضيها الزراعية قليلة وأهلها ليسوا في سعة من الرزق، لذلك كان كثير من اهالي تلك القرية يعتمدون على الحمام الذي يحصلون على مال منه كمصدر للرزق، لذا بنو له ابراجاً (**الطيارة**) تضم بين 700 و1000 قادوس من الفخار مبنية في جوانبه وفتحاتها الى الداخل يتخذها الحمام بيوتاً له [4].

أنقسم الضباط الى قسمين، قسم(*) وقف على الطريق الزراعي لصيد الحمام الذي كان يحط على الاشجار المطلة على ذلك الطريق، والقسم الاخر(**) توغل خلال أجران (بيادر) القمح في داخل القرية ليصطادوا مابها من حمام [5].

---

(1) ابراهيم، المصدر السابق، ص198 ؛ جريدة مصر، ((مصر))، ع15106، س56، 4 اب 1951م.

(2) الرافعي، مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية، ص200.

(3) روثستين، المصدر السابق، ص226.

(4) المسدي، المصدر السابق، ص73.

(*) العقيد باين كوفن والنقيب بول والملازم سميثك.

(**) النقيب بوستوك والملازم بورتر.

(5) الرافعي، مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية، ص200 ؛ ينظر: الملحق رقم (5).

كانت المسافة بين الملازم بورتر والقرية نحو مائة متر، وعندها ابتدأ بورتر بالصيد [1]، فقد أصاب خلال عملية الصيد أمرأة تدعى أم محمد زوجة عبد النبي مؤذن مسجد القرية، وسقطت ام محمد جريحة تتخبط بدمائها. كما اصيب احد الاجران في القرية واندلعت النيران فيه. فأهاج ذلك صاحب الجرن (**مؤذن المسجد**)، وبقية الاهالي فهجموا على الضباط [2].

رأى العقيد باين كوفن والنقيب بول الاهالي متجمهرين حول رفيقيهما (**بوستوك وبورتر**) في المكان الذي كانا يصطادان فيه محاولين نزع سلاحيهما [3]، وفي الوقت الذي انتشر فيه خبر الحادث في القرية، فقد اسرع الخفراء الى مكان الحادث وابعدوا الاهالي عن الضباط، ولكن الضباط ظنوا ان الخفراء ما قدموا إلا للتنكيل بهم، والانتقام منهم، فأطلقوا عليهم النيران فسقط شيخ الخفراء جريحاً وأصيب خفير آخر، وأحد الاهالي، وعندئذ اشتد هياج الاهالي، فأخذوا يقذفون الضباط بالطوب (الحجارة) وانهالوا عليهم ضرباً بالعصي، فأسرع بقية الخفراء بانتزاع الاسلحة من الضباط، واستبقوهم الى ان حضر مدير مركز الشرطة [4].

اسفر الحادث عن اصابة النقيب بول في رأسه، وكسر ذراع ضابط بريطاني، واصابة بريطانيين أخرين بجروح طفيفة [5]، وتمكن النقيب بول من الفرار مع النقيب بوستوك وأخذا يعدوان مسافة ثمانية كيلومترات، سقط بعدها بول من شدة الاعياء وبتأثير درجة الحرارة العالية عند قرية (سرسنا) ومات في مساء اليوم نفسه، في حين وصل زميله الى المعسكر الذي كان يعسكر فيه جنود الكتيبة بناحية كمشوش [6].

---

(1) محمد نصر، دنشواي والصحافة، ط1، مطبعة نهضة مصر، (القاهرة)، 1958، ص29.

(2) حسين موسوعة تاريخ مصر، ج3، ص1253.

(3) نصر، دنشواي والصحافة، ص29.

(4) ابراهيم، المصدر السابق، ص199.

(5) روثستين، المصدر السابق، ص226.

(6) ابراهيم، المصدر السابق، ص199.

وصل نبأ الحادث الى سلطات الاحتلال (*)، فحضر في الحال مستشار الداخلية (متشل Mitchel)، ومدير المنوفية (شكري باشا)، ورئيس النيابة وعدد كبير من رجال الشرطة، وقبض على عدد كبير من اهالي دنشواي، وبدأ التحقيق معهم في الحال، واستمر التحقيق عدة ايام، ثم صدر قرار باحالتهم الى محكمة خاصة في يوم 24 حزيران 1906 م ليحاكموا امامها (1)، وتألفت المحكمة من:

1- بطرس غالي باشا وزير الحقانية (وزير العدل) رئيساً.

2- وليم جود نفاهيتر (المستشار القضائي بالنيابة) عضواً.

3- بوند (وكيل محكمة الاستئناف الاهلية) عضواً.

4- الكولونيل لادلو (القائم بأعمال المحاماة والقضاء في جيش الاحتلال) عضواً.

5- احمد فتحي زغلول رئيس محكمة مصر الاهلية عضواً.

6- عثمان مرتضى بك سكرتيراً (2).

وكان المدعي العام في هذه القضية ابراهيم الهلباوي بك، وتولى العديد من المحامين الدفاع عن المتهمين وكان من بينهم: أحمد لطفي السيد (3) ، ومحمد بك يوسف، واسماعيل بك عاصم (4).

(*) بعد سماع كرومر بالحادثة امر باتخاذ الاجراءات اللازمة، وقبل البدء باجراءات التحقيق سافر كرومر الى بريطانيا وترك امور الادارة الى وكيله المستر فندلي Findlay واثناء تواجده في بريطانيا وصلته الاحكام المتعلقة بحادثة دنشواي.

F.O. 141/404. Findlay to Grey. Cairo, 27 June, 1906.

(1) شفيق باشا، المصدر السابق، ج2، ص100.

(2) نصر، دنشواي والصحافة، ص40.

(3) محمد حسين هيكل، مذكرات في السياسة المصرية، ج1، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1951)، ص30 ؛ جريدة مصر، ((مصر))، ع15106، س56، 4 اب 1951م.

(4) المسدي، المصدر السابق، ص86.

عقدت المحكمة الخاصة أولى جلساتها يوم الاحد 24 حزيران 1906 م الساعة العاشرة صباحاً، وتوالت جلساتها صباح ومساء يومي الاثنين والثلاثاء، ثم عقدت جلستها الاخيرة في صباح الاربعاء 27 حزيران لأصدار الحكم [1].

من خلال ما تقدم، نرى أن المحاكمة كانت الاسرع في تاريخ مصر، وذلك لتعلق القضية بهيبة الاحتلال، وللانتقام لقواته، كما انها جاءت معبرة عن تعسف المحتل تجاه ابناء البلاد، ودليلاً على جبروت المحتل في الادارة.

أصدرت المحكمة احكاماً قاسية، وكما يلي:

أولاً: الاعدام شنقاً على اربعة من المتهمين، هم: حسن علي محفوظ، ويوسف حسين سليم، والسيد عيسى سالم، ومحمد درويش زهران.

ثانياً: السجن مع الاشغال الشاقة المؤبدة على أثنين من المتهمين، هما: محمد عبد النبي المؤذن، واحمد عبد العال محفوظ.

ثالثاً: السجن مع الاشغال الشاقة لمدة خمسة عشر عاماً على أحمد محمد السيسي.

رابعاً: السجن مع الاشغال الشاقة لمدة سبع سنوات على ستة متهمين، هم: محمد علي سمك، وعبدة البقلي، وعلي علي شعلان، ومحمد مصطفى محفوظ ورسلان السيد علي، والعيسوي محمد محفوظ.

خامساً: الجلد خمسين جلدة والحبس مع الاشغال الشاقة لمدة سنة واحدة على ثلاثة متهمين، وهم: حسن اسماعيل السيسي، وابراهيم حسنين السيسي، ومحمد الغباشي السيد علي.

سادساً: الجلد خمسين جلدة على خمسة متهمين، هم: السيد العوفي، وغرب عمر محفوظ والسيد سليمان خير الله، وعبد الهادي حسن شاهين، ومحمد

(1) المصدر نفسه، ص ص86 – 87.

احمد السيسي. وتقرر تنفيذ احكام الاعدام والجلد علناً في دنشواي، وعهدت المحكمة الى مديرية المنوفية بتنفيذ هذه الاحكام [1].

ب- موقف الصحافة من حادثة دنشواي:

ظن البريطانيون بأن سياسة القسر التي اتبعوها ضد اهالي دنشواي سوف تبدد أمال المصريين في التحرر، وتقطع ألسنة الخطباء، وتشل اقلام الكتاب الذين يدعون الى اقامة حكم دستوري في مصر، ولكن النتيجة جاءت على عكس ما قدروا [2] ولقد تركت حادثة دنشواي جرحاً عميقاً لم تنساه مصر، ولن تغفره للاحتلال البغيض [3]، أهم النتائج التي أسفرت عنها الحادثة، هي:

1- اشتد ساعد الحركة الوطنية بأنضمام الجماهير المصرية اليها، وعد سريان هذا الشعور فوزاً كبيراً للحركة الوطنية بعد ان كان اللورد كرومر يفاخر بأنه يحظى بتأييد من اصحاب الجلابيب الزرقاء (**الفلاحين**).
2- اهتمام بعض الصحف الفرنسية بالمسألة المصرية بعد أن اتضح لها أن مصر ليست بلاداً متأخرة كما تبين لها قسوة البريطانيين والمظالم التي انزلوها بالمصريين.
3- أضطرت الحكومة البريطانية الى تعديل سياستها ولو بصورة ظاهرية، وكان قوام هذا التغيير عزل اللورد كرومر أو قبول استقالته في نيسان 1907 م، وتولي المناصب الوزارية لبعض العناصر الوطنية [4].

---

(1) نصر، دنشواي والصحافة، ص21 ؛ المسدي، المصدر السابق، ص ص87 – 88.

(2) احمد لطفي السيد باشا، صفحات مطوية من تاريخ الحركة الاستقلالية في مصر، (مصر، 1946)، ص146.

(3) الشافعي، المصدر السابق، ص20.

(4) مركز الوثائق والبحوث التاريخية لمصر المعاصرة، 50 عاماً على ثورة 1919، مؤسسة الاهرام، (مصر، د. ت)، ص ص37 – 38.

ابدى اللورد كرومر امتعاضاً من موقف الصحافة الوطنية المصرية ازاء حادثة دنشواي، وهو السبب المباشر لسخطه عليها، وعمل على استمالة بعض الصحفيين اليه، والايعاز الى الصحف المؤيدة للاحتلال بنشر أخبار الحادثة كما لو أنها حادث قضاء وقدر[1].

واعترف كرومر في تقريره السنوي لعام 1906 م بصرامة الاحكام التي صدرت بحق الفلاحين، إلا أنه اكد على ضرورة معاقبة المعتدين [2].

أثارت حادثة دنشواي مشاعر عموم فئات الشعب المصري، كما جعلت الزعماء الوطنيين أقرب الى فهم مشاكل الشعب والاهتمام بها [3]، ووسع مصطفى كامل حملته الصحفية ضد سلطات الاحتلال من خلال مقالاته التي نشرها في صحيفة (الفيجارو Figaro) الفرنسية [4]، والتي ندد فيها بالمظالم التي اقترفها المحتلون بحق اهالي دنشواي. وقد أحدثت الاحكام التي اصدرتها المحكمة الخاصة تغييراً في سياسة بريطانيا ازاء مصر [5]. وذلك من خلال اعلانها عن نيتها بمنح المصريين حكماً ذاتياً. وتغيير معتمدها في مصر وعُد هذا التغيير على أنه انتصار للوطنيين ومناصريهم [6].

بدأت الصحف الوطنية حملة طالبت فيها بالعفو عن سجناء دنشواي، فعلى سبيل المثال نشرت صحيفة (الاهرام) مقالا موجها الى جورست عبرت فيه عن استياء الشعب المصري ضد قسوة سلطات الاحتلال ودعت هذه السلطات الى اصدار عفو عن المتهمين بحادثة دنشواي، معلنة أن " **الأمة كلها سجلت على الانجليز القسوة أفلا يجدر بالأنجليز أن**

---

(1) عبدة، تطور الصحافة المصرية، ص172.

(1) Le Comte de Cromer a Sir Edward Grey. Cairo, Le 3 Mars, 1907. Rapport De Lord Cromer Sur L'Egypte Et le Soudan.

(3) مصطفى، تاريخ مصر السياسي، ص43.

(4) عبدة، تطور الصحافة المصرية، ص172.

(4) Richmond, Op. Cit,P.158.

(5) Holt, Op. Cit., P.320.

يمحوا تلك القسوة بالمرحمة ؟ افلا يجدر بهم أن يتجملوا بالعفو ؟ ورأينا في عملهم مخاشنة افلا يجب أن يعمدوا الى المجاملة"[1].

وعلقت صحيفة (**المؤيد**) في عددها المرقم (4994) الصادر في 16 تشرين الاول 1906م على سياسة كرومر والحادثة التي وقعت في قرية دنشواي بقولها: "**الرجال الوطنيون اللذين جاء ذكرهم في قضية دنشواي كانوا في مذهب اللورد كرومر من اعظم الاكفاء الجديرين باعظام الحكومة الانجليزية واجلالها**"[2].

ونشرت ايضا صحيفة (المؤيد) في عددها المرقم (4995) الصادر في 17 تشرين الاول 1906م قصيدة للشاعر حافظ ابراهيم، يقول فيها:

"في دنشواي وانت عنا غائب لعب (القضاء) بنا وعز المهربُ

حسبوا النفوس من الحمام بديلة فتسابقوا في صيدهن وصوبوا"[3]

اما بصدد موقف صحيفة (**اللواء**) فقد استمرت بمهاجمة سياسة الاحتلال بعد الحادث وطالبت بالعفو عن المسجونين، حتى تمكنت من اقناع الخديوي في استصدار العفو عن المحكوم عليهم في قضية دنشواي عام 1908 م [4].

وكانت صحيفة (**اللواء**) قد نشرت بعددها الصادر في 27 حزيران 1907 م، قصيدة للشاعر أحمد شوقي بمناسبة الذكرى الاولى لتنفيذ احكام الاعدام في حادثة دنشواي وما تركته من آثار في نفوس المصريين، جاء فيها:

"يادنشواي على رباك سلامُ ذهبت بأنس ربوعك الأيام

شهداء حكمك في البلاد تفرقوا هيهات للشمل الشتيت نظامُ"[1]

---

(1) عبدة، جريدة الاهرام تاريخ وفن، ص318.

(2) مقالات قصر الدوبارة، جمع عبد الله حسين وصالح شكري، مطبعة المؤيد، (مصر، 1907)، ص9.

(3)مقالات قصر الدوبارة، المصدر السابق، ص11.

(4) هيكل، المصدر السابق، ص33.

واستمرت الصحافة الوطنية المصرية بتخليد ذكرى حادثة دنشواي، وكان من أعنف المقالات التي نشرتها (اللواء) في شأن الحادثة، ما نشره عبد العزيز جاويش في 28 حزيران 1909 م، هاجم فيها الاحتلال البريطاني والاحكام التي اصدرها بحق فلاحي دنشواي، جاء فيها: "**سلام على تلك الارواح التي انتزعها بطرس غالي رئيس المحكمة المخصوصة القضائية من مكانها في اجسامها...**"[2].

عملت الحركة الوطنية على تصعيد نشاطها ضد سياسة الاحتلال، حتى تمكن ابراهيم ناصف الورداني [*] من اغتيال بطرس غالي رئيس الوزراء المصري (12 تشرين الثاني 1908-20 شباط 1910م)، ورئيس المحكمة الخاصة في دنشواي وذلك في 20 شباط 1910 م [3] وهكذا سددت الحركة الوطنية ضربة موجعة للاحتلال، على اعتبار ان بطرس غالي أحد ابرز اعوانه. وازدادت حدة الصراع بين الاحتلال والحكومة المصرية من جانب، وبين الحركة الوطنية من جانب اخر.

---

(1) للاطلاع على القصيدة ينظر: نصر، دنشواي والصحافة، ص ص153 – 154.

(2) الجندي، تطور الصحافة العربية في مصر، ص164.

(*) ابراهيم ناصف الورداني: ولد عام 1887م درس في مصر حتى حصل على شهادة البكالوريا ثم ذهب الى سويسرا لدراسة الصيدلة، فمكث في لوزان سنتين، ثم التحق عام 1908م بمدرسة ويست مانشستر، وبعدها عاد الى مصر مطلع عام 1909م فافتتح صيدلية في شارع عابدين. كانت له علاقات بالحزب الوطني ايام محمد فريد اذ كان من المقربين لرئيس الحزب، انخرط باخطر الجمعيات السرية للحزب الوطني، وهي ((جمعية التضامن الاخوي))، نفذ عملية اغتيال بطرس غالي عام 1910. شفيق باشا، المصدر السابق، ج2، ص ص209-210.

(3) صابات واخرون، المصدر السابق، ص 221.

الفصل الرابع

السياسة البريطانية تجاه الاحزاب المصرية

الفصل الرابع

السياسة البريطانية تجاه الاحزاب المصرية

اولاً : بدايات ظهور الجمعيات والاحزاب في مصر :

كان من نتيجة التدخل الاجنبي واستغلال مصر المالي في عهد الخديوي اسماعيل اثره في تذمر مختلف شرائح المجتمع المصري لاسيما المثقفين والعسكريين، وظاهرة السخط هذه لاشك كونت النواة التي تجمعت حولها الجمعيات السرية التي كانت بدورها مقدمة لنشوء الاحزاب في مصر.

في عام 1876م تأسست اول جمعية سرية بين الضباط المصريين، وكان مؤسس الجمعية علي الروبي التي اطلق عليها اسم (مصر الفتاة)، وكان من اعضائها علي فهمي واحمد عرابي وعبد العال حلمي، ولم يلبث ان اصبح عرابي عضواً بارزاً فيها [1].

ومن الجمعيات السرية التي لعبت دوراً كبيراً في الحركة الوطنية (جمعية مصر الفتاة - الجناح المدني) التي انشأها لفيف من الشباب في الاسكندرية مطلع عام 1879م [2]، واستهدفت الحد من سلطة الخديوي اسماعيل، وكانت منشوراتها تثير قلق الخديوي بشكل كبير [3]، ونشرت نشاطات واخبار الجمعية التي كانت تضم اعضاء مثقفين، مثل: عبد الله النديم، واديب اسحق، وسليم نقاش، ومحمود واصف في مجلة (ابو نظارة) التي كان يصدرها يعقوب صنوع، كما اصبحت صحيفة (مصر الفتاة) لسان حال لتلك الجمعية، حيث صدرت اولاً بالفرنسية ثم بالعربية وانتقدت النفوذ الاجنبي والحكومة

---

(1) P.M. Holt, Egypt and the Fertile Crescent 1516-1922, Cornell University Press, (London, 1966), P. 212;

احمد حمروش، مصر والعسكريون، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، 1974)، ص49.

(2) شبيكة، المصدر السابق، ص572.

(3) الحديدي، المصدر السابق، ص81.

الموالية له [1]. وقد تخلت هذه الجمعية عن العمل السياسي بعد ان ترك اعضائها العمل فيها وانضموا الى الحزب الوطني (العرابي)، فيما بعد، والذي اصبح بمثابة الجبهة الوطنية التي ضمت كافة التنظيمات. فقد انفصل النديم عن جمعية مصر الفتاة في بداية الامر لانه ارادها ان تكون علنية وتعمل بين الجماهير الشعبية، فأنشأ مطلع عام 1880م (الجمعية الخيرية الاسلامية)، كما انشأ جمعية (المقاصد الخيرية) في القاهرة اوائل ايلول 1880م [2].

كما اسس السيد جمال الدين الافغاني حزب (الوطني الحر) في اواخر عهد الخديوي اسماعيل الذي كان هدفه مقاومة التدخل الاجنبي واستبداد الخديوي والعمل على عزله [3].

ونما الى علم عرابي تأسيس حزب سري يضم اصحاب الاراضي وعلماء الدين والسياسيين في خريف عام 1879م عرف بأسم (الحزب الوطني الاهلي)[4]، برئاسة محمد شريف باشا واتخذ من حلوان مقرا له [5]. وجرى اتصال بين الجمعية السرية لضباط

---

(1) لاندو، المصدر السابق، ص ص 104-105.

(2) الحديدي، المصدر السابق، ص101.

(3) عيد، المصدر السابق، ص ص275-276.

(4) نشر الحزب في 4 تشرين الثاني 1879م بيانا سياسيا احتج فيه على سياسة الحكومة وطالب باستقلال مصر ومنحها دستورا وطنيا، وطبع عشرين الف نسخة من البيان ووزعها في عموم مصر. شبيكة، المصدر السابق، ص571 ؛ الخفيف، المصدر السابق، ص78 ؛ للمزيد من المعلومات عن البيان، ينظر: عبد اللطيف حمزة، أجواء فكرية وسياسية عاش فيها الادب الحديث والصحافة المصرية، مجلة كلية الاداب، ((جامعة القاهرة))، ج2، مج16، كانون الاول 1954، ص97.

(5) ضم الحزب نقيب الاشراف السيد البكري، والشيخ الخلفاوي، واسماعيل راغب باشا (كان رئيسا لمجلس شورى النواب ووزيرا سابقا)، وسليمان اباظة باشا (محافظ الشرقية)، وحسن الشريعي (محافظ المنيا) واخرون. لاندو، المصدر السابق، ص92 ؛ وكان الحزب يعرف احيانا بجمعية حلوان. الخفيف، المصدر السابق، ص78.

الجيش المصري (مصر الفتاة) و (الحزب الوطني الاهلي) لتوحيد العمل بينهما، فتم الاندماج واعلن عن قيام الحزب الوطني الذي انيطت قيادته باحمد عرابي [1].

وفي كانون الاول 1881م وضع **ولفريد سكاون بلنت** [*] (Wilfrid Scawen Blunt) صديق الحزب الوطني واحد المقربين الى زعمائه ملخصاً لافكار واتجاهات الضباط الذين تولوا قيادة الحركة الوطنية بزعامة الحزب الوطني، وعمل على مراجعته كل من الشيخ محمد عبده وسليمان اباظة ومحمود سامي البارودي، ومن اهم المبادئ الاساسية التي تضمنها برنامج الحزب الوطني:

1- ان الحزب الوطني سيظل يحترم مكانة السلطان العثماني طالما ان الدولة العثمانية قائمة، ولكنه سيقاوم أي محاولة للعودة بمصر الى عصر الباشوات الاتراك.
2- سيبقى الحزب على ولائه للخديوي توفيق طالما يرعى العدل ويحافظ على وعوده التي قطعها للعسكريين في ايلول 1881م.
3- يوافق الحزب على الديون المصرية.
4- الحزب الوطني حزباً سياسياً وليس حزباً دينياً، فضلا عن ان دينه الاسلام، فهو يحمي الاقباط واليهود ويعتبر الجميع سواء امام القانون.
5- رغبة الحزب في اعادة بناء مصر معنوياً وثقافياً عن طريق احترام القانون ونشر التعليم والتمسك بالحرية السياسية.

---

(1) المصدر نفسه، ص52.

(*) ولد بلنت عام 1840م، كان من احرار البريطانيين المناوئين للاستعمار، ناصر الحركات الاستقلالية في مصر والهند وايرلندا. كان مهتما بالدراسات الاسلامية، الف كتاب مستقبل الاسلام عام 1881م، وكان يجيد العربية، وزار بلدانا عربية كثيرة وتعاطف مع شعبها، اعجب كثيرا باحمد عرابي، كما ايد القضية المصرية وعمل على الدفاع عن عرابي خلال محاكمته، توفي عام 1922م. حسين، الثورة العرابية في مصر، ص37.

6- ان الحزب الوطني قد وضع اماله بين يدي الجيش المصري [1].

تسلمت وزارة الثورة (ثورة عرابي) الحكم برئاسة محمود سامي البارودي في شباط 1882م وعملت على الاهتمام بشؤون البلاد، وركزت على تدعيم نفوذ الجيش [2]، واعرب الناس عن فرحهم بتلك الوزارة واقاموا الاحتفالات في البلاد بمناسبة فوز الحزب الوطني، ووردت التهاني الى الحزب من سائر انحاء البلاد [3].

ثانياً : الحياة الحزبية في ظل الاحتلال البريطاني.

عملت عوامل عدة على بلورة الحركة الوطنية في مصر وظهور الاحزاب بشكل منظم فيها، وكان من تلك العوامل:

1- سياسة الاحتلال الادارية والاقتصادية واثرها في اثارة السخط الجماهيري.

2- حادثة طابا [*] عام 1906م.

3- حادثة دنشواي عام 1906م.

---

(1) لاندو، المصدر السابق، ص97 ؛ عيسى، المصدر السابق، ص ص389-391 ؛ عائشة راتب، ثورة 23 يوليو سنة 1952، دار النهضة العربية، (مصر، 1964)، ص ص23-25.

(2) احمد عبد الرحيم مصطفى، "لماذا اخفقت الثورة العرابية"، مجلة الهلال، ((مصر))، ع9، س79، ايلول 1971، ص58.

(3) جرجي زيدان، كتاب تاريخ مصر الحديث، ط3، ج2، مطبعة الهلال، (القاهرة، 1925)، ص252.

(*) تقع طابا على رأس خليج العقبة الى الجنوب الغربي من ام الرشراش (ايلات الحالية) وعندما تولى الخديوي عباس الثاني حكم مصر ارادت الدولة العثمانية ان تستثني منطقة سيناء من فرمان التولية، ولكن بريطانيا عارضت ذلك وابقت ادارة طابا في يد مصر. وفي كانون الثاني عام 1906م سيطر العثمانيون على طابا في محاولة منهم لانتزاع ما تيسر لهم انتزاعه من منطقة سيناء، مما ولد ازمة حادة بين الدولة العثمانية من جهة وبريطانيا ومصر من جهة اخرى امتدت حتى ايار عام 1906م وانتهت ببقاء طابا جزءً من مصر. للمزيد من المعلومات، ينظر: صالح محمد العمرو، "النزاع التركي – المصري على شمال الحجاز وسيناء وتدخل الحكومة البريطانية (1884-1906)"، مجلة الدارة، ((الرياض))، ع1، س5، اذار 1979، ص ص7-27.

وشهدت مصر منذ اواخر عهد اللورد كرومر وحتى قيام الحرب العالمية الاولى مولد العديد من الاحزاب المصرية، وكان الاختلاف بينها ينحصر في علاقات كل منها مع الخديوي والسلطان العثماني والاحتلال البريطاني، ومن ابرز هذه الاحزاب هي:

1- حزب الامة:

تكون هذا الحزب من شريحة كبار ملاكي الاراضي الزراعية والمثقفين من ابنائهم لانهم حرصوا على صيانة اهدافهم الطبقية [1]. وقد تأسس في 21 ايلول عام 1907م بزعامة محمود سليمان باشا (عضو مجلس شورى القوانين واحد كبار اغنياء الصعيد)، وقد شجع اللورد كرومر على تأسيس هذا الحزب، واشار مصدر الى ذلك بقوله: "**بعد حضور الخديوي من اوربا دارت احاديث بينه وبين رجال معيته في شؤون هذا الحزب، وقد ظهر بعد ذلك ان لسعد باشا [**] بدأ في تأليفه، وانه يعمل سراً مع اخيه فتحي باشا لتقوية نفوذه. وقد علمنا ان اللورد كرومر كان من المعضدين لقيام هذا الحزب**"[2]. وكانت صحيفة (الجريدة) لسان حال حزب الامة [3]. وابدى اعضاء الحزب رغبتهم في تحقيق تقدم سياسي لبلدهم بمساعدة البريطانيين حينما تقتضي الضرورة تلك المساعدة [4].

---

(1) كاظم هاشم عودة، "التطورات السياسية في مصر بعد الحرب العالمية الاولى"، مجلة الجامعة، ((الموصل))، ع11، س2، اذار 1972، ص39.

(**) المقصود به سعد زغلول.

(2) شفيق باشا، المصدر السابق، ج2، ص129.

(3) Marlowe, Cromer in Egypt, P. 268;

للمزيد من المعلومات عن حزب الامة، ينظر: احمد زكريا الشلق، حزب الامة ودوره في السياسة المصرية، ط1، دار المعارف، (مصر، 1979).

(4) Llyod, Op. Cit, Vol. 1, P. 69.

2- حزب الاصلاح على المبادئ الدستورية:

تأسس هذا الحزب في 15 كانون الاول 1907م بزعامة الشيخ علي يوسف بايعاز من الخديوي عباس الثاني ليكون سندا له في مجابهة الاحزاب الاخرى، وكانت صحيفة (المؤيد) لسان حالة الحزب [1]. وكان موقف الحزب مؤيدا للجامعة الاسلامية واكد على الجهاد الديني المقرون بالوطنية [2].

3- الحزب الوطني الحر:

ساعدت سلطات الاحتلال محمد وحيد الدين الايوبي في تكوين هذا الحزب في ايار 1907 [3]، الا انه لم يبدأ نشاطه الفعلي الا عام 1908م، وكانت صحيفة (المقطم) لسان حال الحزب الذي اتخذ موقفاً موالياً للاحتلال البريطاني [4].

4- حزب المصريين المستقلين:

اسس مجموعة من الاقباط حزب (المصريين المستقلين) برئاسة الدكتور اخنوع فانوس المحامي في 2 ايلول 1908م، وانضم للحزب بعض المسلمين المتعاونين مع الاحتلال [5].

5- حزب مصر الفتاة:

تأسس هذا الحزب في صيف 1908م برئاسة ادريس راغب بك معبراً فيه – حسب رأيه – عن الخدمات التي قدمتها بريطانيا لمصر [6].

---

(1) للمزيد من المعلومات، ينظر: عمر، المصدر السابق، ص ص408-411 ؛ مصطفى، تاريخ مصر السياسي، ص ص49-80؛

Marlowe, Cromer in Egypt, P. 268.

(2) عودة، "التطورات السياسية في مصر بعد الحرب العالمية الاولى"، ص39.

(3) المصدر نفسه، ص39.

(4) للمزيد من المعلومات، ينظر: لاندو، المصدر السابق، ص ص145-146.

(5) للمزيد من المعلومات، ينظر: عمر، المصدر السابق، ص ص413-415.

(6) لاندو، المصدر السابق، ص ص150-151.

6- حزب النبلاء:

تأسس حزب النبلاء في تشرين الاول 1908م بزعامة حسن حلمي زادة، الذي عبر عن ولاء الحزب للسلطان العثماني والخديوي وعن استعداد الحزب للتعاون مع البريطانيين في مصر[1].

ثالثاً: موقف الحزب الوطني من الاحتلال البريطاني

أ- الحزب الوطني منذ مرحلته السرية وحتى ميلاده الرسمي.

ان ضعضعة القوى الوطنية عقب فشل ثورة عرابي وما اسفر عنها من احتلال بريطانيا لمصر، لم يقلل من عزم وشجاعة الكثيرين من الوطنيين فأسسوا جمعية تحت اسم جمعية (الحزب الوطني) بشكل سري، وضمت هذه الجمعية التي كانت نواة للحزب الوطني (الذي اسسه مصطفى كامل فيما بعد) بعضاً من الذين شاركوا في ثورة عرابي، فكان من بينهم: لطيف سالم، وحسن عاصم، وحسن عبد الرزاق، ومحمود سالم، وعلي فخري وغيرهم. ولكن الملاحظ ان الجمعية ظلت في عهد الخديوي توفيق لا تمارس أي نشاط علني، حيث كانت تعقد اجتماعاتها بصورة سرية تناقش خلالها الاحوال السياسية التي آلت اليها البلاد. كذلك في غمار الانتكاسة التي اصيبت بها الحركة الوطنية نتيجة فشل الثورة العرابية وتأسست في القاهرة جمعية سرية اخرى عرفت بأسم (الجمعية الوطنية) واطلق عليها احيانا (جمعية الانتقام)[2].

تمكن لطيف سالم في عام 1893م من اعادة تنظيم وتوسيع قاعدة جمعية الحزب الوطني بكسب العديد من الشباب والاعيان، كان من بينهم: مصطفى كامل، ومحمد فريد، ومحمود انيس، ومحمد خلوصي، واحمد الصوفاني. وتركزت اغراضها في امرين،

---

(1) عمر، المصدر السابق، ص ص417-418.

(2) عصام ضياء الدين السيد علي الصغير، الحزب الوطني والنضال السري 1907-1915، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر، 1987)، ص10 ؛

Holt, Op. Cit, P. 311.

المناقشات السياسية السرية التي كانت تموج بها الجمعيات السرية التي بثها الحزب الوطني في انحاء مصر [1].

وانطلاقاً من ضرورة اثبات وجود حركة وطنية من شأنها التصدي للاحتلال، بدأت اولى الخطوات العملية التي مثلت باكورة اعمال التنظيم السري لمدرسة (كلية) الحقوق بتنظيم اضراب كبير لطلبة الكلية بتاريخ 6 شباط 1906م ممن تأثروا لحد كبير بافكار ووطنية مصطفى كامل، حيث اعتبر اول اضراب من نوعه في تاريخ مصر الحديث. وتألفت لجنة من بين الطلبة لتنظيم حركة الاضراب، وتم عقد تجمع طلابي عام في حديقة الازبكية تبارى فيه زعماؤهم القاء الخطب وتعاهد الطلبة على التضامن فيما بينهم[2].

ومهما يكن، فان اضراب الطلبة قدم للمصريين اول نموذج للاضراب على نطاق واسع مما كان له اثره فيما بعد [3].

وتجلى تأثير طلبة الحقوق على زملائهم في الكليات الاخرى بحدوث اتصال بين التنظيمات السرية القائمة لاسيما مع جمعية التعاون السرية في كلية الهندسة (تشكلت الجمعية عام 1905م برئاسة علي مراد) واتسع نطاق هذه التنظيمات لتصبح جمعية عمومية باسم (جمعية التضامن الاخوي) السرية عام 1906م ورمز لها بحرفي (جـ – ت)، وكان من اعضائها البارزين كل من شفيق منصور، وعبد الخالق عطية، ومحمود حلمي، ومحمد توفيق، وعبد الحافظ عنان. وتم انتخاب مجلس ادارة لها يتكون من (علي مراد – رئيساً) و (احمد رشدي – سكرتيراً) و (السيد فهمي – اميناً للصندوق)، وقرروا استمرار العمل في الجمعية حتى بعد اتمام دراستهم [4].

---

(1) الصغير، المصدر السابق، ص ص32-33.

(2) الرافعي، مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية، ص ص195-196.

(3) لاندو، المصدر السابق، ص125.

(4) الصغير، المصدر السابق، ص37.

واضافة الى هذا النشاط الوطني، فان حادثتي عام 1906م (طابا ودنشواي) كان لها اثارها على ارتفاع المد الوطني المصري. واذا كانت جهود مصطفى كامل قد فضحت سياسة الاحتلال، وخاصة في دنشواي، فانها عملت ايضاً على زعزعة مكانة كرومر في مصر، فضلا عن اشتداد ساعد الحركة الوطنية حيث اخذت الحمية الوطنية تسري في عروق الوطنيين مما اضطر كرومر للاعتراف بوجود حركة وطنية في مصر.

وحتى عام 1907م، كان مصطفى كامل والمحيطين به يعتبرون انفسهم المتحدثين بأسم (مصر الجديدة) وكانوا يطلقون على انفسهم اسم ((**الحزب الوطني**)) في بعض المناسبات. الا ان النضج السياسي للاعضاء ترك صداه في الاعلان عن ميلاد حزب سياسي اعلن عن نفسه وكان مصطفى كامل قد اعد الجو المناسب لتأسيسه. وصرح في 8 ايار 1907م لصحيفة (الفيجارو) الفرنسية عن ابرز الاعمال التي ينوي حزبه تنفيذها (المتمثلة في برنامج الحزب الوطني فيما بعد)[1].

وفي 7 تشرين الاول 1907م عاد مصطفى كامل الى مصر قادماً من اوربا وبعد وصوله بثلاثة ايام كتب مقالاً في صحيفة (اللواء) قال فيه ان الوقت قد حان لاعلان تشكيل الحزب الوطني كتنظيم عام يجمع المؤيدين والاصدقاء الذين شاركوا في الكفاح الوطني لسنين عديدة [2].

واعقب مصطفى كامل نداؤه هذا بدعوة (600) شخص الى اجتماع في مسرح زيزينيا بالاسكندرية في 22 تشرين الاول 1907م كدعوة لهم الى الانضمام الى الحزب الوطني، واتخذ من الجلاء مبدأً للحزب حتى اشتهر الحزب بأسم (حزب الجلاء)[3].

اشار مصطفى كامل في خطابه الذي القاه في الاجتماع انف الذكر الى الخطوات المهمة التي خطتها الحركة الوطنية بعد اتفاق عام 1904م، مشيراً الى ان اعتماد الامة على

---

(1) لاندو، المصدر السابق، ص ص115–118.

(2) المصدر نفسه، ص ص115–116.

(3) عمر، المصدر السابق، ص399.

نفسها هو سبيلها الوحيد لنيل الاستقلال. وقال في هذا الصدد: "**ان العزلة التي صرنا اليها بعثت فينا روحاً جديدة وارشدتنا الى الحقيقة التي لا قوام لشعب بدونها ولا حياة لامة بغيرها ولا وجود لنفر من الناس اذا لم يتبعوها وهي ان الامم لا تنهض الا بنفسها ولا تسترد استقلالها الا بمجهوداتها، وان الشعب كالفرد لا يكون امناً على نفسه الا اذا كان قويا بنفسه مستجمعاً لكل عدد الدفاع والات الذبّ عن الشرف والمال والحياة**"[1].

وفي يوم الجمعة المصادف 27 تشرين الاول 1907م عقد الحزب اول اجتماع عام له في مقر صحيفة (اللواء) وكان اجتماعاً حافلاً شاركت فيه مختلف فئات الامة، وافتتح مصطفى كامل الاجتماع بخطبة نوه فيها بوجود الحزب الوطني منذ فترة قديمة، ثم اشار الى ضرورة تنظيمه، وتحدث عن اغراض الحزب قائلاً: "**اننا لسنا حزباً سياسياً فقط بل نحن قبل كل شيء حزب حياة للامة وانهاض لها، فلا نغفل التعليم بين سائر الطبقات لحظة واحدة، وهو يرمي الى الاستقلال...**"[2].

في هذا الاجتماع تم التصديق على لائحة الحزب التي نصت على ان يتولى مصطفى كامل رئاسة الحزب مدى الحياة، وان الجمعية العمومية للحزب تجتمع مرة في كل سنة في شهر كانون الاول باسم ((**المؤتمر الوطني**))، وتشمل صلاحياتها على انتخاب اللجنة الادارية والتصديق على ميزانية الحزب واعماله والنظر في اقتراحات الاعضاء. كما تقرر ان تؤلف اللجنة الادارية من ثلاثين [*] عضواً عدا الرئيس، وتنتخب لمدة ثلاث سنوات، وتجتمع مرة في كل شهر على الاقل، وتنتخب وكيلين للحزب وسكرتيراً واميناً للصندوق من بين اعضائها [**]. فضلا عن انتخاب لجنة تنفيذية للحزب من ثمانية اعضاء من بينهم

---

(1) الرافعي، مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية، ص262.

(2) المصدر نفسه، ص265.

(*) للاطلاع على اسماء اللجنة الادارية للحزب الوطني، ينظر: الرافعي، مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية، ص267.

(**) انتخب محمد فريد بك واحمد فائق باشا وكيلان للحزب، وانتخب فؤاد بك سليم سكرتيراً للحزب، وعمر بك سلطان اميناً للصندوق.

الوكيلان والسكرتير وامين الصندوق لتنفيذ قرارات اللجنة الادارية، وتجتمع الاخيرة مرة في كل اسبوع على الاقل، وتقرر انشاء نادي للحزب وفروع له في الاقاليم [1].

ولقد اشتمل برنامج الحزب الوطني على ما يلي:

1- استقلال مصر كما قررته معاهدة لندن في عام 1840م وضمنته الفرمانات (المراسيم) السلطانية، ذلك الاستقلال الضامن عرش مصر لاسرة محمد علي، والضامن للاستقلال الداخلي لمصر ولكافة المناطق التي ضمت لمصر بمقتضى فرمانات سلطانية، وهو الاستقلال الذي وعدت بريطانيا باحترامه وتعهدت رسمياً بذلك.

2- ايجاد حكومة دستورية في البلاد بحيث تكون مسؤولة امام مجلس نيابي كمجالس النواب في اوربا بصورة تامة.

3- احترام المعاهدات الدولية والاتفاقيات المالية التي ارتبطت بها حكومة مصر لسد الديون. وقبوله المراقبات الاجنبية المالية، كالمراقبة الثنائية، ما دامت مصر مدينة لاوربا، وما دامت اوربا تطالب بهذه المراقبة.

4- انتقاد الاعمال الخاطئة للحكومة بكل صراحة، والاشادة باعمالها النافعة والتشجيع عليها، وارشاد الحكومة الى خير الرعية ورغائبها والاصلاحات اللازمة لها.

5- العمل على نشر التعليم في مختلف انحاء مصر على اساس وطني سليم بحيث ينال الفقراء النصيب الاوفر منه، ونشر المبادئ الدينية السليمة الداعية للرقي، وحث الاغنياء والقادرين على بذل المساعدة لنشر التعليم بتأسيس الكليات في مصر، وارسال البعثات العلمية الى اوربا، وفتح المدارس المسائية للصناع والعمال.

---

(1) عمر، المصدر السابق، ص400 ؛ لاندو، المصدر السابق، ص117.

6- التقدم في كافة المجالات الزراعية والصناعية والتجارية وكل فروع الحياة، والعمل بجد لأجل نيل الامة استقلالها العلمي والاقتصادي.
7- اطلاع الاهالي بكافة الوسائل الممكنة على حقائق الاحوال وبث الشعور الوطني فيهم، ودعوتهم للاتحاد وبث روح المحبة بين المسلمين والاقباط وتنبيههم الى واجباتهم نحو بلادهم، والعمل للحفاظ على الامن العام والسلام في كافة ارجاء القطر.
8- مساعدة كل مشروع يعود على البلاد بالخير، والاجتهاد في تحسين الاحوال الصحية حتى يزداد عدد السكان فتزداد الامة قوة على قوتها.
9- تقوية روابط المحبة بين المصريين والرعايا الاجانب وازالة سوء التفاهم بينهم، والسعي لجعل محاكمة المجرمين الاجانب امام المحاكم المختلطة.
10- بذل الجهود لتقوية اواصر المحبة والارتباط والتعلق التام بين مصر والدولة العثمانية، وانماء اواصر الصداقة والثقة بين مصر ودول اوربا، ونفي كل تهمة عن مصر، والعمل لايجاد انصار لها في كل انحاء العالم لمساعدتها في الاعتراف بحقوقها المشروعة (1).

وازاء تصاعد التيار الوطني لم تجد الحكومة البريطانية بداً من التراجع قليلاً بابعاد كرومر عن مصر. ففضلت ان تضحي بشخص كرومر على ان تضحي بمصالحها العامة (2).

وفي الحقيقة كان مجيء جورست المعتمد الجديد الى مصر في احرج الاوقات واكثرها صعوبة على الاحتلال. فقد تغير الموقف في عهده تغيراً كبيراً فأخذت الصحافة الحزبية الوطنية تهاجم الاحتلال بقوة لدرجة تعرضت لها مكانة بريطانيا في مصر لهزة غير

(1) مصطفى، تاريخ مصر السياسي، ص ص44-45 ؛ عمر، المصدر السابق، ص ص401-402 ؛ Marlowe, Cromer in Egypt, P. 267.
(2) شفيق باشا، المصدر السابق، ج2، ص117.

متوقعة، وشجع الوطنيين على ذلك ابعاد كرومر الذي اعتبروه نصراً كبيراً لهم [1]. ومما لاجدال فيه ان مجيء جورست الى مصر كان يحمل في طياته سياسة جديدة للاحتلال البريطاني في مصر تقوم على اتباع سياسة اللين في ادارة البلاد.

على العموم، لم يدم بقاء مصطفى كامل طويلاً حيث وافته المنية في الساعة الرابعة من عصر يوم الاثنين 10 شباط 1908م [2]، واثار نبأ وفاته حزناً كبيراً لدى الشعب المصري. وشيع جثمانه في مشهد تجلت فيه الروح الوطنية في اجمل مظاهرها.

وبالرغم من منع الطلبة من الاشتراك في عملية التشييع، الا انهم تركوا دروسهم لتشييع الجنازة خلافاً لاوامر مدرسيهم ومدرائهم. ويفسر احد الاجانب الذين كتبوا عن تاريخ مصر سبب ذلك بأن مصطفى كامل كان يتمتع بنفوذ كبير بين الطلبة، وانه كان يشجعهم على اتخاذ قرارات بانفسهم حتى ولوكان ذلك يعني عدم اطاعة مدرسيهم [3].

ب- الحزب الوطني ابان زعامة محمد فريد بك المحامي

1- طبيعة النضال ضد الاحتلال

بعد وفاة مصطفى كامل برز محمد فريد ابرز شخصية لتولي زعامة الحزب الوطني، والحق ان محمد فريد كان يعد من اكثر رجال الحزب ميلاً الى الشدة. ولاشك انه شكل بذلك خطراً على الاحتلال البريطاني وعلى الخديوي، وازدادت خطورته عليهما بعد تحول الحزب الى النشاط العلني اواخر حياة مصطفى كامل.

وما ان انتهت فترة الحداد حتى شرع محمد فريد بأتمام تنظيم الحزب الذي اخره مرض ووفاة مصطفى كامل، ويلاحظ ان النظام الداخلي الجديد للحزب لم يصدر الا في 26 اذار 1909م. وذلك في اعقاب موافقة الجمعية العمومية للحزب على اقتراح محمد فريد لوضع قانون جديد للحزب الوطني يراعي فيه ما احرزه الحزب من القوة والانتشار،

---

(1) Weigall, Op. Cit, P.P. 206-209.

(2) الرافعي، مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية، ص272.

(3) لاندو، المصدر السابق، ص125.

واستهدف النظام الداخلي الجديد وضع هيكل تنظيمي يجسد نشاط الحزب فأنشأت لهذا الغرض لجان خاصة عديدة كان من ابرزها (اللجنة الخطابية) التي تألفت من خمسة اعضاء من بينهم رئيس الحزب تتولى مهمة اقرار الخطب التي تلقى بأسم الحزب، و (اللجنة السياسية) التي تكونت من عشرة اعضاء عدا الرئيس وكلفت بالنظر في جميع الامور الخاصة بسياسة الحزب. ثم اللجان الفرعية التي ضمت كل منها عشرة اعضاء ينتخبون لمدة ثلاث سنوات عن طريق الانتخاب السري على أن يقوموا سراً ايضاً بأنتخاب رئيس ووكيل وسكرتير وامين صندوق لكل لجنة، وحظر على اللجان الاخيرة الاتصال بأية جهة كانت في الامور السياسية إلا بعد أخذ رأي رئاسة الحزب مع السماح لها فقط بنشر مبادئ الحزب في كل انحاء مصر [1].

ويرى الباحث ان تلك اللجان الفرعية بالرغم من صفتها العلنية الا انها كانت بمثابة تنظيمات سرية للحزب تتولى تنفيذ الاوامر التي تتلقاها من قيادة الحزب للاتصال بالجمعيات الفرعية التابعة للحزب في الاقاليم.

كان محصلة هذا التغيير الذي قام به محمد فريد ان امتلأت مصر بالجمعيات السرية، فأنتشرت الجمعيات السرية في مصر بل وبين الطلبة المصريين في اوربا الذين افادوا في دعم التنظيمات السرية في مصر بعد عودتهم اليها. وكان من ابرز هؤلاء ابراهيم ناصف الورداني الذي كان له صلات وثيقة بمحمد فريد الذي امتاز بروح وطنية عالية ساعدته على تحمل اعباء اخطر الجمعيات السرية للحزب الوطني، وهي (جمعية التضامن الاخوي) التي كانت بحق مرآة عكست اسلوب العنف في الحزب الوطني الذي كان يقف على قمته محمد فريد وعبد العزيز جاويش [2]. وهكذا لعبت الجمعية الاخيرة دوراً كبيراً ليس في حياة الحزب الوطني فحسب، وانما ايضاً في حياة مصر، وتجلى ذلك في

---

(1) الصغير، المصدر السابق، ص64.

(2) المصدر نفسه، ص67.

حادثة اغتيال رئيس الوزراء المصري بطرس غالي فيما بعد. ومما لاشك فيه ان قيادة الحزب كان لها اليد الطولى وراء نشاط هذه الجمعية نظراً للصلات الوثيقة بينهما.

واذا اعتبرنا جمعية التضامن الاخوي هي اخطرالجمعيات السرية للحزب الوطني، الا ان ذلك لا يجعلنا نغفل بقية الجمعيات السرية وشبه السرية التي وصفها مستشار الداخلية جيثام (Cheetham) بقوله: "**ان عددها كبيراً جداً وان اعضاءها في الغالب مجندون من طبقة واحدة هي طبقة الطلبة**". هذا الى جانب مالها من "**العلاقات المخلصة**" التي تربطها مع "**اعضاء الحزب الوطني وعلى الاخص الشيخ جاويش**"[1].

وكان اغلب تلك الجمعيات ان لم يكن جميعها قد قامت بناء على اوامر من الحزب الوطني، خاصة وانه صدر تقرير عن خطة الحزب بخصوص ادارة التعليم العام غير الحكومي جاء فيه: "**ان الطلبة من كلتا المدارس الحكومية والخاصة كانوا يتلقون التوجيهات من الحزب لتشكيل جمعيات تحت اسماء وهمية ضمت زملاءهم من الطلبة واصدقاءهم**"[2].

ومن الملاحظ ان تلك الجمعيات التي انضوت تحت راية الحزب الوطني قد حملت اسماء ذات صبغة وطنية او اجتماعية او دينية. وعلى كل حال فانها كانت جميعها سياسية بالدرجة الاولى، وكان من اهمها:

1- (جمعية التعاون) الي تأسست عام 1908م برئاسة حسين تيمور رئيس اللجنة الفرعية للحزب الوطني بالعباسية الذي كانت تربطه مع الورداني صلة الجيرة والصداقة الى جانب كون الورداني وكيلاً للجنة الفرعية بالعباسية.

---

(1) PRO.FO 407/176: No. 9, Mr. Cheetham to Sir Edward Grey. Cairo, June 30, 1911.

(2) PRO.FO 407/176: ENC. 2 in No. 9, Report Respecting Secret Societies, P. 2.

2- (جمعية الرابطة الاخوية) التي تأسست عام 1908م، وكان من بين اعضائها الدكتور وجيه راشد الذي وصف بانه من المتطرفين المعروفين جيداً، وانخرط الطلبة في صفوفها بشكل ملحوظ.

3- (جمعية الاخلاص الوطنية) التي تأسست قبيل عام 1909م، وهي جمعية سياسية وصفت بأنها ذات مبادئ متطرفة وكانت تعقد اجتماعاتها في منزل رئيسها محمود عزى، وكان يتم فيها مناقشة ماهية اساليب العنف التي تكفل الحصول على الدستور.

4- (جمعية الحياة) تأسست هذه الجمعية في اواخر عام 1908م برئاسة خليل مدكور، ونائبه محمد ابو الفتح وامين الصندوق علي احمد شكري. وكانت اجتماعاتها تتم في منازل الاعضاء الذين غالبيتهم من طلبة المدارس الحكومية العليا.

5- (جمعية الاتحاد) كرست هذه الجمعية للاعمال السياسية وفقاً لمبادئ الحزب الوطني وتشكلت من الطلبة برئاسة توفيق انور الطالب بالمدرسة التوفيقية.

6- (جمعية اتحاد الاديان) ويترأسها عبد الجليل سعد وتولى سكرتاريتها حافظ نديم، وعثمان طلعت صبور اميناً للصندق (وهو سكرتير اللجنة الفرعية للحزب الوطني بالعباسية).

7- (جمعية الاتحاد الازهري) برئاسة الشيخ فهيم قنديل، ونائبه الشيخ عبد السلام المليجي، وسكرتيرها الشيخ توفيق الازهري. وكان من اهم اهدافها حماية حقوق الطلبة الازهريين، فضلا عن ان هذه الجمعية كانت على علاقات وثيقة وودية مع الشيخ عبد العزيز جاويش.

8- (جمعية الاصلاح الازهري) برئاسة الشيخ علي احمد الجرجاوي والذي عرف بانه ثائر وداعية لافكار الحزب الوطني بين الازهريين، واشتهر نائبه الشيخ مسعود فراج بخطبه السياسية الحماسية خلال التظاهرات التي ينظمها الحزب الوطني.

9- (جمعية الاتحاد المصرية) يترأسها عبد الحميد احمد، وهو من خريجي المدارس الحكومية وسكرتيرها عيد القادر حسن ألطالب بالمدرسة التوفيقية.

10- (جمعية أحياء الشعائر الدينية) كانت تعرف احياناً بأسم (جمعية ترقية السكان)، وتعاقب على رئاستها كل من عبد الحليم محمود الغمراوي ألطالب بالمدرسة التوفيقية، ثم محمد على كرد علي مدير المدرسة العثمانية بمنطقة الدرب الاحمر فكانت أجتماعاتها تتم في المدرسة الاخيرة وعنيت بألقاء المحاضرات السياسية وتشجيع التعليم وفق مبادئ الحزب الوطني.

11- (جمعية الرقي الاسلامي) ترأسها محمد سعد الله مدير مدرسة نجم الترقي الاسلامي، وهو تركي الاصل، اما سكرتيرها فكان محمد الغنيمي التفتزاني التونسي الاصل الذي عرف بخطاباته الشديدة ضد البريطانيين، وكان هدف الجمعية القاء المواعظ التي تتفق مع مبادئ الحزب الوطني.

12- (جمعية المجاهدين) تأسست هذه الجمعية من قبل الدكتور محمد عبد الحي، ومحمد جلال صادق وغيرهما من اعضاء الحزب الوطني لتوحيد الجمعيات السرية.

13- (جمعية اخوان الصفاء) يدين اعضاء هذه الجمعية بالولاء لمحمد فريد، وكانت على يقين بأن الاحتجاجات الكلامية لا تحرر أمة واكدت لزعيم الحزب "**أنه لا يكفي لإنهاض أمة وانتشالها من براثن احتلال شديد في محالة...شقشقة اللسان واتساع الحلقوم**" بل لابد من الجهاد الفعلي [1].

على كل حال، كانت الجمعيات الانفة الذكر هي نتاج الحزب الوطني خلال عامي 1908 و 1909، وكان هناك المزيد من هذه الجمعيات تعذر علينا معرفتها خاصة تلك التي تأسست في الاقاليم حيث حرص محمد فريد على نشر الجمعيات في كل ربوع مصر والتي كان معظمها يقتصر على المصريين ولو انها سمحت بأنخراط عدد قليل من غير المصريين

(1) الصغير، المصدر السابق، ص ص 81 – 83.

جعلها تتوجس خيفة من حدوث ذلك لما عرف عنه من ميول واضحة في كراهية البريطانيين وبما عهد عنه من هجوم مرير على الاحتلال مما يلحق في النهاية تأثيراً سلبياً على مصر (1).

وقام محمد فريد بالفعل بزيارة الى استانبول في نيسان من العام نفسه. واذا كان عبد العزيز جاويش قد اجرى اتصالات مع المسؤولين العثمانيين في مجال التعليم فقد تم ذلك في اطار جهود الحزب الوطني لفتح المدارس العثمانية امام الطلبة المصريين الذين ابعدوا من المدارس الحكومية المصرية من جهة، ولفتح المدارس الحربية العثمانية امام الطلبة المصريين حتى يتمكن الحزب من تجنيدهم بعد ذلك لخدمة القضية المصرية من جهة اخرى (2).

سافر محمد فريد الى استانبول، ومن غريب الصدف انه في اليوم التالي لوصوله الى هناك حدثت احداث خطيرة انتهت بخلع السلطان عبد الحميد الثاني بعد حكم دام ثلاثة وثلاثين عاماً. مكث محمد فريد زهاء الثلاثة اسابيع في استانبول وأعلن على أثرها رغبته في توثيق العلاقات التي تربط الحركة الوطنية المصرية بالدولة العثمانية، ومن المحتمل ان هذه الزيارة تمخضت عن اتفاق سري بوقوف الدولة العثمانية بجانب الحركة الوطنية التي يقودها الحزب الوطني وتكوين منظمة سرية مشتركة لمواجهة الاحتلال البريطاني. كما أثمرت مباحثات محمد فريد مع القادة الاتحاديين في فتح ابواب المدارس العثمانية أمام الشباب المصري دون قيد أو شرط. وتأسست لهذا الغرض (لجنة الارساليات العلمية) برئاسة حسين تيمور وعضوية كل من ابراهيم ناصف الورداني، والدكتور حافظ عفيفي، وحسين حسيب وكان الاخير قد اختاره الورداني ليكون مندوباً للجنة الارساليات في

(1)PRO.FO 407/174: NO. 6, Sir Gorst to Sir Edward Grey. Cairo, Fedruary 1, 1909.

(2) الصغير، المصدر السابق، ص144.

استانبول، وتم الاعلان عن مهمة اللجنة وهي تسهيل امور السفر للطلبة المصريين وتوفير سبل راحتهم ومعيشتهم في استانبول [1].

وكان من الطبيعي ألا يقتصر أمر التقارب بين الطرفين على مسألة التعليم، بل تعداه الى تنسيق العمل بينهما سراً وعلى الأخص في موضوع مقاومة الاحتلال الذي شجعه رجال الاتحاد والترقي.

فلا غرابة ان تاسست جمعية سرية في مصر بجهود مشتركة بين الحزب الوطني وجمعية الاتحاد والترقي فقد اوفدت الاخيرة (محمد توفيق) كي يقوم بمهمة تأسيس تلك الجمعية بالتعاون مع محمد فريد وتعهد الاخير بتحمله شخصياً لنفقات سفر ذلك المندوب واقامته. ومن الملاحظ أن محمد توفيق أختير لتولي تحرير صحيفة عثمانية تسمى (شوراي آمت) أسسها محمد فريد في استانبول، امتلأت بمقالات تندد بالخديوي وتشيد بالحزب الوطني. وفوض محمد فريد مندوباً عنه يدعى (محمد صفا) ليكون حلقة الوصل بينه وبين جمعية الاتحاد والترقي. والمعروف أن محمد صفا كان قد اسس في استانبول صحيفة اخرى للحزب الوطني سميت (العدل) أتسمت هي الاخرى بمهاجمة الخديوي والاحتلال [2].

قرر محمد فريد السفر مرة ثانية الى استانبول على رأس وفد من الحزب الوطني لحضور عيد الدستور العثماني في 23 تموز 1909 م. واستقبل محمد فريد والوفد المرافق له بحفاوة كبيرة. ودعي محمد فريد واثنان من اعضاء وفده الى وليمة أقامها الاتحاديون، وحينما علم الخديوي عباس الثاني بأمر دعوة محمد فريد للوليمة اعتذر عن حضورها. فما كان من زعيم الحزب الوطني إلا أن تجاهل وجود الخديوي اثناء حضوره العرض العسكري الذي اقيم في ساحة الحرية في استانبول فأمتعض الخديوي لذلك وأرسل الى محمد فريد وكيله (يوسف صديق) الذي عاتبه لعدم زيارته للخديوي خلال وجوده في

(1) المصدر نفسه، ص ص144-146.

(2) الصغير، المصدر السابق، ص ص146-147.

استانبول مع أنه حاكم مصر. وقد حرص قائد الحزب الوطني على أن يدلي بتصريحات مثيرة قبل عودته لمصر أعرب عن ثقته في مساعدة الاتحاديين لمصر، وانتصار الاخيرة على الاحتلال البريطاني [1].

أثارت تصريحات محمد فريد انتباه الخارجية البريطانية وأن لم تتأكد من نوع التقارب الذي حدث بين الطرفين، الا أنها تأكدت من نوايا الحزب الوطني التي اعلنها في استانبول بطرد البريطانيين من مصر بقوة الشباب المصري وبمساعدة الاتحاديين لهم [2].

وكان من البديهي أن تثير تلك التصريحات أيضاً انتباه الوكالة البريطانية في مصر لاسيما بعد سماعها بأنباء الاتصالات التي جرت فجأة بين الحزب الوطني والاتحاديين. وتكهنت الوكالة بأن تلك الاتصالات كانت مطلقة الحدود. كما اثارت الاتصالات ذاتها قلق بطرس غالي رئيس الوزراء المصري الذي اعتبرها مساعدة مكشوفة للحزب الوطني [3].

---

(1) المصدر نفسه، ص ص148-149.

(2)PRO.FO 407/174: No. 109, Sir G. Lowther to Sir Edward Grey. Therapia, July 21, 1909.

(3)PRO.FO 407/174: No. 132, Mr. Graham to Sir Edward Grey. Cairo, Ramleh, August 21,1909.

ظلت مشاعر القلق تساور الخارجية البريطانية طيلة عام 1909م وكانت تترقب تصريحات رجال الحزب الوطني حتى يمكنها كشف طبيعة التقارب الذي تم بينه وبين رجال الاتحاد والترقي. وأخذت تتأرجح بين الشك واليقين مما حدا بوزير الخارجية البريطاني **ادوارد جري** (Edward Grey)(*) الى ابلاغ الوكالة البريطانية في مصر بأنه اذا ما تحقق تلقي الحزب الوطني توكيدات بتعاطف وتأييد من القادة السياسيين في الدولة العثمانية "**يكون الامر مناسباً**"[1].

ومع ان الوزير الانف الذكر لم يفصح عن طبيعة الاجراء الذي سوف يتخذه في الوقت المناسب إلا انه لم يستبعد فكرة اقدام بريطانيا على اعلان الحماية على مصر ظناً منه ان هذه الخطوة سوف تقضي على الامل الباقي للحزب الوطني للحصول على اية مساعدة من خارج حدود مصر[2].

ولكن بريطانيا تريثت قليلاً قبل الاقدام على الخطوة النهائية، وانتظرت نتيجة تحذير الصدر الاعظم العثماني (حسين حلمي) لمحمد فريد الذي حرص على ان لا يعقد الموقف[3]. ويبدو ان الضغط البريطاني قد امتد اثره الى الدولة العثمانية حتى اضطرت الاخيرة الى تغيير سياستها ازاء الحزب الوطني، ولو وقتياً، وعدم اثارة استياء الخديوي أو ممثل بريطانيا في مصر[4].

(*) ادوارد جري (1862-1933م): سياسي بريطاني شهير، تقلد منصب عضو في البرلمان عن حزب الاحرار عام 1885م، وبقى في هذا المنصب لمدة 31 عاما، شغل منصب وزير الخارجية البريطانية من كانون الاول 1905م حتى ايار 1916م. الجنابي، المصدر السابق، ص137.

(1) PRO.FO 407/174: No. 136, Sir Edward Grey to Mr. Graham. Foreign Office, September 10, 1909.

(2) الصغير، المصدر السابق، ص150.

(3) PRO.FO 407/174: No.146 , Sir G. Lowther to Sir Edward Grey. Constantinople, September 7,1909 .

(4) PRO.FO 407/174: No.150 , Sir G. Lowther to Sir Edward Grey. Therapia, September 9 ,1909.

ومن الملاحظ ان القادة الاتحاديين لعبوا دوراً دبلوماسياً بتصريحاتهم التي حاولوا فيها تبرئة أنفسهم من وجود علاقات لهم مع الحزب الوطني لكي لا يصطدموا بقوة عظمى مثل بريطانيا.

3- موقف اللورد كتشنر من الحزب الوطني.

كان جورست قد توفي في تموز 1911 م بعد عهد امتلأ بالاضطرابات التي لم يشهد الاحتلال البريطاني لمصر مثيلاً لها من قبل. ولا شك ان بريطانيا شعرت بأنها مقدمة على مرحلة خطيرة تكاد تهدد وجودها في مصر، ولذلك كان عليها ان تبحث عن شخصية قوية تستطيع ان توفر لها الهدوء والسكينة داخل مصر بشتى الوسائل، فوقع اختيارها على اللورد كتشنر.

كان لابد لكتشنر مواصلة الحملة التي بدأها جورست ضد الحزب الوطني فعمل على اسكات صحافته الواحدة بعد الاخرى، فأمر بتعطيل صحيفة (العلم) مدة ثلاثة شهور لهجومها على الحكومة وخشية ان يؤدي استمرار صدورها الى نشوب الاضطرابات والقلاقل [1].

وكان من الطبيعي أن يسترعي انتباه كتشنر نشاط الطلبة المصريين في أوربا خصوصاً وان سلفه استطاع لحد كبير قبل وفاته الحد من نشاط الطلبة في داخل مصر. وأول ما أقلق بال كتشنر الطلبة المصريين الذين يدرسون في بريطانيا البالغ عددهم في عام 1911م حوالي (200) طالباً كرسوا أنفسهم للمسائل السياسية، وبالذات بعد ان نادوا في اجتماعاتهم بوجوب القيام بثورة في مصر عن طريق الجمعيات السرية بنفس الطريقة التي قامت بها جمعية الاتحاد والترقي بالثورة ضد السلطان عبد الحميد الثاني. كما بحثوا أيضاً في اجتماعاتهم امكانية ادخال الاسلحة الى مصر عن طريق التهريب. ولذلك أعرب

(1) PRO.FO 407/178:No. 2,Kitchener to Sir Edward Grey. Cairo,Decmber29,1911

كتشنر عن قلقه لوزير خارجيته، بل وتخوفه، من اقدام البعض من الطلبة ممن يتسمون بالجرأة بتقليد ماقام به الحزب الوطني من قبل باغتيال بطرس غالي على يد الورداني [1].

سافر محمد فريد الى اوربا في نفس الوقت الذي حدث فيه عدوان ايطاليا على طرابلس الغرب [*] (ليبيا)، الذي أثار محمد فريد كثيراً وطالب بضرورة المقاومة المسلحة لمواجهة هذا العدوان. كما شدد على ضرورة مقاطعة الشرقيين لايطاليا رداً على عدوانها على ليبيا. وفي الحق شغلت الحرب الطرابلسية الحزب الوطني كثيراً، واندهش كتشنر امام الحماسة الكبيرة التي ابداها المصريون انتصاراً لابناء جلدتهم في ليبيا، مما جعل "**هيجان الخواطر في بر مصر شاملاً وشديداً**" على حد اعترافه [2].

لقد وقفت التنظيمات السرية في الحزب الوطني بالرغم من تضييق الخناق عليها موقفاً ايجابياً لمساعدة اهالي ليبيا في حربهم ضد الاحتلال الايطالي، فتألفت من (جمعية التضامن الاخوي) لجنة عليا لتقديم العون المالي لأهالي ليبيا. فبلغ ما جمعته اللجنة ثلاثة ارباع المليون من الجنيهات المصرية. ولم يقتصر الأمر على مجرد الاعانة المالية وانما قامت الجمعية أيضاً بتسهيل عبور الضباط العثمانيين الذين قدموا من استانبول للاسكندرية لايصالهم الى ليبيا عبر الصحراء نظراً لممانعة بريطانيا رسمياً ذلك، كما اوصلت الجمعية الاسلحة المطلوبة الى ليبيا، وكان للشيخ عبد العزيز جاويش دوراً كبيراً فتولى بنفسه قيادة تلك المهمة [3].

لم يمكث محمد فريد في جولته بأوربا فترة طويلة حيث انه اكمل زيارة الى كل من المانيا والنمسا ـ والمجر والدولة العثمانية في اقل من شهر ونصف الشهر.

---

(1) PRO.FO 407/177:No.562 ,Kitchener to Sir Edward Grey. Cairo, November 14,1911.

(*) للمزيد من المعلومات عن الحرب الايطالية ـ الليبية، ينظر: محمد مصطفى بازامة، بداية المأساة والتمهيد السياسي للاحتلال الايطالي، المطبعة الاهلية، (بنغازي، 1961) ؛ صلاح العقاد، ليبيا المعاصرة، معهد البحوث والدراسات العربية، (القاهرة، 1970).

(2) الصغير، المصدر السابق، ص ص 230-231.

(3) المصدر نفسه، ص231.

في قضية الحزب الوطني، واتهم محمد زكي الابراشي وكيل النيابة العمومية محمد فريد بشنه هجوما شديداً ضد الحكومة متهماً أياها بالتهم الفظيعة بينما لايوجد في خطبته قليلاً من الود للحكومة مستشهداً بقول محمد فريد "**لادواء إلابالدستور**"، وانه بذلك يريد قلب نظام الحكم رأساً على عقب، وادانت النيابة محمد فريد بأنه يضمر الشر بالحكومة. وحكمت عليه غيابياً بالسجن لمد ة سنة واحدة مع الشغل، وبالحبس ثلاثة اشهر على كل من مديري (العلم) و (اللواء)[1].

لقد ظل الحزب الوطني متشبثاً بشعاره "**لامفاوضة إلا بعد الجلاء**" طيلة زعامات مصطفى كامل ومحمد فريد وحافظ رمضان وفتحي رضوان التي استغرقت ما يقرب من نصف قرن من الحياة السياسية المصرية.

(1) الصغير، المصدر السابق، ص ص 235-236 ؛ شفيق باشا، المصدر السابق، ج2، ص 268.

الخاتمة

غدت مصر ومنذ وقت مبكر موضع اهتمام الدول الاستعمارية الاوربية، نظرا لاهمية موقعها الاستراتيجي في قلب الوطن العربي وفي شمال افريقيا، فضلا عن ثرواتها الاقتصادية الكبيرة.. مما جعلها محطة صراع بين هذه الدول للاستحواذ عليها والتحكم بمقدراتها ولاسيما بين الدولتين الاستعماريتين الكبريين انذاك وهما فرنسا وبريطانيا. بدءا بالغزو الفرنسي عام 1798م وانتهاءً بالاحتلال البريطاني ولاسيما بعد تزايد اهمية مصر عقب افتتاح قناة السويس عام 1869م وجوبه الاحتلال الاخير بمقاومة الشعب العربي في مصر من اجل التحرر والاستقلال الوطني الذي عبرت عنه الحركة الوطنية المصرية التي كانت نتاج عوامل متراكمة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية نجمت عن مرحلة الكفاح الوطني ضد الاحتلال البريطاني وتحت تأثير مقاومته، فضلا عما اقتضته سنة التطور وما تمتلكه مصر من ارث حضاري وفكري وخزين متراكم من الخبرات الثقافية التي سهلت عملية تكوين الجبهات الوطنية واخرجتها الى حيز الواقع.

كان من نتائج سيطرة الادارة البريطانية في مصر على مؤسسات البلاد، ولادة شعور وطني من صميم ابناء مصر يدعو الى التخلص من براثن الادارة الاستعمارية التعسفية من جهة، ومنح الشعب العربي المصري حق ادارة مقدراته من جهة اخرى.

وقد ادى ذلك الى ظهور قيادات فكرية وسياسية ودينية عملت على بث الشعور الوطني والقومي واستنهاض الهمم وتنوير الاذهان، معلنة عن رفضها لاستبداد الاسرة الخديوية الحاكمة، فضلا عن التصدي لسلطات الاحتلال البريطاني كان في مقدمتهم الشيخ محمد عبده، كانت باكورتها الثورة العرابية وما تلاها من احداث وتطورات ولاسيما في اتفاقيات الدول الاستعمارية على تقاسم النفوذ كما هو الحال في الاتفاق الذي تم بين بريطانيا وفرنسا عام 1904 وحادثة دنشواي عام 1906، وظهور نخبة وطنية شابة ومثقفة قادت الحركة الوطنية تمثلت بمصطفى كامل ومحمد فريد بك المحامي واخرون.

اتسمت الحركة الوطنية المصرية منذ الاحتلال البريطاني وحتى مطلع القرن العشرين بطابعها الدعائي والاعلامي ولاسيما النشاط الصحفي، اذ ظهر العديد من الصحفيين المصريين الوطنيين الداعين لنصرة قضية بلدهم، ولم تقتصر جهودهم على ما كانوا يطرحونه من افكار وتطلعات وطنية وما اشتملت عليه من آراء جريئة منددة بالاحتلال وبالاستبداد بل كانوا يدعون الى التخلي عن النمط القديم والاساليب الغير مجدية التي كان قد درج عليها المجتمع المصري وباتت تعيق حركته وتطوره الحضاري والدعوة الى الاخذ باسباب العلم والتقدم اسوة بالمجتمعات الغربية، ليكون الوعي المصري بمستوى التحدي القائم على ارض الواقع، وادى ذلك الى تأسيس العديد من الاحزاب والجمعيات والاندية العلمية والادبية والثقافية والخيرية.. ذات الميول السياسية الوطنية التي شكلت الارضية الحقيقية لحركة المقاومة الوطنية وفي مقدمتها الحزب الوطني الذي اسسه مصطفى كامل عام 1907م، والذي حمل لواء المعارضة ضد الاحتلال، وانضواء العديد من الجمعيات - وابرزها جمعية التضامن الاخوي – تحت لوائه. وانتشار هذه الجمعيات في معظم انحاء مصر لتنظيم الحركة الوطنية فيها.

لقد اتسمت السياسة البريطانية تجاه الحركة الوطنية وتطلعاتها المشروعة في التحرر والاستقلال الوطني الناجز بالرفض والمعاداة لانها تقف بالضد من مصالحها واطماعها بل انها حاولت احيانا احتواءها بهدف اضعافها مستخدمة في ذلك كل السبل والحيل المتاحة لها، دون مراعاة لكل القيم والاعراف والقوانين والشرائع.. محاولة الصاق التهم الباطلة بحق رموزها وقادتها، في محاولة يائسة لثنيهم والعدول عن مطالبهم المشروعة التي هي مطالب الشعب. وتعطيل انشطتهم الدعائية ولاسيما الصحافة الوطنية.

المصادر

* أولاً : الوثائق

أ- الوثائق الغير منشورة

1- الوثائق البريطانية

- Public Record Office – London:

- P.R.O., F.O. 407/176, No. 6, Sir Gorst to Sir Edward Grey. Cairo, February 1, 1909.
- P.R.O., F.O. 407/174, No. 109, Sir G. lowther to Sir Wdward Grey. Therapia, July 21, 1909.
- P.R.O., F.O. 407/174, No. 132, Sir Graham to Sir Edward Grey. Cairo, Ramleh, August 21, 1909.
- P.R.O., F.O. 407/174, No. 146, Sir G. lowther to Sir Edward Grey. Constantinople, September 7, 1909.
- P.R.O., F.O. 407/174, No. 150, Sir G. lowther to Sir Edward Grey. Therapia, September 9, 1909.
- P.R.O., F.O. 407/174, No. 136, Sir Edward Grey to Mr. Graham. Foreign Office, September 10, 1909.
- P.R.O., F.O. 407/174, No. 9, Mr. Cheetham to Sir Edward Grey. Cairo, June 30, 1911.
- P.R.O., F.O. 407/176, Enc. 2 in No. 9, Report respecting secret Societies, P. 2.
- P.R.O., F.O. 407/177, No. 562, Kitchener to Sir Edward Grey. Cairo, November 14, 1911.
- P.R.O., F.O. 407/178, No. 2, Kitchener to Sir Edward Grey. Cairo, December 29, 1911.
- P.R.O., F.O. 407/178, No. 125, Vicount Kitchener to Sir Edward Grey. Cairo, March 25, 1912.

- (Foreign Office)

Report by her Majesty's Agent and Consul – General on the Finance, Administration, and Condition of Egypt and the Soudan.

- F.O. 633/7. Lord Cromer to the Earl of Rosebery. Cairo, January 13, 1893.
- F.O. 633/7. Lord Cromer to the Marquess of the Salisbury. Cairo, October 6, 1898.
- F.O. 633/7. Viscount Cromer to the Marquess of Salisbury. Cairo, Februray 20, 1900.

- F.O. 633/7. The Earl of Cromer to the Marquess of Lansdowne. Cairo, February 26, 1903.
- F.O. 633/7. The Earl of Cromer to Marquess of Lansdowne. Cairo, March 15, 1905.
- F.O. 141/404. Findlay to Grey. Cairo, June 27, 1906.

2- الوثائق العربية

اولاً: الارشيف الاوربي

- مذكرة من دي ليسبس الى وزارة التجارة والاشغال العامة في 26 كانون الاول 1858. الارشيف الاوربي، ملف رقم (2)، محفظة رقم (15)، دار الوثائق القومية، القاهرة، مصر.
- مذكرة من سفراء الدول الاوربية الى الخديوي اسماعيل في 26 حزيران 1879. الارشيف الأوربي، وثيقة رقم (12)، ملف رقم (7)، محفظة رقم (19)، دار الوثائق القومية، القاهرة، مصر.

ثانياً: محافظ مجلس الوزراء.

- صندوق الدين. محافظ مجلس الوزراء، تسلسل 6/ أ، محفظة رقم (227)، دار الوثائق القومية، القاهرة، مصر.
- المجلس الاعلى للمالية. محافظ مجلس الوزراء، وثيقة رقم (1)، ملف رقم (5)، محفظة رقم (38)، ج7، دار الوثائق القومية، القاهرة، مصر.
- محاكم مختلطة. محافظ مجلس الوزراء، وثيقة رقم (1)، ملف رقم (29/ 30)، محفظة رقم (39)، ج5، دار الوثائق القومية، القاهرة، مصر.

ب- الوثائق المنشورة

1- الوثائق البريطانية

محاضر جلسات مجلس العموم البريطاني.

- Handsard's Parliamentary Debates, Second Series, Vol. 150, 1 June 1858, London.

2- الوثائق الفرنسية

- Rapport De Lord Cromer Sur L'Egypt et le Soudan.

- Le Comte de Cromer a Sir Edward Gray. Ciare, le 3 Mars 1907.

3- الوثائق العربية

- تقرير اللورد كرومر عن احوال مصر سنة 1900، مجلة المقتطف، ((مصر))، ج5، مج26، ايار 1901.
- وثائق اعمال مؤتمر الحزب الوطني المنعقد في بروكسل عام 1910، مجلة الطليعة، ((مصر))، ع4، س5، نيسان 1969.
- وثائق اعمال مؤتمر الحزب الوطني المنعقد في بروكسل عام 1910، مجلة الطليعة، ((مصر))، ع5، س5، ايار 1969.
- وثائق تأريخية عن الثورة العرابية، محاضر التحقيقات مع الشيخ محمد عبده واحمد "بك" رفعت، مجلة الطليعة، ((مصر))، ع11، س 2، 1966.

4- الوثائق المتاحة على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www.moqatel.com.

- المذكرة المشتركة في 7 يناير سنة 1882.
- المذكرة المشتركة في 6 فبراير سنة 1882.
- المذكرة المشتركة في 25 مايو سنة 1882.
- رد الوزارة المصرية في 26 مايو سنة 1882.
- مؤتمر الاستانة في 23 يونيه 1882.
- كتاب نائب القنصل البريطاني الى رئيس مجلس الوزراء بقطع العلاقات بين مصر وبريطانيا.
- اعلان قائد الحملة الانجليزية الجنرال ولسلي بأمر الحضرة الخديوية الى المصريين في 19 اغسطس 1882.

5- الكتب الوثائقية

أ- الكتب الوثائقية المنشورة باللغة الانكليزية

J.C. Hurewtiz, Diplomacy in the Near and Middle East: A documentary Record 1535-1914, Vol. 1, (New York, 1956).

ب- الكتب الوثائقية المنشورة باللغة التركية

Resat Ekrem, Osmanli Muahedeleri Ve Kapitulasiyonlar 1300-1920 (Istanbul, 1934).

جـ- الكتب الوثائقية المنشورة باللغة العربية

- مقالات قصر الدوبارة، جمع عبد الله حسين وصالح شكري، مطبعة المؤيد، (مصر، 1907).
- مركز الوثائق والبحوث التاريخية لمصر المعاصرة، 50 عاماً على ثورة 1919، مؤسسة الاهرام، (مصر، د.ت).
- مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، النظارات والوزارات المصرية منذ انشاء اول هيئة نظارة في 28 اغسطس 1878 حتى قيام الجمهورية في 18 يونيه 1953، ط2، ج1، جمع وترتيب فؤاد كرم، الهيئة المصرية للكتاب، (مصر، 1994).

ثانيا: المذكرات

أ- المذكرات المنشورة باللغة العربية

- السلطان عبد الحميد الثاني.

- مذكراتي السياسية 1891-1908، ط2، مؤسسة الرسالة، (بيروت، 1979).

- السيد باشا، احمد لطفي.

- صفحات مطوية من تاريخ الحركة الاستقلالية في مصر، (مصر، 1946).

- شفيق باشا، احمد

- مذكراتي في نصف قرن، ج2، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر، 1998).

- عرابي، احمد.

- مذكرات عرابي ((كشف الستار عن سر الاسرار في النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية في عامي 1298-1299 الهجريتين، وفي 1881-1882 الميلاديتين))، ج1، (د.م، د.ت).

- مذكرات الامام محمد عبده، عرض وتحقيق وتعليق طاهر الطناحي، دار الهلال، (مصر، 1961).
- هيكل، محمد حسين.

- مذكرات في السياسة المصرية، ج1، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1951).

ب- المذكرات المنشورة باللغة التركية

- Sultan Abdul Hamid
- Siyasi Hatiratim, (Istanbul, 1975).

ثالثا: الاطاريح والرسائل الجامعية

أ- اطاريح الدكتوراه

- الجبوري، جدعان علي صالح سرحان
- مجلة الهلال المصرية 1892-1992 ((دراسة تاريخية))، اطروحة دكتوراه غير منشورة قدمت الى كلية التربية – جامعة الموصل، 2002م.
- الصياد، سامي صالح محمد
- الصراع البريطاني – الفرنسي على مشروع قناة السويس 1854-1869، اطروحة دكتوراه غير منشورة قدمت الى كلية الاداب – جامعة بغداد، 2006م.
- العبيدي، صلاح عربي عباس
- الدور الاقتصادي للبرجوازيين الوطنيين في المشرق العربي حتى ستينيات القرن العشرين.. محمد طلعت حرب.. نوري فتاح باشا.. عبد الحميد شومان.. نموذجاً، اطروحة دكتوراه غير منشورة قدمت الى كلية التربية – جامعة الموصل، 2004م.
- عوان، سهيلة شندي
- وليم غلادستون والقضية الايرلندية 1868-1894، اطروحة دكتوراه غير منشورة قدمت الى كلية الاداب – جامعة بغداد، 2005م.

ب- رسائل الماجستير

- التكريتي، نصير خيرالله محمد جاسم
- التغلغل الاجني في مصر 1863-1879م، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية التربية – جامعة تكريت، 2005م.
- الجبوري، احمد عبد الله محمد

- الفكر السياسي في مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الاولى 1850-1914، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا – بغداد، 2001م.

- • الجراح، صباح حسين اعقاب
- املاك السنية في العراق 1876-1909م – دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الاداب – جامعة الموصل، 2000م.

- • الجنابي، ساري عبد الله شبيب
- اللورد كرومر ودوره السياسي في مصر، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية التربية – جامعة تكريت، 2007م.

- • حنا، اطلال سالم
- مصر في سنوات الاحتلال الفرنسي 1798-1801م، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية التربية – جامعة الموصل، 2007م.

- • الساعدي، زينب خالد حسين
- عزيز علي المصري والحركة القومية العربية، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية التربية للبنات – جامعة بغداد، 2004م.

- • سلمان، حيدر صبري شاكر
- الاوضاع الاقتصادية في مصر (1840-1879)- دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية التربية – الجامعة المستنصرية 2002م.

- • الشيخلي، عدنان حسين رشيد
- الفكر القومي العربي في مصر 1882-1922، رسالة ماجستير غير منشورة الى المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية – جامعة المستنصرية، 1980م.

- • عبد الضيفي، ميثاق بيات
- انتوني ايدن والقضية المصرية، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية التربية – جامعة تكريت، 2002م.

- • العبيدي، محمد عبد الرحمن يونس

- السلطان عبد الحميد والجامعة الاسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية التربية – جامعة الموصل، 2000م.

• العزاوي، وفاء وليد حسين

- اللورد كتشنر ودوره السياسي والعسكري في مصر والسودان (1896-1914)، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية التربية – الجامعة المستنصرية، 2005م.

رابعا: الكتب

أ- التركية

• Sinoue, Gilbert

- Kavalali Mehmed Ali Passa Sun Firavyun, (Istanbul, 1997).

ب- العربية والمعربة

• ابراهيم، شحاته عيسى

- عظماء الوطنية في مصر في العصر الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر،1977).

• احمد، ابراهيم خليل

- تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني 1516-1916، دار ابن الاثير للطباعة والنشر، (جامعة الموصل، 2005).

• الافغاني، جمال الدين والشيخ محمد عبده

- العروة الوثقى، ط1، دار الكاتب العربي، (بيروت، 1980).

• انطونيوس، جورج

- يقظة العرب – تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة: ناصر الدين الاسد واحسان عباس، ط2، دار العلم للملايين، (بيروت، 1966).

• انيس، محمد وحراز، رجب

- الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، (القاهرة، 1967).

- انيس، محمد

– صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر، 1999).

- اوزتونا، يلماز

– تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح: دكتور محمود الانصاري، مج2، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، (استانبول، 1990).

- الايوبي، الياس

– محمد علي – سيرته واعماله واثاره، دار الهلال، (مصر، 1923).

- بازامة، محمد مصطفى

– بداية المأساة والتمهيد السياسي للاحتلال الايطالي، المطبعة الاهلية، (بنغازي، 1961).

- برج، محمد عبد الرحمن

– عبد الرحمن الكواكبي، الهيئة المصرية للكتاب، (القاهرة، 1972) ،

- بلنت، الفريد سكاون

– التاريخ السري لاحتلال انكلترا مصر، ج1، المركز العربي للبحث والنشر، (القاهرة، 1981).

- البهي، محمد

– حاضر الازهر بعد امسه، ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، ج3، مطبعة دار الكتب، (مصر، 1971).

- بيرتز، الينور

– الاستعمار البريطاني في مصر، ترجمة: احمد رشدي صالح، في احمد رشدي صالح، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، مطابع الهيئة المصرية، (مصر، 1998).

- تابيرو، نوربير

– الكواكبي المفكر الثائر، ترجمة: علي سلامة، منشورات دار الاداب، (بيروت، د.ت).

- تايلور، أ.ج.ب

– الصراع على السيادة في اوربا 1848-1918، ترجمة: كاظم هاشم نعمة ويوئيل يوسف عزيز، (د.م، 1980).

- ثابت، كريم

– محمد علي، ط2، مطبعة المعارف، (القاهرة، 1943).

- الجندي، انور

– الصحافة السياسية في مصر منذ نشأتها الى الحرب العالمية الثانية، مطبعة الرسالة، (مصر، 1962).

- ———

– عبد العزيز جاويش من رواد التربية والصحافة والاجتماع، الدار القومية للطباعة والنشر، (مصر، 1965).

- ———

– تطور الصحافة العربية في مصر، مطبعة الرسالة، (القاهرة، 1967).

- حامد، رؤوف عباس

– النظام الاجتماعي في مصر في ظل الملكيات الزراعية الكبيرة 1837–1914م، ط1، دار الفكر الحديث، (القاهرة، 1973).

- الحتة، احمد محمد

– تاريخ مصر الاقتصادي في القرن التاسع عشر، مكتبة النهضة، (القاهرة، 1958).

- حجار، جوزف

– اوربا ومصير الشرق العربي – حرب الاستعمار على محمد علي والنهضة العربية، ترجمة: بطرس الحلاق وماجد نعمة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، 1976).

- الحديدي، علي

– عبد الله النديم خطيب الوطنية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (مصر، د.ت).

- حمدان، جمال

– شخصية مصر – دراسة في عبقرية المكان، ج3، عالم الكتب، (القاهرة،1984).

- حروش، احمد

– مصر والعسكريون، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، 1974).

• حوراني، البرت

- الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939، ترجمة: كريم عزقول، دار النهار للنشر، (بيروت، 1968).

• حمزة، عبد اللطيف

- قصة الصحافة العربية في مصر (منذ نشأتها الى منتصف القرن العشرين)، مطبعة المعارف، (بغداد، 1967).

• الخادم، سعد

- الصناعات الشعبية في مصر، دار المعارف بمصر، (القاهرة، 1957).

• خدوري، مجيد

- الاتجاهات السياسية في العالم العربي، (بيروت، 1985).

• الخفيف، محمود

- احمد عرابي الزعيم المفترى عليه، ط4، دار الوحدة، (بيروت، 1982).

• راتب، عائشة

- ثورة 23 يوليو سنة 1952، دار النهضة العربية، (مصر، 1964).

• الرافعي، عبد الرحمن

- عصر محمد علي، ج3، (القاهرة، 1947).

• ———

- عصر اسماعيل، ط2، ج1، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1948).

• ———

- عصر اسماعيل، ط2، ج2، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1948).

• ———

- محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية (تاريخ مصر القومي من سنة 1908 الى سنة 1919)، ط3، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1961).

• ———

- مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية (تاريخ مصر القومي من سنة 1892 الى سنة 1908)، ط4، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1962).

• ــــــــــ
- مصر والسودان في اوائل عهد الاحتلال (تاريخ مصر القومي من سنة 1882 الى سنة 1892)، ط2، الدار القومية للطباعة والنشر، (القاهرة، 1966).
• ــــــــــ
- الثورة العرابية والاحتلال الانكليزي، ط3، (د.م، 1966).
• ــــــــــ
- الزعيم الثائر احمد عرابي، ط3، دار ومطابع الشعب (د.م، 1966).
• رامزور، ارنست
- تركيا الفتاة وثورة 1908، ترجمة: صالح احمد العلي، تقديم ومراجعة نيقولا زيادة، منشورات مكتبة الحياة، (بيروت، 1960).
• رزق، يونان لبيب
- موقف بريطانيا من الوحدة العربية 1919-1945، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، 1999).
• رضا، محمد رشيد
- تاريخ الاستاذ الامام محمد عبده، ط1، ج1، مطبعة المنار، (القاهرة، 1344هـ).
• رفاعي، عبد العزيز
- قضية الجلاء عن مصر بين سنتي 1882-1907، دار القلم، (القاهرة، 1961).
• ــــــــــ
- انتصار مصر في رشيد، (القاهرة، 1962).
• ــــــــــ
- فجر الحياة النيابية في مصر الحديثة 1866-1882، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د.م، 1964).
• رفعت، محمد
- تاريخ مصر السياسي في الازمنة الحديثة، (القاهرة، 1927).
• رمضان، عبد العظيم محمد ابراهيم

- تطور الحركة الوطنية في مصر سنة 1918 الى سنة 1939، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (مصر، 1968).

• ______

- الجيش المصري في السياسة 1882-1936، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر، 1977).

• روثستين، تيودور

- تاريخ المسألة المصرية 1875-1910، ترجمة كتاب خراب مصر Egypt's Ruin، ترجمة: عبد الحميد العبادي ومحمد بدران، ط2، دار الوحدة، (لبنان، 1981).

• زيادة، نقولا

- الفكر العربي في النصف الاول من القرن التاسع عشر، ندوة الفكر العربي في 100 سنة، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، 1988).

• ابو زيد، فاروق

- ازمة الفكر القومي في الصحافة المصرية، تقديم خليل صابات ومختار التهامي، دار الفكر والفنون للنشر، (د.م، د.ت).

• زيدان، جرجي

- تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ط3، ج1، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت، د.ت).

• ______

- كتاب تاريخ مصر الحديث، ط3، ج1-2، مطبعة الهلال، (القاهرة، 1925).

• ______

- بناة النهضة العربية، دار الكتاب العربي، (د.م، 1982).

• سامي باشا، امين

- التعليم في مصر في سنتي 1914 و 1915 – وبيان تفصيلي لنشر التعليم الاولي والابتدائي بانحاء الديار المصرية، مطبعة المعارف، (مصر، 1917م).

• سرهنك، اسمعيل

- حقائق الاخبار عن دول البحار، ط1، ج1، (مصر، 1312هـ).

- سري، مراد

- قناة السويس اخطر ممر مائي في طرق المواصلات العالمية يصل الشرق بالغرب، مطبعة اليميات، (دمشق، 1996).

- سعيد، جمال الدين

- التطور الاقتصادي في مصر، مطابع رمسيس الكبرى، (القاهرة، 1954).

- سلطان، علي

- تاريخ الدولة العثمانية، منشورات مكتبة طرابلس العلمية، (طرابلس، 1997).

- الشافعي، شهدي عطية

- تطور الحركة الوطنية المصرية 1882-1956، ط1، (القاهرة، 1957).

- شبيكة، مكي

- تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان)، دار الثقافة ببيروت، (لبنان، 1965).

- شريف، محمد بديع واخرون

- دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، مطبعة الرسالة، (القاهرة، د.ت).

- شلبي، عبد الودود

- الازهر الى اين ؟، دار الاعتصام، (د.م، 1998).

- الشلق، احمد زكريا

- حزب الامة ودوره في السياسة المصرية، ط1، دار المعارف، (مصر، 1979).

- الشناوي، عبد العزيز محمد

- الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، ج4، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة، 2005م).

- الشهابي، مصطفى

- القومية العربية – تاريخها وقوامها ومراميها، ط2، مطبعة الرسالة، (القاهرة، 1961) ،

- الشوابكة، احمد فهد بركات

- حركة الجامعة الاسلامية، ط1، (الاردن، 1983).

- صابات، خليل واخرون

- حرية الصحافة في مصر 1798-1924، مكتبة الوعي العربي، (القاهرة، 1973).

- صالح، احمد رشدي
- كرومر في مصر، في احمد رشدي صالح، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر، 1998).
- الصغير، عصام ضياء الدين السيد علي
- الحزب الوطني والنضال السري 1907-1915، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر، 1987).
- صفوت، محمد مصطفى
- الاحتلال الانكليزي لمصر وموقف الدول الكبرى ازاءه، مطبعة الاعتماد، (مصر، 1952).
- صفي الدين، عمر
- دراسات في جغرافية مصر، مكتبة مصر للنشر والتوزيع، (القاهرة، 1957).
- طرازي، الفيكنت فيليب دي
- تاريخ الصحافة العربية، ج4، المطبعة الاميركانية، (بيروت، 1933).
- عاشور، سعيد عبد الفتاح
- ثورة الشعب، (القاهرة، 1985).
- عبد الحميد، نبيل واخرون
- مصر للمصريين – مائة عام على الثورة العرابية، مطبعة الاهرام، (القاهرة، 1980).
- عبده، ابراهيم
- تاريخ الوقائع المصرية 1828-1942، المطبعة الاميرية ببولاق، (القاهرة، 1942).
- اعلام الصحافة العربية، ط2، مكتبة الاداب بالجماميز، (د.م، 1948).
- جريدة الاهرام تاريخ مصر في خمس وسبعين سنة، دار المعارف، (مصر، 1951).
- تطور الصحافة المصرية 1798-1951، ط3، مكتبة الاداب، (مصر، 1951).
- الصحفي الثائر، مؤسسة روز اليوسف، (القاهرة، 1955).
- جريدة الاهرام تاريخ وفن 1875-1964، مؤسسة سجل العرب، (القاهرة، 1964).
- العدوي، ابراهيم احمد
- رشيد رضا الامام المجاهد،(القاهرة، د.ت).

• عزيز، سامي

- الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (القاهرة، 1968).

• العقاد، صلاح

- ليبيا المعاصرة، معهد البحوث والدراسات العربية، (القاهرة، 1970).

• العقاد، عباس محمود

- سعد زغلول سيرة وتحية، مطبعة حجازي، (القاهرة، 1936).

• عمر، عمر عبد العزيز

- دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، (بيروت، 1975).

• العلاف، ابراهيم خليل

- تاريخ الفكر القومي العربي منذ البواكير الاولى لنشوء الامة العربية حتى عصر القائد صدام حسين، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، 2001).

• علي، اورخان محمد

- السلطان عبد الحميد الثاني – حياته واحداث عهده، ط1، مكتبة دار الانبار، (الانبار، 1987).

• علي، سعيد اسماعيل

- الازهر على مسرح السياسة المصرية – دراسة في تطور العلاقة بين التربية والسياسة، دار الثقافة، (القاهرة، 1974).

• علي فرج، علية علي

- التعليم في مصر بين الجهود الاهلية والحكومية (دراسة في تاريخ التعليم)، دار المعرفة الجامعية، (الاسكندرية، 1979).

• عودة، محمد

- كرومر في مصر، تقديم محمد حسنين هيكل، دار الهلال، (مصر، 2003).

عوض، لويس

- تاريخ الفكر المصري الحديث، دار الهلال، (القاهرة، 1961).

• عيد، عبد الرزاق

- محمد عبده، إمام الحداثة والدستور، ط1، معهد الدراسات الاستراتيجية، (بغداد، 2006).
- غرايبة، عبد الكريم محمود
- تاريخ العرب الحديث، الاهلية للنشر والتوزيع، (بيروت، 1984).
- فهمي، اميل
- التعليم في مصر، مكتبة الانجلو المصرية، (مصر، 1975).
- فوستر، هنري
- نشأة العراق الحديث، ترجمة: سليم طه التكريتي، ج1، (بغداد، 1985).
- قاسم، نوال
- تطور الصناعة المصرية من عصر محمد علي الى عصر عبد الناصر، ط1، مكتبة مدبولي، (د.م، 1987).
- قرقوط، ذوقان
- تطور الفكرة العربية في مصر 1805-1936، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، 1972).
- القرني، احمد حسين وعبد الحفيظ القرني
- مصر العربية في مجال التاريخ، الدار القومية للطباعة والنشر، (د.م، 1966).
- قنيبر، سالم عبد النبي
- الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية في الادب العربي المعاصر — عبد العزيز جاويش 1872-1929، منشورات دار مكتبة الاندلس، (بنغازي، د.ت).
- القيسي، عبد الوهاب واخرون
- تاريخ العالم الحديث 1914-1945، ط1، (بغداد، 1983).
- كرومر، لورد
- الثورة العرابية، ترجمة: عبد العزيز العرابي، الشركة العربية للطباعة والنشر، (د.م، د.ت).
- كتاب مصر الحديثة، نقله الى العربية اسكندر شاهين، ج2، مطبعة الوطن الجديدة، (د.م، 1908).
- الكواكبي، عبد الرحمن

- الاعمال الكاملة، دراسة وتحقيق محمد عمارة، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، 1975).

• ــــــــ

- طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ط3، تقديم: الدكتور اسعد السحمراني، دار النفائس للطباع والنشر والتوزيع، (بيروت، 1993).

• لاندو، جاكوب

- الحياة النيابية والاحزاب في مصر من 1866 الى 1952، ترجمة: سامي الليثي، مكتبة مدبولي، (د.م، د.ت).

• لهيطة، محمد فهمي

- تاريخ مصر الاقتصادي في العصور الحديثة، (القاهرة، 1938م).

• لوتسكي

- تاريخ الاقطار العربية الحديث، دار التقدم، (موسكو، 1971).

• ليفين، ز.ك.

- الفكر الاجتماعي والسياسي الحديث في لبنان وسوريا ومصر، ترجمة: بشير السباعي، ط1، (بيروت، 1978).

• مانتران، روبير

- تاريخ الدولة العثمانية، ج2، ترجمة: بشير السباعي، (بيروت، 1997).

• المحامي، احمد شوقي

- محمد فريد، (د.م، د.ت).

• المحامي، محمد فريد بك

- تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط1، دار الجيل، (بيروت، 1977).

• محمد، فاضل زكي

- الفكر السياسي العربي الاسلامي بين ماضيه وحاضره، ط1، (بغداد، 1970).

• المرشدي، محمد عصام

- الثورة العرابية واثرها في تطور الشعب ونهضته، دار المعارف، (مصر، 1952).

• مروة، اديب

- الصحافة العربية نشأتها وتطورها، ط1، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت، 1969).

- المسدي، محمد جمال الدين

- دنشواي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر، 1974).

- مسعود، عبد الهادي محمد

- الثورات في مصر من عهد سعيد الى اخر عهد توفيق، (د.م، د.ت).

- مصطفى، احمد عبد الرحيم

- الثورة العرابية، (القاهرة، 1961).

- ______

- مصر والمسألة المصرية، دار المعارف، (مصر، 1965).

- ______

- مشكلة قناة السويس 1854-1958، مطبعة الرسالة، (القاهرة، 1967).

- ______

- علاقات مصر بتركيا في عهد الخديوي اسماعيل (1863-1879)، دار المعارف، (مصر، 1967).

- ______

- تاريخ مصر السياسي من الاحتلال الى المعاهدة، دار المعارف، (مصر، 1967).

- ______

- تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة، معهد البحوث والدراسات العربية، (د.م، 1973).

- موروا، اندريه

- حياة دزرائيلي، ترجمة: حسن محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، 1939).

- موسى، عايدة العزب

- 90 سنة على الثورة العرابية، مؤسسة روز اليوسف، (د.م، 1971).

- موسى، محمد العزب

- وحدة تاريخ مصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، 1972).

• نصر، محمد
- دنشواي والصحافة، ط1، مطبعة نهضة مصر، (القاهرة، 1958).
• نصر، نصر الدين عبد الحميد
- مصر وحركة الجامعة الاسلامية من عام 1882م الى عام 1914م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر، 1984).
• وتلن، الما
- عبد الحميد ظل الله على الارض، ترجمة: راسم رشدي، دار النيل للطباعة، (القاهرة، 1950).
• ياسين، بو علي واخرون
- الاحزاب والحركات القومية العربية، ج1، المركز العربي للدراسات الستراتيجية، (د.م، د.ت).
• يحيى، جلال وخالد نعيم
- مصر الحديثة 1919-1952، المكتب الجامعي الحديث، (الاسكندرية، 1988).
• يوسف، السيد
- عبد الرحمن الكواكبي رائد القومية العربية وشهيد الحرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر، 2006).

جـ- الانكليزية

• Blunt, Wilfred Scawen
- Secret History of the English Occupation of Egypt, T. Fisher Unwin, (London, N.D).
• Crouchley, A.E.
- Economic Development of Modern Egypt, (London, 1938).
• Dykstra, Darrell I.
- Egypt in the Nineteenth Century – the Impact of Europe Upon Anon-Western Society, Michigan Ann. Arbor. (N.B, 1979).
• Erking, Joan Wach
- Historical Dictionary of Egypt, Cairo American University in Cairo Press, (N.B, 1989).
• Farnie, D.A.
- East and West of Suez 1854-1956, Ciarendon Press, (Oxford, 1969).
• Gollins, Iren
- The Age of Progress Aurrey of European History from 1789-1870, First Published, (London, 1964).
• Goshen

• الفكهاني، حسن
- موسوعة تاريخ مصر الحديثة، مج1، الدار العربية للموسوعات، (د.م، 1978).
• الكيالي، عبد الوهاب
- موسوعة السياسة، ط1، ج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، 1983).
• المؤسسة الصحفية العربية
- اعلام الصحافة في الوطن العربي، مج1، ج6، (تونس، 1997).

ب- الانكليزية

• The Columbia Encyclopedia, U.S.A., Vol. 1, Columbia University Press, 1963.

سادسا: البحوث

أ- العربية

• التائه، سعد
- "الصحافة المصرية في نضالها ضد الارهاب وضد الامبريالية"، مجلة دراسات عربية، ((بيروت))، ع1، س17، تشرين الثاني 1980.
• التكريتي، هاشم
- "بريطانيا ومشروع قناة السويس 1854-1869م"، مجلة الجمعية التاريخية، ((بغداد))، ع3، 1974م.
• تينور، روبرت
- "الحكم الاستعماري البريطاني في مصر"، مجلة السياسة الدولية، ((القاهرة))، ع22، تشرين الاول 1970.
• حسين، فاضل
- "الثورة العرابية في مصر 1881-1882"، مجلة المؤرخ العربي، ((بغداد))، ع33، س13، 1987.
• حمزة، عبد اللطيف
- "اجواء فكرية وسياسية عاش فيها الادب الحديث والصحافة المصرية"، مجلة كلية الاداب، ((جامعة القاهرة))، ج2، مج16، كانون الاول 1954.

• خدوري، مجيد
- "عزيز علي المصري وحركة القومية العربية"، مجلة افاق عربية، ((بغداد))، ع11، س13، تموز 1978.
• رمضان، صالح
- "تغلغل النفوذ الاوربي واثره في الحياة الاجتماعية في عصر الخديوي اسماعيل (1863-1879)"، مجلة المؤرخ العربي، ((بغداد))، ع1، 1975.
• السلمي، ضاوي بن هندي
- "نشاط الاستخبارات البريطانية في مصر في عهد اللورد كرومر 1883/ 1896"، مجلة دراسات تاريخية، ((جامعة دمشق))، ع77-78، س22، كانون الثاني – جزيران 2002.
• شلبي، محمود
- "ذكرى السيد جمال الدين"، مجلة الرسالة، ((مصر))، ع506، س11، اذار 1943.
• الشناوي، عبد العزيز محمد
- "ما تكلفته مصر في انشاء قناة السويس"، المجلة التاريخية المصرية، ((القاهرة))، مج6، 1957.
• ______
- "حادث جريدة البوسفور اجيبسيان – ازمة سياسية بين مصر وفرنسا في اوائل عهد الاحتلال البريطاني"، المجلة التاريخية المصرية، ((القاهرة))، مج9-10، 60-1962.
• صابات، خليل
- "الطباعة في مصر خلال الحملة الفرنسية 1798-1801"، مجلة كلية الاداب، ((جامعة القاهرة))، ج2، مج21، كانون الاول 1959.
• عباس، رؤوف واخرون
- "محمد فريد ومذكراته"، مجلة الكاتب، ((مصر))، ع104، س9، تشرين الثاني 1969م.
• عمارة، محمد
- "وطنية الشيخ محمد عبده"، مجلة الكاتب، ((القاهرة))، ع150، س13، ايلول 1973.

- العمرو، صالح محمد

- "النزاع التركي – المصري على شمال الحجاز وسيناء وتدخل الحكومة البريطانية (1884-1906)"، مجلة الدارة، ((الرياض))، ع1، س5، اذار 1979م.

- عنان، محمد عبدالله

- "الصحافة في عصر اسماعيل"، مجلة الكاتب المصري، ((القاهرة))، ع18، مج5، اذار 1947.

- عودة، كاظم هاشم

- "التطورات السياسية في مصر بعد الحرب العالمية الاولى"، مجلة الجامعة، ((جامعة الموصل))، ع11، س2، اذار 1972.

- عيسى، صلاح

- "البرجوازية المصرية واسلوب المفاوضة"، مجلة افاق عربية، ((بغداد))، ع6، س4، شباط 1979.

- الغزالي، عبد المنعم

- "مسيرة العمال الزراعيين في تاريخ مصر من 1882م الى 1966م، مجلة الطليعة، ((مصر))، ع9، س2، 1966.

- كشميري، محمد عبد الرسول

- "الخديوي"، مجلة الهلال، ((مصر))، ج8، س11، كانون الثاني 1903م.

- كيلاني، سيد محمد

- "كيف نشأت اول جامعة في مصر"، مجلة الرسالة، ((مصر))، ع912، س18، كانون الاول 1950.

- مصطفى، احمد عبد الرحيم

- "لماذا اخفقت الثورة العرابية"، مجلة الهلال، ((مصر))، ع9، س79، ايلول 1971.

- مقبل، فهمي توفيق

- "رواد الاصلاح في العصر الحديث – عبد الرحمن الكواكبي"، مجلة الوثيقة، ((البحرين))، ع21، س11، تموز 1992.

- ________

- "محمد رشيد رضا 1287-1354هـ/ 1865-1935م"، مجلة الوثيقة، ((البحرين))، ع22، س11، كانون الثاني 1993.

ب- الانكليزية

- Faksh, Mahmud A.
- "The Consequences of the Introduction and Spread of Modern Education: Education and National Integration in Egypt", Middle Eastern Studies, ((London)), Vol. 16, No. 2, May 1980, P.P. 42-53.
- Keddie, Nikki R.
- "The Pan Islamic Appeal Afghani and Abdul Hamid II", Middle East Studies, ((London)), Vol. 3, No. 1, October 1966.
- Mervin, Smith G.
- "The Agricultural Policy of Muhammed Ali in Egypt", Middle Eastern Affairs, ((New York)), No. 2, Vol. 14, 1963.
- Owen, R.
- "The Influence of Lord Cromer's Indian Experience on British Policy in Egypt 1883-1907", Middle Eastern Affairs, ((New York)), No. 17, Vol. 4, 1965.

سابعا: المجلات والصحف

أ- المجلات

اولا: العربية

1- مجلة المقتطف – مصر

- ج3، مج4، نيسان 1879.
- ج5، مج33، ايار 1908.
- ج5، مج36، ايار 1910.
- ج6، مج36، حزيران 1910.

2- مجلة الهلال – مصر

- ج8، س7، شباط 1899.
- ج3، س8، تشرين الاول 1899.
- ج1، س13، تشرين الاول 1904.
- ج8، س13، ايار 1905.
- ج10، س13، اب 1905.
- ج1، س16، تشرين الاول 1907.
- ج6، س25، اذار 1917.

ثانيا: الانكليزية

* Near East
- Vol. IV, No. 37, May 17, 1911.
- Vol. IV, No. 47, July 19 , 1911.
- Vol. IV, No. 49, August 2, 1911.

ب- الصحف

- جريدة الموصل، ع322، س3، 7 شباط 1921.
- جريدة مصر، ((مصر))، ع15106، س56، 4 اب 1951م.
- جريدة مصر، ((مصر))، ع15109، س56، 9 اب 1951م.
- جريدة اخبار اليوم، ((مصر))، ع1827، 10/ 11/ 1979.

دار غيداء للنشر والتوزيع

تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله - مجمع العساف التجاري - الطابق الأول

تلفاكس: 5353402 6 962+ - خلـــوي: 95667143 7 962+

ص.ب: 520946 عمان 11152 الأردن - E-mail: darghidaa@gmail.com

9789957960735

Bibliotheca Alexandrina

12241245